المختارات

من مكتوبات الإمام الرباني السرهندي

(٩٧١هـ - ١٠٣٤هـ)

العلامة الشيخ
محمد أمين أرالميراني

النور
دار النور للدراسات والنشر

المختارات

من مكتوبات الإمام الرباني السرهندي

المتوفى سنة ١٠٣٤هـ

بقلم العلامة الشيخ

محمد أمين آر الميراني

2013

بين يدي الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فنقدم هذا الاختيار النفيس لكتاب المكتوبات للإمام الرباني السرهندي مجدد الألف الثاني، باختيار وترتيب فضيلة العلامة الشيخ محمد أمين أرْ الميراني، حفظه الله تعالى، وقد جاء المؤلف حفظه الله على أهم ما في المكتوبات فاختار جزءاً منها في غاية النفاسة والأهمية، ولخص جزءاً آخر بما يفي بمقصوده ويأتي على ما فيه، قاصداً تقريب الاستفادة من هذا السفر العظيم لطلاب العلم والمعرفة.

وقد قام فضيلته بترجمة الإمام الرباني ترجمة وافية ذكر فيها حياته وخلفاءه وكتبه، وفصل في بيان منهجه في الطريقة والسلوك، وبعض نظراته في القضايا الشرعية العلمية، ثم أعقب ذلك بالمختارات من مكتوباته.

وقد عهدنا إلى بعض الباحثين النابهين بخدمة هذا الكتاب، بعد أن عهد به فضيلة الشيخ إلينا، فكان مما قمنا به:

١. ترجمة صاحب المختارات فضيلة الشيخ محمد أمين أر ترجمة مختصرة، ذكرنا فيها نبذة من حياته وطلبه للعلم ورحلاته وكتبه وشيوخه وغير ذلك.

٢. تخريج الأحاديث الواردة في نصوص المكتوبات تخريجاً علمياً حسب المتعارف عليه عند علماء الحديث.

٣. ترجمة بعض الأعلام المذكورين في «المكتوبات» ترجمة مختصرة.

٤. التعريف بكثير من المصطلحات الواردة في نص الكتاب، وشرح بعض الألفاظ الغريبة في العربية.

٥. وضْع كثير من علامات الترقيم التي يحتاجها القارئ الكريم.

فلهؤلاء الباحثين الكرام كل الشكر والتقدير، نخص بالذكر منهم: د. شامل شاهين، ود. محمد النجار، ومعشوق ياماج، ونصر الله عبده، ونشكر كذلك الأستاذ أبا عبد الرحمن محمد سميح صاحب دار النور، الذي تفضل بإخراج الكتاب في هذه الحلة القشيبة، فلهم منا جميعا كل الشكر والثناء والتقدير.

وإنا لنسأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا الكتاب وينفع به المسلمين، ويحفظ علينا أستاذنا فضيلة الشيخ محمد أمين أرْ، ويبارك في عمره وعمله، وينفع به طلابه والمسلمين، والحمد لله رب العالمين.

أ.د. رجب شان ترك

❋ ❋ ❋

ترجمة صاحب المختارات

هو العالم العامل الشيخ الفاضل محمد أمين أَرْ بن ذي الكفل بن علي بن أحمد بن قَرُو الميراني الكُلُيَاني ثم الأنقروي حفظه الله تعالى. كانت أسرته معروفة بلقب (الميراني) قبل إصدار قانون الألقاب في تركيا. ولقبه الجديد هو ترجمة كلمة (المير) مفرد (الميران) بلغة قومه.

كانت ولادة الشيخ محمد أمين في قرية كُلُيَان التابعة لبلدة جرميك بولاية ديار بكر حوالي عام ١٣٣٠هـ الموافق١٩١٢م. قبيل الحرب العالمية الأولى. في وقت كان فيه نجم الخلافة الإسلامية قد خفتَ بريقه وآل للسقوط عرشه. في هذه الظروف القاسية ولد الشيخ محمد لأب ثري يعظم العلماء. ولأم صالحة حواء بنت حسن كيا. أبى الموت إلا أن يتخطفها ووليدها إذ ذاك ابن أربع سنوات فقط.

أما والده الثري فقد دفعه حبه للعلم وتعظيمه العلماء إلى استحضار أفضل الأساتذة والمربين لتعليم أبنائه وتربيتهم. أملاً في أن يصبحوا على درجة من العلم عظيمة. وينالوا سهماً وافراً من التربية الأخلاقية وقد بلغ من حبه الأساتذة وإجلاله لهم أنه زوج أستاذ أبنائه وتعهد بنفقته ثم اشترى كرماً ووهبه له.

بدأ بتعلم (الألف باء) مع أخيه الكبير علي. وظهرت عليه علامات النبوغ منذ الصغر. لكن فرحته بتعلم حروف اللغة العثمانية وسروره بها لم يكتملا إذ غيّب الموت أباه في هذه المرة. فنشأ الغصن الطري في حجر زوجة

أبيه يتيماً مفجوعاً بفقد أبويه إلى أن كفله أخوه الكبير ورعاه، ولم يأل الطفل الناشئ جهدا في ذلك الوقت من استكمال تعلم الحروف، ولم يعدم في ذلك حيلة، إذ اتخذ من الحجارة واللخاف دفاتر وأقلاماً يعلم نفسه بنفسه، وهو يرعى الغنم لأهله حتى تمكن من تعلم قراءة اللغة العثمانية دون معلم، وهذا ما أدهش الناس من حوله وجعلهم يقولون: «إن الخضر عليه السلام يدرسه في نومه».

شب وشب معه ولعه بالعلم، فكان حريصاً على طلبه مدمناً عليه، لا يفتأ يتضرع إلى الله ـ وما أكرمَه من مُعْط - خاشعاً باكياً إلا ما سهل له سبل العلم لقراءة القران الكريم. وقد واظب على تعلم اللغة العثمانية بنفسه حتى بلغ فيها مبلغا حسنا، مكّنه من كتابة الرسائل بها وقراءة الكتب العثمانية كذلك. لم يكن يفارق أهل العلم، كثير الترحال إليهم والجثو على الركب أمامهم، يولي وجهه شطرهم أينما كانوا وحيثما وجدوا، ولو في سبيل مسألة واحدة من مسائل العلم. ولم يكن الاجتماع بالعلماء في ذلك العهد إلا أمراً بعيد المنال، فقد كان تدريس العلوم الإسلامية فضلا عن اللغة العربية ممنوعاً ومجلبةً للسجن، ومدعاة للشبهة، والملاحقة القضائية وكان العلماء يتخفّون من شدة ما نالهم وقسوته. أما الشيخ فقد كان يكابد مشقات السفر بحثا عن علماء عزّوا وعارفين ندروا. ولم يجد بدّا من السفر إلى «اسطنبول» لكنه لم يحظ بلقاء أي من علمائها، فتركها متوجها إلى «يلوا». وفي أثناء أسفاره الداخلية هذه قدّم للعلم خدمات جليلة وبينما هو على هذه الحال من الترحال والأسفار إذ رأى ذات ليلة فيما يراه النائم أن الخضر عليه السلام قد وافاه وحثه على عمل أخروي

كصلة الرحم وطلب العلم، فقفل راجعا إلى بلدته بهذه النية، ولما وصل الرحم نزولاً عند رغبة الخضر عزم على السفر من جديد، لكن قومه ألحوا عليه في البقاء. وفي تلك الليلة هتف به هاتف من السماء (إن الطريق التي تقصدها هي طريق الشريعة والحقيقة) فلم يطلع عليه فجر تلك الليلة إلا وقد أعدّ للسفر عدته ومضى في سبيل العلم وهو ابن خمس وعشرين سنة فلقي في سفره طائفة من العلماء الأجلاّء، منهم الملا حسن التحويكي، وعنه أخذ الصرف، والملا عبد الصمد الغرزي، وعنه أخذ النحو، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية حطت به الأسفار في بلاد الشام (سوريا) وهنالك التقى بعلماء سوريا وسألوه عن العلماء الأتراك فأنكرهم ولم يعرف أحدا ممن سئل عنهم لأنهم كانوا في تركيا متخفّين ملاحقيناً استثمر وجوده في سوريا فقرأ الفقه على الملا عبد الحليم العامودي، وكتاب الجامي على الشيخ عبد الرزاق الحليلي.

وفي سوريا قبض عليه الفرنسيون ظناً منهم أنه يتجسس لمصلحة الألمان فحبسوه، ثم ساعده قاض مسيحي على الخروج من السجن على أن يعود بعد أسبوعين إلى المحكمة ولما عاد - حفاظاً على الوعد أن ينقضه - أودعه الفرنسيون السجن من جديد وكان ما يؤلمه في السجن هو صعوبة المحافظة على العبادات وأدائها على وجهها.

وبعد خروجه من السجن قفل راجعًا إلى تركيا وفي طريقه التقى بالشيخ أحمد الخزنوي، وعنه أخذ الطريقة النقشبندية، وفي تركيا بدأ رحلة البحث من جديد عن العلماء الذين سمع بأسمائهم في سوريا فمكث غير قليل عند الملا عبد الله العويني رفيق الشيخ بديع الزمان النورسي لينهل من علوم شتى فقرأ

علم المنطق والوضع والاستعارة وأدب البحث والمناظرة وأصول الدين وأصول الفقه وعلم الكلام ودرس الفقه والتفسير والفرائض والتجويد فنال كمًّا وافراً من العلم مختلفاً ألوانه أجازه فيها الشيخ محمد معشوق ابن الشيخ محمد معصوم حفيد الشيخ عبد الرحمن التاغي سنة ١٩٥٠م.

ومن عجائبه أنه كان يقرأ كل صفحة من كتاب يدرسه مئة مرة في اليوم الأول، ثم خمساً وسبعين مرة في اليوم الثاني، ثم خمسين في الثالث ثم خمساً وعشرين في الرابع، حتى جمع كل الكتب في ذهنه في وقت قصير، ووصل إلى مرحلة الإجازة، ولكنه كان يعرض عنها طمعاً في الاستزادة من علمائه، لكنهم أصروا عليه أن يجيزوه ثم أن يزوجوه بعد أن كان معرضاً عن الزواج في سبيل العلم.

كان يحافظ على السنن ويجاهد نفسه في الحفاظ على صلاتي التهجد والضحى في حلّه وترحاله، فإذا غالبه النوم لصرفه عن إحداهما عانده حتى يقهرها فينام جالساً حتى يصحو ولا تفوته نوافل الصلاة حتى إنه لم ير نائماً دون تهجد ولو جاء من سفر، وما أكثر أسفاره، ولو نام فإنه يقوم للتهجد نشطاً وحين يسأل عن ذلك يقول أنوي القيام فأقوم.

وكان يأخذ بالعزائم ويعرض عن الرخص فلا يفتي في شيء منها بل يرسل من يستفتيه فيها إلى مفت آخر، وهذا مذهب شيخه الجزري من قبل وهو الذي أصر عليه ألا يفتي في رخصة قطعاً للشك وتجنبا للشبهة كما كان يتجنب ما اختلف فيه الفقهاء ولا سيما الأئمة الأربعة ويعمل بما اتفقوا عليه آخذا بأقوالهم جميعاً، ففي مسألة الوضوء مثلاً كان يغسل أذنيه ويمسح كامل

رأسه آخذاً بالمذاهب الأربعة، وإذا لمسته امرأة توضأ قائلاً إنني حنفي ولكن الشافعي من بحور العلم، فكان يأخذ بالمذاهب الأربعة قائلاً: لماذا لا نجعل وضوءنا وصلاتنا وعباداتنا صحيحة على المذاهب الأربعة، وهذا ما كان يقصده من قوله بالمذهب الأحوط.

يعظم السنن ويرى أن تطبيقها والعمل بها خير من الكرامة، وحين يعتكف في العشر الأواخر من رمضان لا يأكل في سحوره وإفطاره إلا سبع تمرات وقليلاً من الخبز عملاً بالحديث «بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه...» فكان يقول لقيمات جمع قلة أي لا تزيد على التسع فيأكل في سحوره أربع تمرات وفي إفطاره ثلاث تمرات.

دعاه أحدهم مرة إلى طعام فلما حضرت الصلاة صلى الفرض قائما وكذلك السنة وقد بلغ من العمر ما بلغ فقيل له لو صليت جالساً فقال لا أعود نفسي الكسل.

يتتبع السنة النبوية الشريفة في جميع أحواله، حتى في جلوسه كان يتحرى موضعاً يستقبل فيه الكعبة، في إشارة لطيفة إلى العمل بقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ وكان يقول: إن البركة في هذه الجلسة.

شديد التواضع، حييّ كريم، سهل العِشرة، عذب المنطق، يملأ قلبَ من يجالسه راحة وأمنًا، إذا أراد شيئًا من تلامذته لمّح ولم يصرح، ولا يقول لطالب من طلابه على شيء فعله: لمَ فعلت كذا، ولا على شي ء لم يفعله: ألا فعلت كذا... إذا جالس الشباب ـ وهو الشيخ الطاعن في السن ـ حسبته واحدًا

منهم، ليس في مجاراتهم في حديثم وفهم مبتغاهم فحسب بل في استعمال أحدث ما توصّلت إليه العلوم التقنية الحديثة من اختراعات...

ورع تقيّ، يجلّ العلماء في كل بلد يزوره، فحين أتى عمّان الأردن قصد علماءها فقيل له: هم يأتون إليك، وأنت الشيخ العالم الكبير. فأبى إلا أن يزورهم بنفسه بغية تحصيل الأجر والثواب.

خفيف الظل، حاضر الذهن والدعابة، طاف العالم مرة بإحدى جولاته، إذ انطلق من تركيا متوجهًا إلى أمريكا، ومنها إلى اليابان فالهند، ثم إلى الشرق الأوسط حتى إذا حط رحله في تركيا حدث أصحابه عن كروية الأرض، و أكد لهم أن العالم كرويّ بالتجربة التي خاضها!

بدأ حياته العملية في مدينة غازي عنتاب إمامًا ومدرسًا، فقد كانت له مدرسة هناك ومجلس للعلم، ثم ارتحل إلى أنقرة بعد ذلك، وفيها ذاع صيته، وانتشرت أخباره، فتسابق إليه طلاب العلم، نهلوا من شهد علمه و حلاوة أخلاقه ما نهلوا. ومن أنقرة بدأ يسافر إلى أصقاع العالم وجنباته المترامية في أوربا و أمريكا، يقيم فيها الأيام والليالي ذوات العدد، وقد نافت سنّه على السبعين، داعيًا الناس إلى دين الله الحق، مناظرًا القساوسة والرهبان في عقر دارهم.

لم تكن أسفاره إلى أمريكا لحظة عابرة في حياته أو ذكرى بدأت و انتهت عند عمر محدد، فلم يكن عجيبًا ولا كثيراً على إنسان عظيم مثله أن تدوم أسفاره في سبيل الدعوة إلى الله عزّ وجلّ عقودًا متطاولة من الزمن. فقد مضى إلى أمريكا حاملًا على كاهله قرنًا وبضع سنوات من العمر، بما في ذلك العمر

من قصص وحكايات و آلام و آمال وبعد عودته من أمريكا زار عدداً من البلدان منها البلد الحرام قبلة المسلمين، فأدى العمرة ورجع منها إلى مستقرّه في تركيا.

كان ذا أثر واضح في طلابه وتلاميذه، فقد تخرّج به عدد كبير منهم، من شتى بلاد العالم، من البلاد العربية وتركيا وأمريكا وأوروبا وغيرها، وأجاز من رأى فيه أهلية منهم إجازته العلمية أو إجازته العملية (التصوف)، أو جمع الإجازتين له.

العلوم التي قرأها في المدارس:

١. التجويد
٢. التفسير
٣. الفقه
٤. الفرائض
٥. الصرف
٦. النحو
٧. المنطق
٨. الاستعارة
٩. الوضع
١٠. أدب البحث والمناظرة

١١. المعاني

١٢. البيان

١٣. البديع

١٤. أصول الفقه

١٥. أصول الدين (العقائد)

١٦. علم الكلام

الأساتذة الذين أخذ عنهم العلم:

١. الأستاذ العالم العامل المفتي الملا حسن التحويكي تتلمذ عليه في علم الصرف.

٢. الأستاذ العالم العامل الملا رسول، أخذ عنه بعض مسائل النحو .

٣. الأستاذ العالم العامل الملا عبد الصمد، أخذ عنه الصرف والنحو .

٤. الأستاذ العالم العامل الملا عبد الله صديق بديع الزمان النورسي، علم المنطق والوضع والاستعارة والمعاني والبيان وأدب البحث والمناظرة وأصول الدين وأصول الفقه.

٥. الأستاذ العالم العامل الملا عبد الحليم وكان أستاذه في الفقه وبعض كتب النحو.

٦. الأستاذ العالم العامل الشيخ عبد الرزاق وكان خليفة الشيخ أحمد الخزنوي وأخذ عنه بعض مسائل النحو .

٧. الأستاذ العالم العامل الملا الحافظ الحاج حيدر أفندي قرأعليه القرآن الكريم بالتجويد.

٨. الأستاذ العالم العامل الملا الشيخ زين العابدين درس عليه التجويد ومخارج الحروف.

٩. الأستاذ العالم العامل الملا الشيخ شرف الدين بن الشيخ الحزين الفرصاوي الإسعري، ودرس عليه علم الكلام .

١٠. الأستاذ العالم العامل الشيخ محمد معشوق خليفة الشيخ أحمد الخزنوي، تتلمذ عليه في علم الكلام.

١١ . الشيخ أحمد الشُورْشُوبي كانت مدرسته غير صالحة للدراسة فلم يتمكن من الأخذ عنه كثيراً.

مشايخه في التصوف:

١. الشيخ أحمد الخزنوي، أخذ عنه الطريقة النقشبندية.

٢. الشيخ محمد سعيد سيدا الجزري، أخذ عنه الإجازة في الطرق الخمسة.

٣. الشيخ محمود سامي، أخذ عنه الطريقة النقشبندية والقادرية.

الكتب التي قرأها على هؤلاء العلماء:

١. الأمثلة في تصريف الأفعال نسبه البعض إلى سيدنا علي كرم الله وجهه كما في مغني الشروح شرح الامثلة.

٢. المقصود (في علم الصرف) للإمام أبي حنيفة كما جزم بذلك الإمام البركوي.

٣. البناء (في علم الصرف).

٤. العزي في علم الصرف لعز الدين بن عبد الوهاب بن إبراهيم الخزرجي الزنجاني.

٥. العوامل الجديد لمحيي الدين محمد بن بير علي البركوي.

٦. إظهار الأسرار (النحو) لمحيي الدين محمد بن بير علي البركوي.

٧. الكافية لأبي عامر جمال الدين عثمان بن عمر بن الحاجب.

٨. العوامل لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني.

٩. الظروف للملا يونس الأرقطني.

١٠. رسالة التركيب على عوامل الجرجاني للملا يونس الأرقطني.

١١. سعد الله الصغير على عوامل الجرجاني لسعد الله البرادعي الملقب بسعد الدين.

١٢. شرح المغني في النحو لمحمد بن عبد الرحيم بن العمري الميلاني.

١٣. مَراح الأرواح (في علم الصرف) لأحمد بن علي بن مسعود.

١٤. دنقوس في شرح مراح الأرواح لأحمد بن علي بن دنقوس.

١٥. حل معاقد القواعد وحلي مجالس المعاقد لأحمد بن محمد بن عارف الزيلي السواسي.

١٦. حدائق الدقائق على أنموذج الزمخشري المعروف بسعد الله الكبير لسعد الله البردائي.

١٧. نتائج الأفكار في شرح إظهار الأسرار للشيخ مصطفى بن حمزة اللآيديني قوش آدالي.

١٨. الفوائد الضيائية في حل مشكلات الكافية المعروف بملا جامي لعبد الرحمن بن أحمد بن محمد جامي.

١٩. الإيساغوجي لأثير الدين مفضل بن عمر الأبهري.

٢٠. حسام الكاتي على الإيساغوجي لحسام الدين حسن النحوي الكاتي.

٢١. محيي الدين على الإيساغوجي لمحيي الدين محمد بن موسى الطليشي.

٢٢. الفوائد الفنارية في شرح الإيساغوجي لشمس الدين محمد بن حمزة الفناري.

٢٣. قول أحمد شرح الفوائد الفنارية لأحمد بن محمد بن خضر.

٢٤. الورود النضارة في المجاز والاستعارة للملا أبي بكر مير رستم الصوري.

٢٥. اللمع في علم الوضع للملا أبي بكر مير رستم الصوري.

٢٦. شرح رسالة الاستعارة لأبي القاسم علي بن أبي بكر الليثي السمرقندي.

٢٧. شرح رسالة الوضعية لأبي القاسم علي بن أبي بكر الليثي السمرقندي.

٢٨. الرسالة الولدية (في الآداب) لمحمد بن أبي بكر المرعشي الحنفي ساجاقلي زاده.

٢٩. حاشية شرح اولوغ بك على آداب البحث للسمرقندي لشاه حسين العجمي.

٣٠. شرح رسالة السمرقندي في آداب البحث لكمال الدين مسعود بن حسين الشرواني.

٣١. حاشية على الفوائد الضيائية للجامي لرضي الدين عبد الغفور الحنفي اللاري.

٣٢. حاشية على حاشية اللاري على الفوائد الضيائية للجامي لعبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي.

٣٣. تحرير القواعد المنطقية على الشمسية للفاضل المحقق قطب الدين الرازي.

٣٤. مختصر المعاني لسعد الدين بن مسعود التفتازاني.

٣٥. محلي شرح جمع الجوامع لأبي عبد الله جلال الدين محمد بن أحمد المحلي.

٣٦. شرح العقائد النسفية لسعد الدين بن مسعود التفتازاني.

٣٧. ملتقى الأبحر لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي.

٣٨. منهاج الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي.

٣٩. تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد السيوطي وجلال الدين المحلي.

٤٠. فرائض المنهاج للإمام النووي.
٤١. تجويد قره باش لعبد الرحمن قره باش.
٤٢. المقدمة الجزرية لأبي الخير شمس الدين محمد بن محمد الجزري.

ما حفظه من هذه الكتب:

١. الأمثلة
٢. البناء
٣. المقصود
٤. العزي
٥. مراح
٦. العوامل للبركوي
٧. إظهار الأسرار
٨. الكافية
٩. العوامل للجرجاني
١٠. الظروف
١١. التركيب
١٢. إيساغوجي
١٣. رسالة أبي بكر الصوري في الاستعارة
١٤. رسالة أبي بكر في الوضع
١٥. قره باش

١٦. الفرائض

١٧. الولدية

مؤلفاته:

١. جامع المتون الدراسية، وقد طبع مرتين في دمشق وإسطنبول، ويحتوي على اثنتي عشرة رسالة:

- لفتة الطرف في علم الصرف.
- البحر الصحو في علم النحو.
- الفيض العتيق في علم المنطق.
- الورد الصدع في علم الوضع.
- النضارة في علم الاستعارة.
- اللباب في علم المناظرة والآدب.
- الفيض الرباني في علم المعاني.
- التبيان في علم لبيان.
- غيث الربيع في علم البديع.
- فهم الفقه في علم أصول الفقه.
- الحبل المتين في علم أصول الدين.
- فيض الرؤوف في علم مبادي التصوف.

٢. مجموعة الرسائل الدينية في العلوم المختلفة، وقد طبع في إسطنبول، ويحتوي على عشرين رسالة:

- فيض الإله في الدين المرضي عند الله.
- تنبيه الفاطن على فقه الباطن.
- خلاصة المرام في معرفة الإسلام.
- فضيلة أعمال القلب وآداب الذكر به.
- القول الأنفس فيما به صلاح النفس.
- يا نفسي.. مهلاً.
- الوسيلة الفاصلة في الطريق الموصلة.
- يا سائلا عن أقوم الطرق إلى الله.
- واجب الخلف في اتباع نهج السلف.
- جامع المهمات المتفرقة في العلوم المختلفة.
- الجهد الحثيث في اصطلاح الحديث.
- الضوء العارض في علم الفرائض.
- الحقوق الزوجية.
- التحفة المرضية في القواعد الفقهية.
- القول الصواب في ذبائح أهل الكتاب.
- فيض العليم في حكم التعلم والتعليم.
- المقالات في أصل الكائنات.
- الحجة الدامغة في الرد على من يفتي بأن الطلاق الثلاث دفعة تقع به طلقة واحدة.
- تسهيل المرام في بيان النصب والكفارات والفطرة بالدرهم والغرام.

٣. المختارات من مكتوبات الإمام الرباني قدس الله سره، وهو هذا الكتاب.

٤. الفتاوى في العقيدة والكلام.

٥. الفروض العينية في العقيدة والعبادة والأخلاق السنية.

٦. معجم الأعلام في أسماء ذوات الأحكام.

وقد ترجمت جل كتبه إلى اللغة التركية، وترجم كتابان إلى الإنكليزية، هما:

١. **The Soul of Islam وهو ترجمة لكتاب «فيض الإله» المتقدم.**

٢. **Laws of the Heart** وهو ترجمة لكتاب «تنبيه الفاطن على فقه الباطن».

حفظه الله تعالى وبارك في علمه وعمله.

* * *

سلسلة الشيخ المتصلة بالإمام الرباني صاحب «المكتوبات»

يقول الشيخ في إجازته العملية: قد تشرفت بأخذ الإذن في الطريقة النقشبندية بعد الخلوة والسلوك أربعين يوماً وإتمام ذكر اللطائف السبع والنفي والإثبات والجذبة الذاتية والاستخارة الشرعية من القطب النوري الشيخ محمد سعيد سيدا الجزري قدس الله سره وأفاض علينا فيضه وبرّه، وهو عن خاله الشيخ محمد نوري قدس الله سرّه، وهو عن ابن أخته الشيخ محيي الدين قدس الله سره، وهو عن والده العالم الرباني والغوث الصمداني والمجذوب السالك الفاني حضرة الشيخ عمر الزنكاني قدس الله سره وأفاض علينا أنواره وبركاته وبره، وهو بالواسطة نيابة عن قطب العارفين غوث الواصلين إمام المحققين شمس الموحدين تاج الكاملين محيي السنة السنية والقامع للبدع الردية مجدد الدين نور الخافقين حاج الحرمين الشريفين حضرة مولانا الشيخ خالد ذي الجناحين قدس الله سره العزيز، وهو عن صاحب الكمال الصوري والمعنوي حضرة الشيخ عبد الله الشاه الهندي الدهلوي قدس الله تعالى سره العزيز، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين حبيب الله جان جانان المظهر قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمد البدواني قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمد سيف الدين قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمد معصوم قدس سره، وهو عن والده الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي المنتهي نسبه إلى

حضرة أمير المؤمنين خليفة رسول الله ﷺ الثاني عمر الفاروق رضي الله عنه، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ مؤيد الدين محمد الباقي بالله قدس الله سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمد الخواجكي الأمكنكي السمرقندي قدس سره، وهو عن والده العارف بالله تعالى الشيخ درويش محمد قدس سره، وهو عن خاله العارف بالله تعالى الشيخ محمد الزاهد قدس سرّه، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ ناصر الدين عبيد الله الأحرار السمرقندي ابن محمود بن شهاب الدين قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ يعقوب الجرخي الحصاري قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمد علاء الدين العطّار منبع عجائب الأسرار قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى إمام الطريقة وغوث الخليقة المعروف بشاه نقشبند محمد بن محمد بن محمد الأويسي البخاري قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى السيد أمير كلال بن السيد حمزة قدس سرّه، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى علي الرّميتني المشهور بالعزيزان قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمود الانجيرفغنوي قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ عارف الريوكري قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ عبد الخالق الغجدواني بن الإمام الجليل عبد الجميل قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أبي يعقوب يوسف الهمداني بن أيوب يوسف الهمداني بن حسين قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أبي علي الفضل بن محمد الطوسي الفارمذي قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أبي الحسن الخرقاني قدس سره، وهو عن العارف بالله

تعالى الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه، وهو عن العارف بالله تعالى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وهو عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو عن سيدنا أبي بكر الصديق الأكبر رضي الله عنه، وهو عن النبي ﷺ، وهو عن جبريل عليه السلام، وهو عن ربه عزّ وجلّ.

* * *

ترجمة المؤلف الإمام الرباني السرهندي

١) ولادته:

ولد قدّس الله سره يوم عاشوراء[١] سنة إحدى وسبعين وتسعمائة للهجرة، في بلدة سهرند بسين مهملة فهاء فراء مهملة ونون ودال مهملة كذا أوردها حفيده الشيخ محمد مظهر في ترجمته.

وفي بعض نسخ السلسلة الشريفة سرهند بتقديم الراء على الهاء ولعل الأُولى هي الأَولى لأن صاحب الدار أدرى[٢] وهي مدينة عظيمة من أعمال اللاهور في الهند.

٢) تلقيه العلوم والطريق:

تلقى العلوم كلها معقولها ومنقولها عن والده وغيره من محققي زمانه، واشتغل بالطرق الثلاث: القادرية[٣]

---

١ وقيل في أربعة عشر من شوال (٢٦ مارس ١٥٦٤م)

٢ ولكنه اشتهر بالثانية: سرهندي.

٣ القادرية أو الجيلانية: هي الطريقة التي تنتسب إلى مؤسسها القطب أبو صالح سلطان الأولياء سيدي عبد القادر الجيلاني الحسني، ومن قواعد هذه الطريقة المباركة: الالتزام بالكتاب والسنة، والجد والكدّ ولزوم الحدّ، والاجتماع والاستماع والاتباع حتى يحصل الانتفاع، وكثرة الذكر، ومحبة آل البيت، وينتشر أتباعها اليوم في بلاد الشام والعراق ومصر وشرق أفريقيا والسودان والهند وباكستان. طبقات الصوفية، الشعراني ١٤١؛ العقد الثمين، المالكي ١٨٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ١١: ١٧١.

والسهروردية[١] والجشتية[٢] على والده قدس الله سرهما حتى أذن له بالإرشاد والاستخلاف في الطرق وهو ابن سبع عشرة سنة، فما زال مشتغلاً بنشر العلوم والمعارف وتربية السالكين وهداية المريدين وإرشاد الطالبين وفي نفسه شغفٌ عظيمٌ وميلٌ قويٌ لتحصيل نسبة الطريقة العلية النقشبندية لعلمه بفضلها على سائر الطرق وعلوّ نسبتها على كل النسب حتى اجتمع بغوث الزمان العارف بالله تعالى سيدنا الشيخ محمد الباقي قدس الله سره، وقد كان أرسله شيخه القطب الكبير والإمام الشهير سيدنا محمد الخواجكي الأمكنكي قدس الله سره من بخارى إلى الهند فأخذ عنه الطريقة النقشبندية[٣] ولازمه ففاز بأعلى المرام في مدة شهرين وبضعة أيام حتى شهد له شيخه قدس الله سره بالمرادية والمحبوبية والكمال والتكميل وفوض إليه تربية مريديه بل طلب منه

---

١ السهروردية: هي إحدى الطرق الصوفية السنية، تأسست على يد الزاهد العارف الفقيه عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري السهروردي البغدادي (ت ٥٦٣هـ). طبقات الشافعية الكبرى، السبكي ٤: ٢٥٦؛ شذرات الذهب ٤: ٢٠٨.

٢ الجشتية: هي إحدى الطرق الصوفية السُنيّة، قيل إن مؤسسها هو الشيخ أحمد أبدال الجشتي، توفي سنة ٦٣٢هـ في بلدة «اجمير» الهندية، وعندما توفي آخر خليفة لهذه الطريقة الشيخ جرانح الدهلي عام ٧٥٧هـ لم يستخلف أحداً . الموسوعة الصوفية، عبد المنعم الحفني ١٠٣؛ التصوف الإسلامي، سليمان سليم علم الدين ٥٣٠-٥٣١.

٣ وذلك في دهلي عام ١٠٠٧هـ.

الإمداد لنفسه، وقال في حقه: إنه القطب الأعظم[1]. فتصدّر للإرشاد وهداية العباد وعمّ نفعه كل حاضرٍ وبادٍ.

أتتــــه الخلافـــة منقـــادة إلـيــــه تجـــر أذيـالهـــا
فــلم تــــك تـــصلح إلاّ له ولم يك يصـــــلح إلاّ لــــهـا
فلو رامـــــها أحـــــدٌ غيـــره لـــــزلــزلت الأرض زلـــزالها

٣) الثناء عليه والبشارات بظهوره:

أ) ذكر الشيخ المير حسام الدين أحد خلفاء إمام العارفين شيخه الشيخ محمد الباقي قدّس الله سرّه: أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام على المنبر وهو يُثني على الشيخ أحمد السهرندي ويقول: «إنّي أُباهي وأفتخر بوجوده في أمتي، وإنّ الله تعالى جعله مجدداً في أمّتي».

ب) وقد بَشّر بظهوره كبار الأولياء فمن ذلك:

١- ما نقله مولانا الشيخ بدر الدين السهرندي عن قدوة العلماء العارفين بالله تعالى الشيخ أحمد الجامي قدس سره أنه قال: «يجيء من بعدي سبعة عشر رجلاً من أهل الله يُسمّون أحمد، آخرهم يخرج على رأس الألف هو أعلاهم»، وأجمع الجمع الغفير من أهل الكشف على أن المراد به صاحب الترجمة قدّس الله سره.

---

١ كما درس في سيالكوت على المحقق كمال الدين الكشميري بعض المقولات بغاية من التحقيق، وأخذ الحديث عن الشيخ يعقوب الكشميري.

٢-ومنه ما قاله مولانا الخواجكي الأمكنكي لخليفته الشيخ محمد الباقي قدّس الله سرّهما: «إنّه يخرج رجلٌ من الهند يكون إمام عصره، ويكون فتحه على يديك فأسرع إليه! فإنّ أهل الله منتظرون قدومه»، فلمّا توجّه من بخارى إلى الهند واجتمع به المجدد قدّس الله سرّه وأخذ عنه الطريق قال له: «أنت ذلك الرجل المبشّر به»[١].

وقال له أيضا: «لمّا وصلتُ إلى سهرند رأيتُ في الواقعة رجلاً قال لي: إنّه قطب زمانه، فلمّا رأيتك عرفتك بتلك الحلية والصورة».

وقال له أيضا: «لما دخلت سهرند وجدت هناك مِشعلاً يُوقد في غاية العِظم والعلو، حتى كأنّه بلغ عنان السماء وقد امتلأ العالم من نوره شرقاً وغرباً والناس يستوقدون منه سراجاً سراجاً» قال: «وهذا هو شأنك».

٣- ومنه: أنّ صفوة الأولياء العارفين شيخ أبيه الشيخ عبد الأحد في الطريق القادري أودع عند حفيده العارف بالله تعالى شاه اسكندر، جبةً مباركةً موروثةً كما قيل عن الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه وقال: «احفظها حتى يظهر صاحبها». فلمّا ظهر المجدد أمره في الواقعة أن يوصلها إليه وأخبره أنّه أهلها، فلمْ يوصلها، ثم خاطبه في سرّه فلم يفعل، فعاتبه في الثالثة فأتى بها إليه وألبسه إيّاها، فنال بذلك من الأحوال العظيمة ما نال.

---

١ انظر: أحوال الإمام الرباني، لمراد القزاني ١ : ٣٨.

٤-ومنه أنّ تاجراً جليلاً معروفاً بالصدق والأمانة وعليه سيما الصلاح ذكر: أنّه كان في بدايته عظيم الاعتقاد والمحبة للغوث الأكبر سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضوان الله عليه، وكان يَظهرُ لي أحياناً ويُبشّرني بأمور نفيسة ويُغيثني في مهمّاتي، فقال لي يوماً في الواقعة: «إنّك وإن نِلت مني مدداً عظيماً لكن لا بد لك من شيخٍ في الظاهر»، فقلت له: إلى مَنْ أرجع؟ قال: «إلى الشيخ أحمد السهرندي، فإنّه اليوم هو الجامعُ بين الظاهر والباطن وهو قطب زمانه»، فلمّا اجتمعتُ به رأيت عجائب الكرامات وغرائب الكمالات.

٥- ومنه أنّ رجلاً من أكابر أولياء بلخ دخل سهرند فلما رأى الشيخ قدّس الله سره قال: إني كنت في بلخ فحضرت جنازة قد اجتمع لها كافة أولياء ما وراء النهر من السلف والخلف، مثل العارف الكبير والقطب الشهير سيدنا الشيخ عبد الخالق الغجدواني، والغوث الأعظم سيدنا الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي رضي الله عنهما ووقفوا ينتظرون قدوم الأقطاب، فبينما هم كذلك إذ جاء رجل جليل المقدار باهر الأنوار فقدّموه فأمّهم، فسألت عنه فقيل لي: إنّه الشيخ أحمد السهرندي.

٤) تيسير منازل السلوك له:

قال قدّس الله سرّه: اعلم أنّ العناية الإلهيّة جذبتني جذب المُرادين أولاً، ثمّ يسّرت لي طيّ منازل السلوك ثانياً، فوجدتُ الله سبحانه أولاً عينَ الأشياء كما قاله أرباب توحيد الوجود من متأخري الصوفية.

ثم وجدتُ الله تعالى في الأشياء من غير حلول وسريان، ثم وجدته سبحانه معها بمعيّة ذاتيّةٍ، ثم رأيته بعدها، ثم قبلها، ثم رأيتُه سبحانه وما

رأيت شيئاً، وهو المعنيّ بالتّوحيد الشهودي المعبر عنه بالفناء، وهو أوّل قدم توضع في الولاية، وأسبق كمال في البداية، وهذه الرؤية في أي مرتبة من المراتب المذكورة تحصل أولاً في الآفاق، ثم ثانياً في الأنفس.

ثمّ ترقيّت في البقاء، وهو ثاني قدمٍ في الولاية، فرأيتُ الأشياء ثانياً، فوجدتُ الله تعالى عينَها، بل عين نفسي، ثمّ وجدتُه تعالى في الأشياء بل في نفسي، ثمّ مع الأشياء بل مع نفسي، ثمّ قبل الأشياء بل قبل نفسي، ثمّ بعد الأشياء بل بعد نفسي، ثمّ رأيتُ الأشياء وما رأيت الله تعالى أصلاً، وهي النّهاية التي هي الرجوع إلى البداية والعَود إلى مرتبة العوام.

وهذا المقام هو أتمّ مقامات دعوة الخلق إلى الحق، وأكمل منازل التّكميل والإرشاد لتمام المناسبة للخلق المقتضية لكمال الإفادة والاستفادة.

٥) شمائله:

١. كان يقول: ما قيمة عملنا وجهودنا؟ كل ذلك من فضل الله سبحانه، وإذا كان هناك ما يُعتمد عليه، فهي طاعة سيّد الأولين والآخرين، ومتابعتُه هي القطب الذي تدور حوله الأعمال، وكلّ ما أعطى الله ورزق عباده فمن طريق اتّباعه والاهتداء بهديه، وكلّ ما حُرمناه -جُزءاً أو كُلاً- فسببه التّقصير وفتور الهمة في الاتباع بحكم البشرية.

٢. وقال: دخلتُ المرحاض يوماً فبدأتُ برجلي اليمنى سهواً، فحُرمتُ كثيراً من الأحوال والمقامات ذلك اليوم.

٣. وكان كثيراً ما يأمر أصحابه بدوام الذكر والاستحضار والمراقبة، ويقول: هذه الدنيا دار العمل، ومزرعةٌ للآخرة، فينبغي الجمع بين استحضار

القلب وذكره، وبين الأعمال الظاهرة والآداب الشرعية، وكانت تتورم قدما الرسول ﷺ في الصلاة، مع كونه حبيب ربّ العالمين، وأفضل الأنبياء والمرسلين.

٤. ورغم أنّ الإمام كان مستحضراً للمتون والمسائل الفقهية، وصاحب مَلَكة راسخة في أصول الفقه، إلاّ أنّه كان – لاحتياطه وورعه في الدين –يُراجع الكتب المعتبرة في الفتاوى، ويصطحبها معه في السفر والحضر، ويعمل بما أفتى به كبار الفقهاء ورجّحوه.

٥. وكان يجلس من بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس في الحلقة، ثم يتطوّع عند الإشراق.

٦. وكان يُحرّض المريدين والأصحاب على مطالعة كتب الفقه ودراستها، ويرغبهم في الرجوع إلى العلماء، وسؤالهم عن الأحكام الشرعية.

٧. وكان شديد الكراهية والمجانبة للغِيبة وعيوب المسلمين، ولم يكن الخدم والمسترشدون يتجرؤون لوقاره ومهابته على أن يغتابوا أحداً في مجلسه.

٨. وكان يدخل البيت بعد صلاة الضحى، والضحوة الكبرى، ويتناول الغداء مع الأهل والعيال، وفي الأيام الأخيرة من حياته لما اعتزل الناس وعكف على العبادة، وأكثر من الصيام، كان يتناول الطعام في الخلوة، ولم يكن يقرأ الفاتحة بعد الطعام لأنّه لم ترد به أحاديث صالحة للاحتجاج، كما لم يكن يقرأ الفاتحة بعد الصلوات المكتوبات، ويقيل بعد تناول الغداء عملاً بالسنة.

٩. وكان يصلي العصر إذا كان ظلّ كلّ شيءٍ مثليه، ثم يبقى من بعد العصر إلى المغرب مع أصحابه ومريديه في صمت ومراقبة، ويتوجّه إلى كيفيّات المريدين وأحوالهم الباطنة، ويصلي بعد صلاة المغرب ركعتي السنة، وصلاة الأوّابين أربع ركعات حيناً، وستّ ركعات حيناً آخر، ويصلي العشاء بعد زوال الشفق الأبيض.

١٠. وكان يهتم بالتطوع بعد الوضوء، وعند دخول المسجد، وكان ينهى الناس عن الاجتماع للصلاة النافلة اللّيلة العاشرة من محرّم أو ليلة القدر.

١١. وكان يخرج لعيادة المرضى، يدعو لهم بالدعوات المأثورة في مثل ذلك، ويخرج لزيارة القبور، وقلّ اشتغاله بالتدريس في الأيام الأخيرة، وكان يوجّه الطلاب الى تحصيل العلوم الدينية بتأكيد بالغ، ويقدمها على تحصيل علم الطريقة والسلوك، وكان يُكثر من التّحميد والاستغفار، ويلهج بالشكر والثناء ويكثر منه على قليل من النعمة أو الكثير.

١٢. وكان شأنه إذا جاءته هدية أو تحفة، فلا يترقب حولان الحول عليه، بل يؤدي الزكاة المفروضة في قيمة هذه الهدايا والنّعم، وكان يُفضل عند توزيع الزكاة أهل الصلاح من الرجال، والصالحات من الأيامى وذوي قرباه.

١٣. كان غايةً في التواضع ولين الجانب، و الخُلُق، و العِشرة والشفقة على الخلق، وبالغاً ذروة الرّضا، والتوكل والتفويض، وقد أوذي من أقربائه وأصدقائه وأحبابه ومن الحكّام الجائرين إيذاءً شديداً، ولكنّه التزم جانب الرضا والتفويض، وما تكلم لسانه بشيء ينبئ عن التّبرم والشكوى.

١٤. وكان إذا زاره أحد قام احتراماً وتكريماً له، ويجلسه في مكان بارز، ويتحدث معه بما يناسب ذوقه، ولكنه لم يكن يحترم غير المسلمين وإن كانوا ولاة وأمراء.

٦) قوله في الجذبة[١] والمراتب والمقامات[٢]:

قال قدّس الله سرّه: «لما صحبتُ مولانا الشيخ الأجل والعارف الأكمل: محمد الباقي أبقاه الله تعالى، حصل لي ببركة توجهه الجذبة التي تشعّبت بعد الاستهلاك في صفة القيوميّة، وتشرفتُ باندراج النهاية في البداية، ثمّ حصلتْ لي مراتب السلوك، ووصلتُ إلى النهاية التي هي عبارة عن الوصول إلى الاسم الرّب بمدد أسد الله الغالب كرم الله تعالى وجهه.

ثمّ ترقيت إلى القابلية التي هي عبارة عن الحقيقة المحمّدية بمدد الشيخ بهاء الدين شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز، ثمّ إلى مقام إجمال تلك القابلية، وهو مقام الأقطاب المحمّدية، بمدد الرّوح المقدّسة النبوية، وفي أثناء ذلك حصل لي مددٌ يسير من الشيخ علاء الدين العطّار قدّس الله سرّه.

١الجذبة: عبارة عن تقرب العبد بمقتضى عناية الله التي أعدت له كل شيء من جانب الله بلا تعبٍ أو سعي من العبد، أو هي: أخذ الله السالك إلى حضرته، قال الإمام الرباني: والجذبة مقدمة على السلوك في الطريقة النقشبندية، وهي نوعان: جذبة خفية، وجذبة جلية. المكتوبات ١: ٤٧٠؛ معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحفني ٦٢.

٢مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل، والمقام: هو مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من المجاهدات والرياضات والعبادات. انظر: مقامات الصوفية، ابن الصنهاجي؛ معجم مصطلحات الصوفية، الحفني، ٢٤٨.

ولمّا وصلتُ إلى ذلك المقام أُعطيتُ خِلعةَ القطبيّة من الحضرة المحمّدية، ثم جذبتني العناية الإلهيّة فعرجتُ إلى مقام الأصل الممتزج بالظل الذي فوق مقام الأقطاب المختص بالإفراد، ثمّ أدركتني العناية الصمدانيّة، فأوصلتني إلى مقام الأصل الخاص، وفي هذا العروج وصل إليّ من الغوث الأعظم: الشيخ عبد القادر الكيلاني قدّس الله سرّه العزيز مددٌ عظيم وتصرُّفٌ قوي أوصلني إلى مقام أصل الأصل.

ثمّ نزلتُ إلى العالم المعبّر عنه بـ«السير عن الله بالله»، فمررتُ إذْ ذاك على مقامات مشايخ السلاسل سوى النقشبندية والقادرية، فاستقبلوني بالتّعظيم والإكرام، وألقوا عليّ من نفائس نِسَبهم وخصائص مواجيدهم، وانكشفت لي حقائق كل منها وتفاوت درجاتها، وكان حصول العلوم اللّدنية لي من روحانية الخضر على نبينا وعليه السلام قبل وصولي إلى مقام الأقطاب المذكور سابقاً، وبعد الوصول إلى ذلك المقام يأخذ الواصل من حقيقة نفسه، كلّ ذلك بوراثته ﷺ.

٧) عروجه فوق العرش ورؤيته مقامات بعض الأولياء:

قال قدّس الله سرّه: «كثيراً مّا كان يُعرج بي فوق العرش المجيد، ولقد عُرج بي مرة، فلمّا ارتفعت فوقه بقدر ما بين مركز الأرض وبينه، رأيتُ مقام الإمام شاه نقشبند رضي الله عنه، ورأيت فوق ذلك قليلاً مقامات بعض المشايخ منهم: الشيخ معروف الكرخي، والشيخ أبو سعيد الخراز رضي الله عنه والبعض في مقامه، وتحته الشيخ نجم الدين الكبرى والشيخ علاء الدين عطّار وسائر المشايخ دونه، وفوق هذه الدرجات مقام أئمة أهل البيت،

والخلفاء الراشدين، وكافة الأنبياء فوقهم على طرفٍ من مقام نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام، ومقامات الملائكة على الطرف الأخر، ومقامه ﷺ أرفع وأعلى، وأعلمُ أني كلمّا أريدُ العروج يتيسر لي وربما يقع من غير قصد».

٨) قوله في الفرق بين مجدّد كلّ مائة وبين مجدّد الألف:

قال قدّس الله سرّه: «روى أبو دواد عنه ﷺ أنّه قال: «إنّ الله يبعث على رأس كلّ مائة سنة من يُجدِّد لهذه الأمة أمر دينها»[١]، لكن بين من يجدد المائة، ومن يجدد الألف من الفرق، كما بين المائة والألف بل أعظم من ذلك».

٩)بشارة الرسول ﷺ له:

قال قدّس الله سرّه: «بشّرني رسول الله ﷺ بأنّك من المجتهدين في علم الكلام، ويغفرُ الله بشفاعتك لألوفٍ يوم القيامة، وكتب لي خط الإرشاد بيده الشريفة وقال: لم أكتب لأحدٍ قبلك مثله».

١٠)كون معارفه من مشكاة النبوة:

قال قدّس الله سرّه: «العلوم والمعارف الصادرة عني هي خارجة عن طور الولاية؛ وإنّما هي مقتبسةٌ من مشكاة أنوار النبوة على مصدرها الصلاة والسلام، جدَّدتُ تجديد الألف الثاني بطريق التبعية والوراثة، تعجز الأولياء كالعلماء عن إدراكها لأنّها وراء علوم العلماء ومعارف الأولياء؛ بل علوم هؤلاء بالنسبة لتلك العلوم قشرٌ وتلك العلوم لُبابها، ولا تُخالفُ الشريعة بل

---

١ سنن أبو داود: باب ما يذكر في القرن المائة ٤: ١٠٩، حديث (٤٢٩١)؛ والطبراني في الأوسط ١: ٣٣٣ حديث (٦٥٢٧).

هي أساس الدين وخلاصة علم الذّات والصفات تعالتْ وتقدست، وما تكلّم بها أحدٌ من العظماء ولا الكُبراء، استأثر الله سبحانه بها هذا العبد، فصاحب هذه العلوم والمعارف مجدد هذا الألف، والمجدد هو الذي لا يفيض الحق على جميع العالم مدة تجديده شيئاً إلا بواسطته».

١١) كشف المتشابهات له:

قال قدّس الله سرّه: «كُشِفتْ لي خفايا المتشابهات القرآنية، وأسرار المقطوعات الفُرقانيّة، فوجدتُ تحت كلِّ حرف منها بحراً من العلوم الدالة على الذّات العلية، لو أظهرتُ شيئاً منها لقطع مني الحلقوم».

١٢) اطّلاعه على أسماء من يدخل في سلسلته:

وقال قدس الله سره: «أطلعني الله على أسماءِ من يدخلون في سلسلتنا من الرّجال والنساء إلى يوم القيامة، وإنّ نسبتي هذه تبقى بواسطة أولادي إلى يوم القيامة، حتى إنّ الإمام المهدي يكون على هذه النّسبة الشريفة».

١٣) غفران من توسل به:

وقال قدّس الله سرّه: «كنت مرة في حلقة ذكر مع أصحابي، فخطر لي أنّي في قصورٍ ونقص، فأُلقي إليّ في الحال أنّه: إنّي قد غفرتُ لك ولمن توسّل بك إليّ بواسطةٍ أو بغير واسطة إلى يوم القيامة».

١٤) اجتماعه بالرّوحانيّات:

وقال الشيخ رضي الله عنه: «جاءتني روحانيّة أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه فقالت: إنّي بُعثتُ إليك لأُعلِّمك علم السموات، واجتمعتُ بروحانيّات الإمام الأعظم أبي حنيفة وأساتذته وتلامذته والإمام الشافعي

وأساتذته وأمدّوني بإمدادهم، وأفاضوا عليّ من بركاتهم، حتى استغرقتُ في أنوارهم.

وربّتني روحانيّة حضرات السادات النّقشبندية والقادرية والجشتية والسهروردية، فتحلّيت بنسبتهم الخاصة، حتى صرتُ لو أردت أن أربي السالكين بنسبة كلّ واحد منهم لفعلت».

١٥) محنته:

سجن قدّس الله سرّه لعدم سجوده للسلطان جهان كَير، ولبث في السجن ثلاث سنين ثمّ أخرجه بشرط أن يُقيم في معسكره ويدور معه، وأقام كذلك ثلاث سنين أيضاً ثم أطلقه، فعاد إلى سهرند والعود أحمد[1].

وذكر نجله الأكبر قُدِّس سرّه: أنّ سبب إطلاقه أنّه كان مع ما عليه الحصن من الحصانة والحرس الشديد والمحدق به من كل الجوانب، يخرج رضي الله عنه لصلاة الجمعة فيصلي ثم يرجع، ولا يعلمون من أين يخرج! فلمّا رأوا ذلك أخرجوه من السجن ثم أطلقوه مطلقاً، ولمَّا لم يتمكّن مدّة حبسه أن يُرشد الناس بنفسه، جعل يُرشدهم بكتبه، نفعنا الله تعالى به.

١٦) قوله في وجوب سلوك طريق الصوفية:

قال قدّس الله سرّه: «اعلم يا أخي أنّ الذي لا بدّ منه وكلّفنا الله به امتثال الأوامر واجتناب النواهي بالإخلاص لقوله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ

---

١ وكان له من العمر ثلاث وستون سنة.

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[الحشر: ٧]، وقوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:٥]

وإذا كنا مأمورين بالإخلاص في ذلك وهو لا يُتصوّر بدون الفناء وبغير المحبة الذّاتية وجب علينا أيضاً سلوك طريق الصوفية الموصلة للفناء والمحبة الذاتية حتى نتحقق حقيقة الإخلاص، ولما كانت طرق الصوفية متفاوتة بالكمال والتكميل، كانت الطريقة التي تلتزم متابعة السنة السنية والعزيمة واجتناب البدعة والرخصة أولى وأنسب بالاختيار، وذلك الطريق هو طريق السادات النقشبندية قدّس[1] الله أسرارهم العليّة، فإن هؤلاء الأكابر التزموا في هذا الطريقة متابعة السنة واجتناب البدعة: لا يجوّزون العمل بالرخصة ولو وجدوا ظاهراً أن له نفعاً في الباطن، ولا يتركون الأخذ بالعزيمة ولو علموا صورةً أنه مضر بالسيرة، ويجعلون الأحوال والمواجيد تابعة للأحكام الشرعية، والأذواق والمعارف خادمة للعلوم الدينية، ولا يستبدلون الجواهر النفيسة الشرعية مثل الأطفال بجَوز الوجد وزبيب الحال، هذا حالهم على الدوام ووقتهم، محيت نقوش السوى من بواطنهم بحيث لو تكلّفوا ألف سنة أن يتذكروها لا يتيسر لهم ذلك.

والتجلي الذاتي الذي هو لغيرهم كالبرق، دائمٌ لهم، والحضور الذي يعقبه غيبة لا اعتبار له عند هؤلاء الأعزة ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور:٣٧] حالهم، فطريقهم أقرب الطرق قطعاً وموصلة البتة، ونهاية

---

١ في الأصل: فقدّس.

غيرهم مندرجة في بداية هؤلاء الأكابر، ونسبتهم المنسوبة إلى الصدّيق الأكبر رضي الله عنه فوق جميع نسب جميع المشايخ، ولا يصل إلى ذوق هؤلاء[1] السادة فهم كل أحد:

أولئك آبائي فجـــئني بمثلـــهـــم إذا جـمعـتـنا يا جـــرير المجامـــع

١٧) قوله في السير والسلوك وأقسامها:

وقال قدّس الله سرّه: «السير إلى الله عبارة عن الحركة العلمية ذاهباً من العلم الأدنى إلى العلم الأعلى، ومن هذا إلى أعلى آخَر وهكذا إلى أن تنتهي إلى علم الواجب تعالى، بعد طيّ علوم الممكنات كلها وزوالها بأسرها، وهذه الحالة المعبّر عنها بالفناء.

والسير في الله: عبارة عن الحركة العلمية في مراتب الوجوب من الأسماء والصفات والشؤون والاعتبارات والتقديسات والتنزيهات، إلى أن تنتهي إلى مرتبة لا يمكن التعبير عنها بعبارة ولا يُشار إليها بإشارة ولا تسمى باسم، ولا يُكنّى عنها بكناية، ولا يعلمها عالم ولا يدركها مدرك وهذا السير يسمى بالبقاء.

والسير عن الله تعالى بالله الذي هو السير الثالث أيضاً: عبارة عن الحركة العلمية نازلاً من العلم الأعلى إلى العلم الأدنى، ومن الأدنى إلى الأدنى وهكذا إلى أن يرجع إلى الممكنات رجوع القهقرى، وينزل من علوم مراتب

---

١ في الأصل : هذه.

الوجوب كلها وهو العارف الذي نسي الله بالله، ورجع عن الله مع الله، وهو الواجد الفاقد الواصل المهجور، وهو القريب البعيد.

والسير الرابع الذي هو السير في الأشياء: عبارة عن حصول علوم الأشياء شيئاً فشيئاً بعد زوال تلك العلوم كلها في السير الأول.

فالسير الرابع مقابلٌ للسير للأول، والسير الثالث للثاني كما ترى، والسير إلى الله والسير في الله لتحصيل نفس الولاية التي هي عبارة عن الفناء والبقاء، والسير الثالث والرابع لحصول مقام الدعوة الذي هو مخصوص بالأنبياء المرسلين صلوات الله وتسليماته على جميعهم عموماً وعلى أفضلهم خصوصاً، وللمتابعين الكاملين أيضاً نصيبٌ من مقام هؤلاء الأكابر لا ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[يوسف: ١٠٨].

١٨) قوله في الولاية وقِسميها:

وقال قدّس الله سرّه: الولاية عبارة عن الفناء والبقاء، وهي إمّا عامة وإمّا خاصة.

ونعني بالعامة: مطلق الولاية، وبالخاصة: الولاية المحمّدية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية، الفناء فيها أتم والبقاء أكمل.

ومن شُرِّف بهذه النعمة العظمى فقد لان جلدُه للطاعة، وانشرح صدره للإسلام، ورضيت نفسه عن مولاها ورضي مولاها عنها، وسَلِمَ قلبُه لمقلّبه أي الله، وتخلّصت روحه كليةً إلى مكاشفات حضرة صفات اللّاهوت، وشاهد سرّه مع ملاحظة الشؤون والاعتبارات.

وفي هذا المقام يتشرّف بالتّجليات الذّاتية البرقيّة ويتحير خفية بكمال التّنزه والتقدس والكبرياء، ويتصل أخفاه اتصالاً بلا كيف ولا ضرب من المثال.

١٩) قوله في بيان المانع من سرعة تأثر بعض السالكين:

وقال قدّس الله سرّه: المانع من سرعة تأثر بعض سالكي هذه الطريقة العلية ومن وجدانهم اللّذة والحلاوة التي هي مقدمة الجذبة، مع ابتداء سيرهم من عالم الأمر هو: أنّ عالم الأمر فيهم ضعيف بالنسبة إلى عالم الخلق الذي فيهم، ولا يزال هذا الضعف فيهم حتى يقوى عالم الأمر فيهم على عالم الخلق.

والذي يناسب لعلاج هذا الضعف في هذه الطريقة العلية التصرف التام من المرشد الكامل، وفي سائر الطرق تقديم تزكية النفس والمجاهدات والرياضات الشاقة الموافقة للشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية[1].

٢٠) قوله في أصل كلِّ بلاء:

قال قدّس الله سرّه: اعلم أن أصل كل بلاء إنّما يكون من الابتلاء بالنفس، ومتى تخلّص الإنسان منها تخلّص من الابتلاء بما سواه تعالى، وإن كان الإنسان يعبد الأصنام فإنما يعبد نفسه في الحقيقة ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] خلّ نفسك وتعال.

---

١ مكتوبات الإمام الرباني: المكتوب الخامس والأربعون والمائة ١: ١٩٧ بتصرف.

وكما أن الخروج عن النفس والمرور عنها فرض، كذلك الدخول إليها والغوص فيها لازم، فإن الوجدان إنما يكون فيها، ولا يكون في الخارج عنها[1].

٢١) قوله في تفاوت مراتب الكمال:

قال قدّس الله سرّه: اعلم أنّ مراتب الكمال متفاوتة بحسب تفاوت الاستعدادات، والتفاوت في الكمال قد يكون بحسب الكمية أي العدد، وقد يكون بحسب الكيفية أي الوصف، وقد يكون بهما معاً.

فكمال البعض مثلاً بالتجلي الذاتي، وكمال الآخر بالتجلي الصفاتي مع تفاوت بيّن جداً بين هذين التجليين وبين أربابهما.

وكمال البعض بسلامة القلب وتخلّص الروح، وكمال الآخر بهما وبالشهود السريّ أيضاً، وكمال الثالث بهذه الثلاثة وبالحيرة المنسوبة إلى الخفي، وكمال الرابع بهذه الأربع وبالاتصال المنسوب إلى الأخفى ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

وبعد حصول الكمال في أي مرتبة كانت من المراتب المذكورة، فإما رجوع قهقرى أو ثبات واستقرار في الموطن.

فالأول: هو مقام التكميل والإرشاد، ورجوع من الحق إلى الخلق للدعوة، والثاني: هو موطن الاستهلاك والعزلة عن الخلق[2].

---

١ المكتوبات: المكتوب الرابع والخمسون والمائة ١: ٢٠٣.

٢ مكتوبات الإمام الرباني: المكتوب الثامن والخمسون والمائة ١: ٢٠٥-٢٠٦

٢٢) قوله في إزالة المرض القلبي:

قال قدّس الله سرّه: إنّ إزالة المرض القلبي في هذه الفرصة اليسيرة بالذكر الكثير من أهم المهمات، وعلاج العلة المعنوية في هذه المهلة القليلة من أعظم المقاصد والقلب المبتلى بالغير لا يرجى منه خير[١].

٢٣) قوله في شأن البدعة:

قال قدّس الله سرّه: قال عليه الصلاة والسلام: «ما أحدث قومٌ بدعة إلاّ رُفع مثلها من السنة»[٢]، وعن حسّان رضي الله عنه قال: «ما ابتدع قومٌ بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يُعيدها إليهم إلى يوم القيامة»[٣].

بناءً عليه فبعض البدع التي قال العلماء: إنها حسنة إذا تأملتها تجدها رافعة لسنة، مثلاً قالوا في تكفين الميت: العمامة بدعة حسنة، مع أنّ هذه البدعة رافعة لسنة، فإنّ الزيادة على العدد المسنون -الذي هو ثلاثة أثواب- نسخ، والنسخ عين الرفع.

وهكذا استحسن المشايخ إرسال العذَبَة من الجانب الأيسر، والسنة في العذبة أن تكون بين الكتفين[٤]، فظاهرٌ غاية الظهور أنّ هذه البدعة رافعة لسنة.

---

١ مكتوبات الإمام الرّباني: المكتوب السادس والستون والمائة ١: ٢١٨- ٢١٩

٢ رواه الطبراني وأحمد في مسنده.

٣ رواه الدارمي في سننه موقوفاً على حسان بن ثابت ١: ٤٥ وإسناده صحيح.

٤ عن ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يسدل عمامته بين كتفيه، وأن ابن عمر كان يفعل ذلك. رواه الترمذي في سننه: باب في سدل العمامة بين الكتفين ٤: ٢٢٥

وكذلك ما استحسنه العلماء في نية الصلاة من التلفظ بها باللسان مع وجود إرادة القلب، والحال أنه ما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام لا برواية صحيحة ولا ضعيفة، ولا عن الصحابة الكرام، ولا التابعين العظام أنهم أتوا بالنية باللسان، بل كانوا يكبرون تكبيرة التحريم حين تقام الصلاة، فالنية باللسان بدعة ويسمونها حسنة.

والفقير يعلم أن هذه البدعة رافعة للفرض فضلاً عن السنة، فإنّ أكثر الناس يكتفون في جواز ذلك باللسان ولا يبالون بغفلة القلب، فيكون قد ترك في ضمن ذلك فرضاً من فرائض الصلاة، وعلى هذا القياس سائر المبتدعات والمحدثات، فإنها زيادات على السنة ولو بوجه من الوجوه، والزيادة نسخ، والنسخ رفع[1].

٢٤) قوله في الولاية والخوارق:

قال قدّس الله سرّه: اعلم أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء، والخوارق من لوازمها، ولكنْ ما كل من كانت خوارقه أكثر تكون ولايته أتم وأكمل، بل كثيراً ما يكون ظهور الخوارق قليلاً وتكون الولاية أتم وأكمل.

ومدار كثرة الخوارق على شيئين وهما: أن يكون الصعود في وقت العروج أكثر، والهبوط في وقت النزول أقل، بل الأصل العظيم في كثرة ظهور

برقم(١٧٣٦)؛ والنسائي في سننه (نحوه) ٨: ٣١١ برقم (٥٣٤٦)؛ وابن ماجه في سننه ٢: ١١٨٦ برقم(٣٥٨٧).

١ مكتوبات الإمام الرباني: المكتوب السادس والثمانون والمائة ١: ٢٣٩.

الخوارق هو قلة النزول كيف ما كان العروج، لأن صاحب النزول ينزل إلى عالم الأسباب فيجد الأشياء مربوطة بها، ويرى فعل المسبب من ورائها، والذي لم ينزل أو نزل ولكنه لم يصل إلى الأسباب فنظره مقصور على مسبِّب الأسباب، والأسباب قد ارتفعت عن نظره، والحق سبحانه يعامل كلَّ أحدٍ على حسب ظنه، فيقضي أمر من يرى الأسباب بها، ويقضي أمر من لا يرى الأسباب بدونها، قال تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي».

ولطالما كان يخطر ببالي أنه ما السبب في كون الخوارق التي ظهرت على يد الشيخ عبد القادر رضي الله عنه لم تظهر على يد كثير من كمّل الأولياء السابقين؟! حتى أطلعني الله تعالى على سر ذلك، وهو أنه كان عروجه أعلى من أكثر الأولياء، وفي جانب النزول كان نزوله إلى مقام الروح الذي هو فوق عالم الأسباب.

ومما يناسب هذا المقام ما حُكي أن الحسن البصري رضي الله عنه كان واقفاً على شاطىء النهر ينتظر السفينة، فجاء حبيب العجمي رضي الله عنه فوجده واقفاً فقال له: ماذا تنتظر؟ قال: السفينة، فقال له: وأي حاجة إلى السفينة؟ أما لك يقين! فقال الحسن: أما لك علم؟

فلمّا كان الحسن نازلاً إلى عالم الأسباب عمل بها، وحبيب لم ينزل إلى عالم الأسباب عمل بدونها، والفضل للحسن[1].

---

1 المكتوب السادس عشر والمائتان ١: ٢٧٩-٢٨٠.

٢٥ - قوله في تحقيق إحاطة الحق وسريانه في الأشياء:

وقال قدّس الله سرّه: «اعلم أنّ إحاطة الحق سبحانه بالأشياء أو سريانه فيها كإحاطة المجمل بالمفصَّل وسريانه فيه كالكلمة مثلاً؛ فإنّها سارية في جميع أقسامها من الاسم والفعل والحرف، وكذا في أقسام الأقسام من الماضي والمضارع والأمر والنهي والمصدر واسم الفاعل والمفعول والمستثنى والمتصل والمنقطع والحال والتمييز والثلاثي والرباعي والخماسي والحروف الجارّة والناصبة والحروف المختصة بالأفعال والحروف المختصة بالأسماء والحروف الداخلة عليهما إلى غير ذلك من الأقسام الحاصلة من التقسيمات الغير المتناهية.

فهذه الأقسام كلها ليست غير الكلمة؛ بل هذه اعتبارات مندرجة تحت الكلمة ما زادت - في تفصيلها وتمييزها عن الكلمة وفي تمييز بعضها عن بعض- غير اعتبار العقل في الذهن، وأما في الخارج فليست إلاّ الكلمة فلهذا صح الحمل.

ولكن لكل مرتبة من المراتب اسم يختص بها وأحكام لا توجد في غيرها، مثلاً:

الدال على المعنى بالاستقلال مع الاقتران بالزمان فعل، وبغير الاقتران اسم، وغير الدال على المعنى بالاستقلال حرف.

وكذا المقترن بالزمان الماضي فعل ماض، وبالزمان الحال والاستقبال فعل مضارع، وما وجد فيه علتان من العلل التسعة المشهورة فغير منصرف وإلاّ فمنصرف، وحروف عملها الجر جارة وحروف عملها النصب ناصبة.

فإطلاق اسم مرتبة على مرتبة أخرى وإجراء أحكام إحداهما على أخرى -كإطلاق الفعل الماضي على المضارع، والمنصرف على غير المنصرف، والجارة على الناصبة، مع كون المراتب كلها ليست إلاّ الكلمة- ضلالة وخروج عن الصراط السوي.

إذا تقرّر هذا فنقول والله سبحانه وتعالى أعلم:

إنّ لكلّ مرتبة من مراتب تنزل الوجود سبحانه اسماً مختصاً بها، وأحكاماً لا توجد إلاّ فيها، فالوجوب الذاتي والاستغناء الذاتي مختصان بمرتبة الجمع والألوهية، والإمكان الذاتي والافتقار الذاتي مختص بمرتبة الكون والفرق، والمرتبة الأولى مرتبة الرّبوبيّة والخالقية، والمرتبة الثانية مرتبة العبودية، فلو أُطلق اسم مرتبةٍ على أخرى وأُجريت أحكام مختصّة بمرتبة على مرتبة أخرى لكان زندقةً وكفراً محضاً.

والعجب من بعض الملاحدة والزنادقة أنهم كيف يخلطون المراتب ويجرون أحكام بعضها على بعض! فيصفون الممكن بصفات الواجب والواجب بصفات الممكن، مع علمهم بتمييز صفات الممكن -الذي هو مرتبة واحدة- بعضها عن بعض، واختلاف حكم كلّ واحد منه، وعلمهم بعدم زوال ذلك التمييز وذلك الاختلاف، وكل ذلك في مرتبة واحدة!

فإنّهم يعلمون بالبداهة مثلاً أنّ الحرارة والإشراق من صفة النار المختصان بها ولا توجد واحدة منهما في الماء ولا يوصف بهما الماء، وكذا البرودة والرطوبة المختصتان بالماء ولا توجدان في النار، وكذا يميزون

بالضرورة بين أزواجهم وأمهاتهم ويحكمون بتفرقة أحكامهما والله الهادي إلى سبيل الرشاد[١].

٢٦) قوله في العالم الوارث للنبي ﷺ:

وهو الذي جمع بين علم الأحكام وعلم الأسرار قال قدس الله سره: ورد في الحديث الشريف: «العلماء ورثة الأنبياء»[٢]، فالعلم الذي بقي عن الأنبياء نوعان: علم الأحكام وعلم الأسرار.

والوارث: هو الذي يكون له من كلا النوعين نصيب، والذي يكون له نصيب من نوع واحد ليس بوارث؛ إذ الوارث له نصيب من جميع أنواع تركة المورث لا من بعض دون بعض، والذي له نصيب من واحد داخل في الغرماء الذين تعلق نصيبهم بجنس حقهم.

وكذلك ورد في الحديث: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»، فالمراد من العلماء: العلماء الوارثون لا الغرماء الذين أخذوا نصيباً من بعض التركة، فإن الوارث بواسطة القرب والجنسية يقال إنه مثل المورِّث، بخلاف الغريم فإنه خال عن هذه العلاقة.

---

١ المكتوب السابع والتسعون والمائتان ١: ٥٣٣- ٥٣٥.

٢ رواه الثلاثة عن أبي الدرداء رضي الله عنه: رواه أبو داود في سننه ٣: ٣١٧ حديث (٣٦٤١)؛ والترمذي في سننه ٥: ٤٨ حديث (٢٦٨٢)؛ وابن ماجه في سننه ١: ٨٢ حديث(٢٢٣) وغيرهم.

والذي لا يكون وارثاً لا يكون عالماً إلاّ أن نخص علمه بنوع واحد فنقول: عالم بعلم الأحكام، والعالم المطلق: هو الذي يكون وارثاً ويكون له من كلا نوعي العلم نصيب وافر.

وأكثر الناس يظنون أن علم الأسرار عبارة عن علم توحيد الوجود وشهود الوحدة في الكثرة ومشاهدة الكثرة في الوحدة، وكناية عن معارف الإحاطة وسريان الوجود والقرب ومعيّته تعالى على النهج المكشوف والمشهود لأرباب الأحوال، حاشا وكلا أن تكون هذه العلوم والمعارف من علم الأسرار وأن تليق بمرتبة النبوة، فإنّ مبنى هذه المعارف سكر الوقت وغلبة الحال المنافي للحضور، وعلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سواء كان علم الأحكام أو علم الأسرار كله صحو في صحو، ما امتزجت به شمة من السكر.

بل إنما هذه المعارف من أسرار الولاية للذين لهم قدم راسخ في السكر لا من أسرار النبوة، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن كان لهم أيضاً ولاية، ولكن أحكام الولاية مغلوبة مضمحلة في جنب أحكام النبوة.

٢٧) قوله في أنّ الحق مع العلماء في كل مسألة فيها خلاف بينهم وبين الصوفية:

قال قدّس الله سرّه: «اعلم أنّ كلّ مسألة يكون فيها خلاف بين العلماء والصوفية إذا تأملت ودققت النظر تجد الحق مع العلماء.

وسرّ ذلك أنّ نظر العلماء بواسطة متابعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نافذٌ إلى كمالات النبوة وعلومها، ونظر الصوفية مقصور على كمالات الولاية

ومعارفها، فتكون العلوم المأخوذة عن مشكاة النبوة أصوب قطعاً من العلوم المأخوذة عن رتبة الولاية».

٢٨) قوله في أنّ الشريعة والحقيقة متحدان:

قال قدس الله سره: اعلم أنّ الشريعة والحقيقة متحدان في الحقيقة لا تغاير بينهما ولا فرق إلاّ:

بالإجمال والتفصيل: فالشريعة إجمال والحقيقة تفصيل.

وبالاستدلال والكشف: فالشريعة استدلال والحقيقة شهادة.

وبالتّعمل وعدمه: فالشريعة تعمّل وتكلّف، والحقيقة لا تعمّل فيها ولا تكلّف.

فالأحكام والعلوم التي ثبتت وتبيّنت بموجب الشريعة الغرّاء هي التي تتبين بعينها بعد التّحقق بحقيقة حق اليقين، وتنكشف بالتفصيل وتظهر من الغيب إلى الشهادة ويرتفع تمحّل العمل من البين.

وعلامة الوصول الى حقيقة حق اليقين مطابقة علومه ومعارفه لعلوم الشريعة ومعارفها، ومادامت المخالفة موجودة ولو بأدنى شعرة، فذلك دليل على عدم الوصول.

وكل خلاف وقع من كافة مشايخ الطرق للشريعة فهو مبني على سكر الوقت، وهو لا يكون إلاّ في أثناء الطريق، والمنتهون إلى نهاية النهاية كلهم في الصحو، والوقت مغلوب لهم، والحال والمقام تابع لكمالهم.

٢٩) تآليفه:

١- أجلّها «مكتوباته القدسية» وهي تحتوي على مجلدين ضخمين باللغة الفارسية، وتقدمت الإشارة إليها[١].

٢- «الرسالة التهليلية».

٣-رسالة «إثبات النبوة».

٤-رسالة «المبدأ والمعاد».

٥- رسالة «المكاشفات الغيبية».

٦- رسالة «آداب المريدين».

٧- «المعارف اللّدنيّة» بين فيها أحواله و مقاماته الخاصة.

٨- رسالة في الرد على الشيعة.

٩- تعليقات على «عوارف المعارف».

١٠- «شرح الرباعيات» لعبد الباقي.

١١- لوعة على عزة المطلوب، فليرجع إليها فإنه يجد فيها ما تسجد له القلوب[٢].

١وهي مجموعة من المكاتيب جمعها ثلاثة من كبار أصحابه باللغة الفارسية، ترجمها إلى اللغة العربية محمد مراد منزلاوي القازاني.

٢انظر: هداية العارفين ٥: ١٥٦؛ مصطلحات أبجد العلوم، للقنوجي ١١٤٦؛ إيضاح المكنون ٤: ٤٢٤.

٣٠) وفاته:

توفي رضي الله عنه سابع عشر صفر الخير سنة أربع وثلاثين وألف، وسنه ثلاث وستون، ودفن في مدينة سهرند، وجاء تاريخ وفاته: رفيع المراتب ١٠٣٤هـ.

٣١) خلفاؤه:

وله من الخلفاء العارفين فئة كثيرة من أجلّهم:

١-العارف بالله تعالى مولانا الشيخ حميد -قُدّس سرّه- أرسله إلى بلاد نبكاله، وأعطاه نعله المباركة، فقضى بها الحوائج وشفى بها المرضى وكانت آية عظيمة.

٢-المرشد الكامل مولانا الشيخ حسن البركي قُدّس سرّه.

٣-العارف بالله تعالى الشيخ نور الفُتني قُدّس سرّه، أخبر سيدنا المجدد رضي الله عنه أنّه من رجال الغيب النجباء.

٤- الشيخ بديع الدين السهارنفوي قُدس سره، رأى في واقعة رسول الله ﷺ يقول له: «أنت سراج الهند».

٥-العالم بالله تعالى الشيخ أحمد البركي قُدّس سرّه: ربّاه سيدنا المجدد -عطّر الله تربته- في جمعة، وأمره بإرشاد بلاده خرسان.

٦-صفوة الأولياء الشيخ محمد طاهر اللّاهوري قدّس الله سرّه: انتهت إليه رياسة الطريقة في لاهور، ورأى في واقعة أنه في الروضة المطهّرة ورسول الله ﷺ يُحدّثه ويكلمه ثم بشره بأنّ من بايعك فهو مغفور له، ومن رأى وجهك نجا من النار.

٧-الولي الكامل مولانا السيد الشيخ آدم البنوري قُدّس سرّه: كان إذا توجّه للمريد بل إذا لقّنه الذكر يوصله إلى فناء القلب، ولقد قبله الحقُّ تعالى وأعطاه طريقة جديدة تسمى الأحسنية فهدى الله به أكثر من ألف ألف وتكمّل على يده ألف خليفة وبشر بلواءٍ أخضر يوم القيامة يستظل في ظله من توسل به ويغفر له. ولمّا قدم المدينة المنورة وسلم على جدّه فخر الأمم ﷺ سمع منه ردّ السلام ومدّ إليه يده المقدّسة وصافحه وقال له: «يا ولدي كن في جواري» وبقي في المدينة حتى لقي ربه.

٨-قطب زمانه السيد الشيخ نعمان البدخشي قُدّس سرّه: بلغ استيلاؤه بالإرشاد على قلوب العباد أن خاف السلطان منه على ملكه، وكتب له المجدّد قُدّس سرّه: لقد قابل هلالُك شمس الهداية فانعكس عليه جميع أنوارها فصار بدراً كاملاً. ورأى في واقعةٍ رسول الله ﷺ يثني على حضرة المجدد ويقول: «كلّ من قَبِلَه الشيخ أحمد قَبِلَه الله ورسوله، وكل من ردّه ردّه الله ورسوله، وكذلك أنت يا ولدي».

٩- كعبة الإرشاد الشيخ محمد الصديق البدخشي قُدّس سرّه.

١٠- منهل الإمداد مولانا الشيخ أحمد ديبني قُدّس سرّه.

١١-تحفة الواصلين الشيخ عبد الحي البلخي قُدّس سرّه.

١٢-الإمام الجليل مولانا الشيخ مزمل قُدّس سرّه.

١٣- بحر العرفان الشيخ هاشم الكشميري قُدّس سرّه.

١٤-زينة أهل الله الشيخ يار محمد القديم الطالقاني قُدّس سرّه.

١٥-زبدة الكاملين الشيخ حسن كريم الدين الأبدالي قُدّس سرّه.

١٦-نفحة العرفان الشيخ أصفر أحمد الرومي قُدّس سرّه.

١٧-العلامة الواصل العارف الكامل الشيخ عثمان اليمني قُدّس سرّه.

١٨-عالم الأولياء في وقته الشيخ عبد العزيز النحوي الحنبلي قُدّس سرّه.

١٩- بحر المحققين العارف بالله مولانا الشيخ علي المالكي قُدّس سرّه.

٢٠- مظهر العلوم الإلهية مولانا الشيخ علي الطبري الشافعي قُدّس سرّه.

وغيرهم من أهل الفضل والمعارف ممن انتشر ببركتهم وبأصحابهم في العالم أنوار الشريعة وأسرار الحقيقة قدَّس الله أرواحهم الطاهرة.

٣٢) أنجاله:

وأما أنجاله الأنجاب: فهم بين نجباء وأقطاب:

أكبرهم شمس المعارف العالم العارف شيخ السلسلة القادرية سيدنا الشيخ محمد سعيد «خازن الرحمة» قُدّس سرّه، توفي ١٠٧٠هـ[١].

وقطب الأولياء العارفين، وأعظم المرشدين المكمّلين شيخ هذه السلسلة النقشبندية وأكمل من سرى إليه سرّ هذه النسبة المحمدية: مولانا الشيخ المعصوم «العروة الوثقى» قُدّس سرّه، توفي سنة ١٠٧٧هـ[٢].

---

١ له حاشية على المشكاة. انظر: أبجد العلوم ١١٤٩.

٢ له مجموع مفيد من مكاتباته عرفت بـ«المكاتبات المعصومية». وكان لهما أخ ثالث يقال له: الشاه محمد يحيى أخذ عن أخويه، توفي سنة ١٠٩٨هـ.

جزاه الله تعالى عن الأمة خير الجزاء، ونفعنا وأمة محمد به أحسن الجزاء وأنفعه، وحشره الله تعالى مع الذين أنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، آمين يا رب العالمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

* * *

المختارات من مكتوبات الإمام الرباني السرهندي

المتوفى سنة ١٠٣٤هـ

بقلم

العلامة الشيخ: محمد أمين آر الميراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه وأتباعهم أجمعين.

أما بعد:

فهذه رسالة انتخبتها من مكتوبات الإمام الرّباني الشيخ أحمد السّرْهَندي المجدد قدَّس الله سرّه، وقد أشرتُ إلى المنقول: بحروفه أو بحذفٍ أو بنوع تصرُّف وإلى رقم المكتوب في هامش آخر كل مكتوب، وقد خرّجنا رقم ما فيه من الآيات و الأحاديث.

وأتضرّعُ إلى الله تعالى المنّان أن يُوفقنا ويجعلها خالصةً لوجهه.

١ - القدم الأولى في درجات الولاية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ محمد المكي في بيان درجات الولاية:

«اعلموا إخواني أنَّ الموت الذي قبل الموت - المعبَّر عنهُ بالفناء[1] عند أهلِ الله - مالم يتحقّق لم يتيسَّر الوصولُ إلى جناب القدس؛ بل لا يمكن النَّجاةُ

---

١ إذا أطلق الفناء إنما ينصرف للفناء في الذات، وحقيقته: محو الرسوم والأشكال بشهود الكبير المتعال، أو استهلاك الحس في ظهور المعنى، أما البقاء: فهو الرجوع لشهود الأثر بعد الغيبة عنه، أو شهود الأثر بعد الغيبة عنه بشهود المعنى؛ لكنه يراه قائماً بالله، ونوراً من أنوار تجلياته؛ إذ لولا الحس ما ظهر المعنى ولولا الواسطة لما عرف الموسوط.معراج التشوف، لابن عجيبة ٥٩.

عن عبادة المعبوداتِ الباطلة الآفاقية والآلهة الهوائية الأنفسيَّة، فلم يتحقّق حقيقةُ الإسلام ولم يتيسّر كمالُ الإيمان، فكيف يحصل الدخول في زمرة العُبَّاد والوصول إلى درجة الأوتاد[١]؟ مع أنَّ هذا الفناءَ قدمٌ أولُ يُوضع في أطوار الولاية[٢] وكمالٌ أسبق يحصلُ في البداية»[٣].

٢- الصُوفيّ كائنٌ بائن:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى محمد قليج خان بيان قولهم: الصُوفيّ كائنٌ بائن:

---

١ الأوتاد: هم الذين يحفظ الله بهم العالم، وهم الذين بلغوا ووصلوا وثبتت أقدامهم وأركانهم، وهم أخص من الأبدال، والإمام أخص منهم، والقطب أخص منهم، وقيل: هم الرجال الأربعة الذين عن منازل الجهات الأربعة من العالم، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب، بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات. انظر: اللّمع، السراج الطوسي؛ مدار السلوك، أبو بكر محمد بناني، ١٦٦؛ رسائل ابن عربي «كتاب اصطلاح الصوفية» ؛ اصطلاحات الصوفية، كمال الدين عبد٠الرزاق القاشاني، ٣٣؛ معجم ألفاظ الصوفية، حسن الشرقاوي، ٦٢.

٢ الولاية: هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إيّاه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكن، أي: هي مرتبة من مراتب القرب الإلهي. انظر: اصطلاحات الصوفية، القاشاني، ٥٤؛ فصوص الحكم، ابن عربي، ٤: ٣٧٦؛ والمعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ١٢٣٤-١٢٣٦.

٣ بنصّه، المكتوب الحادي والعشرون من مكتوبات الإمام الرباني قدّس الله سره، ١: ٤٣.

«المرء مع من أحبَّ»[1] فطوبى لمن لم يبق لقلبه حُبّاً إلاّ مع الله سبحانه، ولم يُرِد إلاّ وجهَهُ تعالى وتقدّس، فيكون هو مع الله جلَّ سلطانُه وإن كان في ظاهره مع الخلق واشتغل بهم صورةً، وهو شأنُ الصُّوفيِّ الكائنِ البائنِ؛ أي الكائن مع الله سبحانه، والبائن من الخلق حقيقة، أو المراد: الكائن مع الخلق صورةً والبائن منهم حقيقةً.

والقلبُ لا تتعلّق محبتُه بأكثرَ من واحدٍ، فما لم يُزِلْ التّعلق الحُبيّ بذلك الواحد لم يتعلّق بما سواه محبته، وما يرى من كثرة مُراداته وتعلُّق محبته بالأشياء المتكثّرة: كالمال والولد والرِّياسة والمدح والرّفعة عند الناس، فثمَّة أيضاً لا يكونُ محبوبُه إلاّ واحداً وهو نفسه، ومحبّة هؤلاء فرعُ محبته لنفسه، فإنَّ هذه الأشياء لا يُريدُها إلاّ لنفسه لا لأنفسهم، فإذا زالت محبته لنفسه زالت محبتهم بالتّبعية أيضاً، فلهذا قيل: إنَّ الحجابَ بين العبد والرَّب هو نفسُ العبد لا العالم! فإنَّ العالَمَ في نفسه غير مرادٍ للعبد حتى يكون حجاباً، وإنّما مرادُ العبد هو نفسُه، فلا جَرَمَ يكون الحِجابُ هو العبدُ لا غير! فما لم يَخْلُ العبدُ عن مراد نفسه كليةً لا يكون الرّب مراده، ولا يسع قلبُه محبتَه سبحانه وتعالى.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: باب: علامة حب الله عز وجل، ٨: ٣٩، حديث رقم(٦١٦٨)، ورقم(٦١٦٩)؛ والإمام مسلم في صحيحه: باب المرء مع من أحب، ٤:٢٠٢٢، حديث رقم (٢٦٤٠)؛ وأبو داود في سننه: باب إخبار الرجل الرجل بمحبته، ٤: ٣٣٣، حديث رقم (٥١٢٧)؛ والترمذي في سننه: باب ما جاء أن المرء مع من أحب، ٤: ٥٩٥، حديث رقم (٢٣٨٥)، (٢٣٨٦)؛ وابن ماجة في سننه: باب أكل الثمار، ٢: ١١٧، حديث رقم (٣٣٦٨).

وهذه الدولةُ القُصوى لا تتحقّق إلا بعد الفناء المطلق المنوط بالتّجلي الذّاتي، فإنّ رفع الظلمات رأساً لا يُتصور إلاّ بطلوع الشمس بازغةً، فإذا حصلت تلك المحبة المُعبّر عنها «بالمحبّة الذّاتية» استوى عند المحُبّ إنعامُ المحبوب وإيلامه، فحينئذٍ حصَّل الإخلاص فلا يعبُد ربه إلاَّ له لا لأجل نفسه من طلب الإنعام ودفع الإيلام لأنّهما عنده سواء وهذه مرتبةُ المقربين؛ فإنّ الأبرار إنّما يعبدون الله خوفاً وطمعاً -وهما راجعان إلى أنفسهم لعدم فوزهم بسعادة المحبة الذاتية- فلا جَرَم يكونُ حسناتُ الأبرار سيّئات المقربين، فحسناتُ الأبرار حسناتٌ من وجهٍ وسيّئات من وجه، وحسناتُ المقربين حسناتٌ محضة.

نعم من المقربين من يعبد الله خوفاً وطمعاً أيضاً بعد تحققهم بالبقاء الأكمل وتنزُّلهم بعالم الأسباب، لكنَّ خوفهم وطمعهم غير راجعين إلى أنفسهم؛ بل إنّما يعبدون طمعاً في رضائه سبحانه وخوفاً من سخطه تعالى، وكذا إنّما يطلبون الجنّة لأنها محلّ رضائه تعالى لا لحظوظ أنفسهم، وإنّما يستعيذون من النار لأنها محلّ سخطه تعالى لا لدفع الإيلام عن أنفسهم، لأنّ هؤلاء الأكابر مُحرّرون عن رقبة الأنفس وصاروا خالصين لله سبحانه.

وهذه الرُّتبة أعلى من بين رُتب المقرّبين، ولصاحب هذه المرتبة نصيبٌ تامٌ من كمالات مقام النُّبوة بعد تحقُّقه بمرتبة الولاية الخاصة، ومنْ لم ينـزل إلى عالم الأسباب فهو من الأولياء المُستهلَكين فلا نصيبَ له من كمالات مقام النُّبوة فلا يكون أهلاً للتّكميل، بخلاف الأول. رزقنا الله سبحانه محبّة هؤلاء الأكابر بحرمة سيّد البشر عليه وعلى آله وأتباعه من الصلوات أفضلها ومن

التسليمات أكملها فإنّ المرء مع من أحبَّ»[١].

٣- التّحريض على متابعة سيِّدِ المرسلين:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى خواجه جهان في التّحريض على متابعة سيد المرسلين:

«سلَّم الله تعالى قلبَكم وشرح صدوركم وزكّى أنفسكم وألان جلدكم، كلُّ ذلك بل جميع كمالات الروح والسر والخفي والأخفى منوطٌ بمتابعة سيّد المرسلين عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها، فعليكم بمتابعته ومتابعة خلفائه الرّاشدين الهادين المهديّن من بعده فإنّهم نجومُ الهداية وشموس الولاية، فمن شَرُفَ بمتابعتهم فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن جُبِلَ على مخالفتهم فقد ضلّ ضلالاً بعيداً. زاد الله تعالى توفيقكم وجعل الخير رفيقكم والسلام عليكم وعلى سائر من اتّبع الهدى»[٢].

٤- التّرغيب في أداء الفرائض ورعاية السنن والآداب:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ نظام الدين التانيسري في التّرغيب في أداء الفرائض ورعاية السنن والآداب:

«عصمنا الله سبحانه وإيّاكم عن التعصب والتعسف، ونجّانا وإيّاكم عن التّلهُّف والتّأسُّف بحرمة سيّد البشر المنفيّ عنه زيغ البصر عليه وعلى آله من الصلوات أتمّها ومن التسليمات أكملها.

---

١ انتهى بنصّه: المكتوب الرابع والعشرون من المكتوبات، ١ : ٤٨.

٢ باختصار: المكتوب الخامس والعشرون من المكتوبات، ١ : ٥٠.

واعلم أنّ مُقرّبات الأعمال إمّا فرائض وإما نوافل، فالنوافل لا اعتبار لها في جنب الفرائض أصلاً فإنّ أداء فرضٍ من الفرائض في وقتٍ من الأوقات أفضل من أداء النوافل ألف سنةٍ وإن أُديتْ بنيةٍ خالصة، أيّ نفلٍ كان من الصلاة والصوم والذكر والفكر وأمثال ذلك، بل أقول إنّ رعاية سنةٍ من السنن وأدبٍ من الآداب حين أداء الفرائض لها ذلك الحكم أيضاً[1].

نُقل أنّ سيدنا عمر رضي الله عنه صلى يوماً صلاة الصبح بجماعة، ثم نظر إلى القوم وتفقّدهم فلم يرَ فيهم شخصاً من أصحابه فقال: ألمْ يحضر فلان[2] الجماعة؟ فقيل: إنّه يسهر أكثر الليل فيُحتمل أن يكون قد غلبه النوم في هذا الوقت، فقال: لو نام تمام الليل وصلى صلاة الصبح مع الجماعة لكان أولى وأفضل[3].

فرعاية الأولى والاجتناب عن المكروه وإن كان تنـزيهياً أولى من الذكر

---

١ يعني رعاية سنة أو أدب وقت أداء الفرائض تزيد وتفضل على أداء النفل بكذا مرة.

٢ هو الصحابي الجليل سليمان بن أبي حَثْمَة بن حذيفة بن غانم. انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٥: ١٨؛ التاريخ الكبير، للبخاري، ٢: ٦؛ ثقات ابن حبان، ٣: ٥٩؛ تاريخ ابن معين، ١: ١٧٠؛ طبقات ابن خياط، ٤٢٩؛ معرفة الصحابة، ابن نعيم، ١:١٥٩.

٣ رواه الإمام مالك في الموطأ بألفاظ مختلفة في: ما جاء في العتمة والصبح، ٣: ١٨٠، حديث رقم (٤٣٢)، في باب ما جاء في العتمة والصبح، ١: ١٣٧، حديث رقم (٧)، وباب ما جاء في العتمة، ١: ١٢٩، حديث رقم (٣٢٨)، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، ١: ٩٢، حديث رقم (٢٤٣).

والفكر والمراقبة والتّوجه بمراتب كثيرة، فكيف إذا كان المكروهُ تحريمياً؟

نعم إنّ من جَمعَ هذه الأمور مع هذه الرّعاية والاجتناب فقد فاز فوزاً عظيماً وبدونه خَرط القتاد[1]! فكما أنّ تصدّق دانقٍ[2] مثلاً في حساب الزكاة أفضل من تصدّق مقدار جبال عظامٍ من ذهبٍ بطريق النفل بمراتب، كذلك رعاية أدبٍ في تصدّق ذلك الدانق كان يعطيه إلى فقيرٍ مستحقٍ أفضل منه أيضاً بمراتب، فتأخير صلاة العشاء إلى النصف الأخير من الليل وجعل ذلك التأخير وسيلة إلى قيام الليل مستنكرٌ جداً، فإنَّ أداء العشاء في ذلك الوقت مكروهٌ عند علماء الحنفية رضي الله عنهم، والظاهر أنّهم أرادوا بهذه الكراهة الكراهة التحريميّة، فإنّهم أباحوا أداء العشاء إلى نصف الليل، وبعد نصف الليل قالوا بكراهته، والمكروه المقابل للمباح مكروهٌ تحريميٌّ، وعند الشافعية لا يجوز في ذلك الوقت أداء العشاء رأساً!

فارتكاب هذا الأمر بواسطة قيام الليل وحصول الأذواق والجمعيّة في ذلك الوقت مُستكرهٌ جداً، ويكفى لهذا الغرض تأخير الوتر، وأيضاً ذلك التأخير مستحبٌ فيؤدى الوتر في وقت مستحب ويتيسّر الغرض من قيام الليل

---

١ القَتَادُ: نبات صلب له شوك كالإبر، منه يستخرج أجود أنواع الصمغ. والمثال المذكور يُضرب للشيء الذي لا يُنال إلاّ بمشقة عظيمة. انظر: مختار الصحاح، الرازي، ١٥٦؛ والمعجم الوسيط، ٧١٤.

٢ الدَانِق: بفتح النون وكسرها، سدس الدرهم، وجمعها: دوانق، ودوانيق. انظر: مختار الصحاح (د ن أ)، ١٨٨؛ المعجم الوسيط، ٢٨٩؛ والمصباح المنير، الفيومي، ١٢٢.

والسهر، فينبغي ترك هذا العمل وقضاء الصلوات الفائتة فإنّ الإمام الأعظم أبا حنيفة الكوفي رضي الله تعالى عنه قضى صلاة أربعين سنة بواسطة ترك أدب من آداب الوضوء!

وأيضاً لا يجوز شُرب الماء المستعمل لإزالة الحدث أو بنيّة القُربة، فإنّ ذلك الماء نجسٌ مغلظٌ عند الإمام الأعظم، ومَنَعَ الفقهاء من شرب ذلك الماء وكرهوه، نعم قالوا: إنّ شُرب بقيّة الوضوء شفاءٌ، فإنّ طَلَبَ شخصٌ ذلك بالاعتقاد الصحيح فأعط من ذلك، وقد وقع للفقير مثل هذا الابتلاء في «دَهْلي» في هذه النَّوبة بسبب أنّ بعض الأصحاب قد رأى في الواقعة أنَّه ينبغي أن يَشرب الماء المستعمل في وضوء هذا الفقير وإلاّ يلحقه ضررٌ عظيم، وكُلّما دفعتُه لم ينفع ولم يمتنع، فراجعتُ الكتب الفقهيّة فوجدتُ مَخلصاً من ذلك حيث قالوا: إنّ المتوضئ لو لم ينو القُربة بعدم تثليث الغسل لا يكون الماء مستعملاً في المرتبة الرابعة، فكنتُ أُعطيه ما أغسل به في المرتبة الرابعة بلا نيّة القُربة ليشربه تجويزاً له بهذه الحيلة.

وأيضاً قد نقل رجل مُعتَمَدٌ أنّ مريدي بعض خلفائكم يسجدون له ولا يكتفون بتقبيل الأرض، وشناعة هذا الفعل أظهر من الشمس فامنعوه من ذلك بالتأكيد فإنّ الاجتناب من أمثال هذا الفعل مطلوبٌ من كل أحدٍ خصوصاً ممّن تصدى لاقتداء الخلق به، فإنّ الاجتناب له من أمثال هذا الفعل من أشد الضروريات، لأنّ المقلّدين يقتدون به في أعماله فيقعون في بلاءٍ وابتلاء!

وأيضاً أن علوم هذه الطائفة علوم الأحوال، والأحوال مواريثُ الأعمال

فيكون الميراث من علوم الأحوال لشخصٍ قد صَحّح الأعمال وقام بحقها في كل حال، وتصحيح الأعمال إنّما يتيسر إذا عَرَف الأعمال وعَلِم كيفيّة كلٍّ منها بلا إهمال، وذلك علم أحكام الشرع من الصلاة والصوم وسائر الفرائض، وعلم المعاملات كالنكاح والطلاق والمبايعات، وعلمِ كلِّ شيءٍ أوجبه الحقُّ سبحانه على المكلّف ودعاه إليه.

وهذه العلوم اكتسابيّة لا بد من تَعلُّمها لكلٍ أحد، والعلمُ بين المجاهَدَتين:

إحداهما: في طلبه قبل حصوله.

وثانيتهما: المجاهدة في استعماله بعد حصوله.

فكما أنّه يَذكر في مجلسه الشّريف من كتب التّصوف، كذلك ينبغي أن يذكر فيه من الكتب الفقهية؛ والكتبُ الفقهية بالعبارة الفارسية كثيرةٌ مثل «مجموعة خاني» و «عمدة الإسلام» و «الكنز الفارسي»، بل لا ضرر أصلاً إن لم يذكر من كتب التّصوف فإنّه يتعلّق بالأحوال لا دخل له في القَال، وعدم مذاكرة الكتب الفقهية محتمِل للضّرر. وزيادة الإطناب موجبةٌ للملال، القليل يدل على الكثير.

وبثت عـــندك مـــن خفى ضمائر نـــبذا وخـــفـــت سآمة من كثرة

رزقنا الله سبحانه وإيّاكم كمال متابعة حبيبه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم. انتهى»[1].

---

١ انتهى بنصّه: المكتوب التاسع والعشرون من مكتوبات الإمام الرباني، ١: ٥٤-٥٦.

٥ - الشريعة متكفِّلة بجميع السعادات:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الحاج محمد اللاهوري في بيان أنّ الشريعة متكفّلة بجميع السعادات:

«حقّقَنا اللهُ سبحانه وإيّاكم بحقيقة الشـريعة المصطفوية على صاحبها الصّلاة والسلام والتّحية ويرحم الله عبداً قال: آميناً.

اعلم أنّ للشريعة ثلاثة أجزاء: العلم والعمل والإخلاص، وما لم يتحقّق كلٌّ من هذه الأجزاء الثلاثة لا تتحقّق الشريعة، ومتى تحقّقت الشريعة فقد تحقّق رضا الحقّ سبحانه وتعالى الذي هو فوق جميع السعادات الدنيويّة والأخروية ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]،فكانت الشريعة متكفّلة بجميع السعادات الدنيوية والأُخروية ولم يبق مطلب يقع فيه الاحتياج إلى ما وراء الشريعة.

والطريقةُ والحقيقةُ اللّتان امتازت بهما الصُّوفية خادمتان للشّريعة في تكميل جزئها الثالث الذي هو الإخلاص، فالمقصود من تحصيل كلٍّ منهما تكميل الشريعة لا أمر آخر وراءَ الشريعة.

والأحوالُ والمواجيدُ والعلومُ والمعارف التي تحصل للصُّوفيّة في أثناء الطريق ليست من المقاصد؛ بل هي أوهامٌ وخيالاتٌ تربّى بها أطفالُ الطريقة! فينبغي أن يُجاوز جميع ذلك وأن يصل إلى مقام الرّضا الذي هو نهايةُ مقامات

السلوك والجذبة[1]، فإنّ المقصودَ من طيِّ منازل الطريقة والحقيقة ليس هو شيئًا غير تحصيل الإخلاص المُستلزم لحصول مقام الرضا ويُوصلُ إلى دولة الإخلاص.

ومقامُ الرّضا واحدٌ من أُلوفٍ بعد العُبور به من التّجلّيات الثلاثةِ ومشاهداتِ العارفين، والقاصرون هم الذين يَعُدُّون الأحوالَ والمواجيد من المقاصد، ويظنون المشاهدات والتّجليات من المطالب، فلا جَرم يبقون في حبس الوهم والخيال ويُحرمون كمالات الشريعة بهذا الاعتقال﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣].

نعم إنّ حصول مقام الإخلاص والوصول إلى مرتبة الرضا منوطٌ بطيّ هذه الأحوال والمواجيد، ومربوطٌ بتحقّق هذه العلوم والمعارف، فتكون هذه الأشياء مُعِدّات للمطلوب ومقدماتٌ للمقصود، وحقيقةُ هذا المعنى اتّضحت للفقير بعد الاشتغال بهذا الطريق عشرَ سنين بالتّمام ببركة حبيب الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وانجلى شاهِدُ الشّريعة كما ينبغي وفيما قبل وإن لم يكن لي

---

١ الجذبة: عبارة عن تصرف العبد بمقتضى عناية الله عز وجل، التي أعدت له كل شيء من جانبه سبحانه وتعالى بلا سعي أو تعب من العبد، أو هي: أخذ الله عزوجل السالك إلى حضرته، وحال الوجد الناشىء منه.

والجذبة مقدمة على السلوك في الطريقة النقشبندية وهي على نوعين: جذبة خفية، وجذبة جلية. انظر: معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحفني، ٢؛ ومكتوبات الإمام الرباني، ١: ١٥،٣٤، ٤٧، ٤٧١، ٤٨٢، ٥٠١، ٥٠٥، ٥٠٨.

تعلّقٌ بالأحوال والمواجيد، ولم يكن في نظري مطلبٌ غير التّحقّق بحقيقة الشريعة، ولكن ظهرت حقيقةُ الأمر بعد عشرةٍ كاملة ظُهوراً بيّناً والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه»[١].

٦- **التّحريض على متابعة السنة السنيّة:**

قال رضي الله عنه إلى الشيخ محمد الجتري في التحريض على متابعة السنة السنية:

«إنّ العلوم والمعارف والأحوال والمقامات قد أفيضت عليّ مدة مديدة مثل مطر الربيع، وكل ما يلزم فعله فقد فعلت بعناية الله تعالى، والآن ما بقي تمنٍّ غير إحياء سنة من السنن المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية.

والأحوال والمواجيد إنّما هي منظورة لأرباب الذوق ينبغي أن يعمر الباطن بنسبة خواجكان قدّس الله أسرارهم، وأن يُحلّى الظاهر بالكلية بمتابعة السنن الظاهرة، هذا هو الشغل والباقي خيالات.

وينبغي أن تؤدوا الصلوات الخمس في أول أوقاتها غير العشاء وقت الشتاء؛ فإنّ تأخيرها إلى ثلث الليل مستحب، والفقير مضّطر في هذا الأمر لا أريد تأخير أداء الصلاة عن أول وقتها ولو مقدار شعرة والعجز البشري مستثنى»[٢].

---

١ انتهى بنصّه: المكتوب السادس والثلاثون من المكتوبات، ١: ٧٤-٧٥.

٢ انتهى باختصار: المكتوب السابع والثلاثون من المكتوبات الربانية، ١: ٧٥-٧٦.

٧- التّعلق بالذّات البحت:

قال رضي الله عنه أيضاً في مكتوبه إلى الشيخ محمد الجتري في بيان التعلّق بذاته البحت عز وجل المنـزّه عن اعتبار السوى:

«وكلّ شيء غير ذاته البحت سبحانه معبّر عنه بالغير والسوى؛ وإن كان ذلك الغير أسماء وصفات، وما قاله المتكلمون من أنّ «صفاته تعالى لا هو ولا غيره» له معنى آخر، فإنّهم أرادوا بالغير الغير المصطلح ونفوا الغيرية بهذا المعنى لا بمعنى المطلق، ونفيُ الخاص لا يستلزم نفي العام، ولا يمكن التّعبير عن الذّات بغير السلوب، وأفضل التعبيرات وأجمع العبارات فيها﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١]، ولا سبيل للعلم والشهود والمعرفة إليه سبحانه، كلّ ما تراه العيون أو سمعته الآذان أو حوته الظنون فهو غيره تعالى، والتعلّق به تعلق بالغير، فيلزم نفيه بكلمة «لا إله» وإثبات الذّات المنزهة عن المثل بكلمة «إلاّ الله»، وما وقع في عبارات بعض الأكابر قدّس الله أسرارهم العليّة من الشهود الذّاتي لا يظهر معناه لغير أرباب الكمال وفهمه محالٌ للناقصين والقاصرين.

ليس يـــدري الأغبيا حال الكرام فاقصر الأقوال واسكت والسلام»[1].

٨- مدار الأمر على القلب:

قال رضي الله عنه أيضاً في مكتوبه إلى الشيخ محمد الجتري في بيان أنّ مدار الأمر على القلب:

---

١ مختصراً من المكتوب الثامن والثلاثين من مكتوبات الإمام الرباني، ١: ٧٦-٧٨.

«رزقنا الله سبحانه الإعراض عمّا سواه والإقبال على جناب قدسه بحرمة سيد البشر المحرر[١] عن زيغ البصر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

اعلم أنّ مدار الأمر على القلب فإن كان القلب مفتوناً ومتعلقاً بغير الحق فذلك القلب خراب وأبتر، ولا يحصل شيءٌ من مجرد الأعمال الصورية والعبادات الرسومية؛ بل لا بد من كلٍّ: من سلامة القلب من الالتفات إلى ما سواه تعالى، والأعمال الصالحة المتعلّقة بالبدن التي أمر الشرع بفعلها.

ودعوى سلامة القلب بدون إتيان الأعمال الصالحة باطلة، كما أنّ وجود الرّوح بلا بدن غير متصوّر في هذه النشأة، وحصول الأحوال القلبية من غير حصول الأعمال الصالحة القالَبيّة محالٌ، وكثير من الملحدين يدَّعون هذه الدعوى في هذا الزمان، نجّانا الله سبحانه عن معتقداتهم السيئة بحرمة حبيبه عليه الصلاة والسلام، والتحية»[٢].

٩- تحصيل الإخلاص:

قال رضي الله عنه أيضاً في مكتوبه إلى الشيخ محمد الجتري في بيان تحصيل الإخلاص:

«نحمده ونصلي على نبيه ونسلم، أيّها المخدوم: قد صار معلوماً لي بعد طيّ منازل السلوك وقطع مقامات الجذبة أنّ المقصود من هذا السير والسلوك

---

١ المنزّه، أو الخالص.

٢ المكتوب التاسع والثلاثون من المكتوبات، ١ : ٧٩.

تحصيل مقام الإخلاص، المربوط حصوله بفناء الآلهة الآفاقية والأنفسية.

وهذا الإخلاص جزءٌ من أجزاء الشريعة، فإنّ للشريعة ثلاثة أجزاء: العلم والعمل والإخلاص، فالطريقة والحقيقة خادمتان للشريعة في تكميل جزء الإخلاص وهذا هو حقيقة الأمر، ولكن لا يُدرك فهم كلّ أحد ذلك، وأكثر خلق العالم قد اطمئنوا بالمنام والخيال واكتفوا بالجوز والموز فماذا يدركون من كمالات الشريعة؟ أنّى يصلون إلى حقيقة الطريقة والحقيقة! فيزعمون الشريعة قشراً والحقيقة لباً ولا يدرون ما حقيقة المعاملة، بل يغترون بترّهات الصوفية ويفتتنون بالأحوال والمقامات السفلية، هداهم الله سبحانه سواء الطريق، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»[1].

١٠ - الطريقة والحقيقة متمّمتان للشريعة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ درويش في بيان أن الطريقة والحقيقة متمّمتان للشريعة:

«رزقنا الله ـ التّحلي والتّزين بمتابعة السنة السنيّة المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، ظاهراً وباطناً بحرمة النبي وآله الأمجاد عليه وعليهم الصلوات والتسليمات.

والباطن متمّم للظاهر ومكمّل له لا مخالفة بينهما مقدار شعرة؛ مثلاً عدم التكلّم بالكذب شريعة ونفي الكذب عن الخاطر طريقة وحقيقة، فإنّ ذلك النفي لوكان بالتّعمّل والتكلّف فطريقة وإلاّ فحقيقة. فكان الباطن الذي

---

١ نص المكتوب الأربعون من المكتوبات، ١: ٧٩-٨٠.

هو الطريقة والحقيقة متمّماً ومكمّلاً في الحقيقة للظاهر الذي هو الشـريعة، فإن ظهر لسالكي سبل الطريقة والحقيقة في أثناء طريقهم أمورٌ مخالفة لظاهر الشريعة وأظهروا ذلك فهو مبني على سكر الوقت وغلبة الحال، فإن جاوزوا ذلك المقام وخرجوا من مضيق السكر إلى فضاء الصحو ترتفع تلك المنافاة بالكلية وتكون تلك العلوم المتضادة هباءً منثوراً»[١].

١١ - أفضل المصاقيل في إزالة محبة ما سوى الله تعالى:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ محمد المذكور في بيان أفضل المصاقيل في إزالة محبة ما سوى الله تعالى:

«سلّمكم الله سبحانه وأبقاكم، واعلم: أنّ الإنسان ما دام متلوثاً بدنس التّعلقات الشتّى محرومٌ ومهجورٌ، ولا بدّ من تصقيل مرآة الحقيقة الجامعة من صدأ محبة ما سواه عز وجل، وأفضل المصاقيل في إزالة ذلك الصدأ متابعة السنة السنية المصطفوية على مصدرها الصلاة والسلام والتحية، ومدار ذلك على رفع العادات النفسانية ودفع الرسوم الظلمانية، فطوبى لمن تشرّف بهذه النعمة العظمى، وويل لمن حُرم من هذه الدولة القصوى»[٢].

١٢ - التوحيد الشهودي والوجودي:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ فريد البخاري في بيان أنّ التوحيد على قسمين شهودي ووجودي:

---

١ باختصار شديد للمكتوب الحادي والأربعين من المكتوبات الربانية، ١: ٨٠-٨٢.

٢ مختصر المكتوب الثاني والأربعين من مكتوبات الإمام الرباني، ١: ٨٢- ٨٣.

«سلّمكم الله سبحانه و عصمكم عمّا يصمّكم و صانكم عمّا شانكم، واعلم: أنّ التوحيد الذي يظهر في أثناء طريق هذه الطائفة العليّة على قسمين: توحيد شهودي، وتوحيد وجودي.

فالتوحيد الشهودي: هو مشاهدة الواحد، يعني لا يكون مشهودُ السالك غير واحد.

والتوحيد الوجودي: هو أن يعلم السالك ويعتقد الموجود واحداً، وأن يعتقد أو يظن غيره معدوماً، وأن يزعم الغير مع اعتقاد عدميّته مجالي[1] ذلك الواحد ومظاهره.

فكان التوحيد الوجودي من قبيل علم اليقين، والتوحيد الشهودي من قبيل عين اليقين وهو من ضروريات هذا الطريق، فإنّ الفناء لا يتّحقق بدونه ولا يتيسر عين اليقين بلا تحقّقه؛ فإنّ مشاهدة الأحدية باستيلائها مستلزمة لعدم رؤية ما سواه، بخلاف التوحيد الوجودي فإنّه ليس كذلك، يعنى أنّه ليس بضروريّ، فإنّ علم اليقين حاصلٌ بدون تلك المعرفة، لأنّ علم اليقين ليس بمستلزِم لنفي ما سواه تعالى، غاية ما في الباب أنّه مستلزم لنفي علم ما سواه وقت غلبة علم ذلك الواحد واستيلائه.

مثلاً، إذا حصل لشخصٍ يقين بوجود الشمس، فاستيلاء هذا اليقين غير مستلزم للعلم بأن النجوم منتفية ومعدومة في ذلك الوقت، ولكن حين رؤيته الشمس لا يرى النجوم البتّة ولا يكون مشهوده غير الشمس، وفي هذا

---

١ أي صورة وتجلٍ من تجلياته.

الوقت الذي لا يرى فيه النجوم يعلم أنّ النجوم ليست بمعدومة بل يعلم أنّها موجودة ولكنها مستورة وفى تشعشع نور الشمس مغلوبة، وهذا الشخص في مقام الإنكار لجماعة ينفون وجود النجوم في ذلك الوقت ويرى أنّ تلك المعرفة غير واقعية، فالتوحيد الوجودي الذي هو نفي ما سوى ذات واحدة تعالت وتقدست مخالف للعقل والشرع، بخلاف التوحيد الشهودي فإنّه لا مخالفة في مشاهدة الواحد، ونفي النجوم وقت طلوع الشمس مثلاً والقول بأنّها معدومة مخالفٌ للواقع، وأما عدم رؤية النجوم في ذلك الوقت فلا مخالفة فيه أصلاً، بل هذا إنّما هو بواسطة غلبة ظهور نور الشمس وضعف بصر الرائي، فإن اكتحل بصر الرائي بنور الشمس تحصل له قوة يرى بها أن النجوم ممتازة من الشمس، هذه الرؤية- يعني رؤية النجوم- ممتازةٌ من الشمس في مرتبة حق اليقين.

وأقوال بعض المشايخ التي ترى مخالفة لظاهر الشريعة الحقّة نزلها بعض الناس إلى التوحيد الوجودي مثل قول الحسين بن منصور الحلاج[1]: «أنا الحق»، وقول أبي يزيد البسطامي[2]: «سبحاني ما أعظم شاني» وأمثال ذلك،

---

١ وكنيته أبو مغيث وهو من أهل بيضاء فارس، نشأ في مدينة واسط بالعراق، صحب الجنيد وأبا الحسن النوري وعمر المكي والغوطي، ألّف من الكتب ما يقارب تسعة وأربعين كتاباً، ولم يبق من كتبه إلا «الطواسين» الذي ألفه في فترة سجنه قبل أن يعدم، قتل بسيف الشرع ببغداد عام ٣٠٩هـ. انظر ترجمته: طبقات الصوفية، السلمي، ٢٣٦.

٢ هو طيفور بن عيسى بن سرور بن سروشان، الزاهد الأصغر، من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، يلقب بـ «سلطان العارفين»، اسمه الفارسي: بايزيد، كما عرف

فالأولى والأنسب تنـزيلها إلى التوحيد الشهودي وإبعاد المخالفة عنها، فإنهم لمّا اختفى ما سوى الحق سبحانه عن نظرهم تكلّموا بهذه الألفاظ في غلبة ذلك الحال، ولم يُثبتوا غير الحقّ سبحانه، ومعنى «أنا الحق»: أنّه الحق دون أنا، فإنّه لمّا لم ير نفسه لم يثبته، لا أنّه رأى نفسه و قال إنّه الحق؛ فإنّ هذا كفر.

الطريقة والشريعة كلٌّ منهما عين الآخر لا مخالفة بينهما مقدار شعرة، وإنّما الفرق بينهما بالإجمال والتفصيل والاستدلال والكشف[1]، وكلّ ما هو مخالف للشريعة فهو مردودٌ، وكل حقيقة ردّته الشـريعة فهو زندقة، وطلب الحقيقة مع الاستقامة في الشريعة حال أهل الكمال، رزقنا الله الاستقامة

كذلك باسم طيفور، كان جده مجوسياً وأسلم، ولد في بسطام في بلاد خراسان، روى عن إسماعيل السدي، وجعفر الصادق س، وكان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر، وذكر أنه كان القطب الغوث في زمانه . وهو أول من استخدم لفظ الفناء بمعناه الصوفي، توفي ٢٦١هـ. انظر: ترجمته: طبقات الصوفية، السلمي، ٤٠٧؛ الإكمال، ٧: ١١٣؛ تاريخ دمشق، ابن عساكر، ١٤: ١٠٥؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣: ٨٦؛ حلية الأولياء، ١٠: ٣٥؛ وفيات الأعيان، ٢: ٣١؛ شذرات الذهب، ٢: ١٤٣- ١٤٤.

١ الكشف: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً، أي كشف الحجب عن الأولياء فيرون ويسمعون ويعلمون مالا يعلمه الناس من مغيبات. انظر: الفتح الرباني، الإمام الجيلاني، ٢٩؛ طبقات الصوفية، للسلمي، ٢١٠؛ إيقاظ الهمم، ابن عجيبة، ٢: ٣٠٢؛ الرسالة القشيرية، ٢٧؛ عوارف المعارف، ٤٨؛ فصوص الحكم، ابن عربي، ٢: ٤٩٦؛ الفتوحات المكية، ابن عربي، ٤: ٣٢؛ معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحفني، ٢٢٤؛ المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ٦٦٤.

والثبات على متابعة سيّد البشر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات والتحيات ظاهراً وباطناً»[١].

١٣ - الترغيب في متابعة سنة الرسول ﷺ:

قال رضي الله عنه أيضاً في مكتوبه إلى الشيخ فريد البخاري في مدح الرسول هوالترغيب في متابعة سنته:

«ما إن مدحتُ محمداً بمقالتي   لكن مدحت مقالتي بمحمد

فأقول وبالله العصمة والتوفيق: إنّ محمداً رسول الله سيّد ولد آدم[٢]، وأكثر الناس تَبَعاً يوم القيامة[٣]، وأكرم الأولين والآخرين على الله، وأوّل من ينشق عنه القبر[٤]، وأوّل شافع وأوّل مشفّع[٥]، وأوّل من يقرع باب الجنة فيفتح الله له[٦]، وحامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه[٧].

---

١ مختصر المكتوب الثالث والأربعين من المكتوبات الربانية، ١: ٨٣- ٨٦.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه، باب تفضيل نبينا ق ٤: ١٧٨٢، برقم (٢٢٧٨).

٣ رواه مسلم بلفظ: » وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » من صحيحه، باب في قول النبي ق : » أنا أكثر الأنبياء تبعاً » ١: ١٨٨، حديث رقم (٨٥)، و(١٩٦).

٤ أخرجه الدارمي (٤٧)؛ والترمذي في سننه (٣٦١٦).

٥ أخرجه مسلم في كتاب الفضائل : ٢ (٢٢٧٨)؛ وابن حبان (٦٤٧٨)؛ والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٨٦).

٦ رواه الدارمي في سننه: باب ما أعطي النبي ﷺ ١: ١٩٤، حديث رقم (٤٨)، والترمذي في سننه: باب في فضل النبي ﷺ ٦: ١٥، حديث رقم (٣٦١٦).

٧ رواه البزّار في مسنده: مسند أبي حمزة عن مالك بن أنس ١٣: ٧١، حديث (٦٤١٣).

وهو الذي قال عليه الصلاة والسلام: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة»[١]، «وإنّي قائل قولاً غير فخر»[٢]، «وأنا حبيب الله»[٣]، «وأنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر»[٤]، «وأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إنّ الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فريقين فجعلني في خيرهم فِرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً»[٥].

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: باب فرض الجمعة ٢: ٢، حديث رقم (٨٧٦)، و(٨٩٦)، وفي باب حديث الغار ٤: ١٧٧، (٣٤٨٦)؛ ومسلم في صحيحه: باب هداية هذه الأمة ٢: ٥٨٥، حديث (١٩)، (٢٠)، (٢١)، (٢٢).

٢ رواه الدارمي في سننه: باب ما أعطي النبي ﷺ ١: ٢٠٠، حديث (٥٥).

٣ ذكره البغوي في شرح السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما في باب فضائل سيّد الأولين والآخرين ١٣: ٢٠٤؛ وابن حجر في اتحاف المهرة ٧: ٥٨٩، حديث (٨٥٣٥)؛ والسيوطي في الجامع الصغير وزيادته، حديث (٨٥٠٧).

٤ رواه الدارمي في سننه عن جابر رضي الله عنه في باب ما أعطي النبي ق ١: ١٩٦، حديث (٥٠٠)؛ والطبراني في المعجم الأوسط: باب من اسمه أحمد: ١: ٦١، حديث (١٧٩)؛ والبيهقي في الاعتقاد ١: ١٩٢.

٥ أخرجه الترمذي في سننه: باب فضل النبي ﷺ، ٥: ٥٨٤، حديث رقم (٣٠٦٨)، ثم قال: هذا حديث حسن؛ والإمام أحمد في فضائل الصحابة: فضل أبي الفضل بن العباس بن عبد المطلب بلفظ قريب منه ٢: ٩٣٧، حديث (١٨٠٣)؛ والإمام أحمد في مسنده عن العباس رضي الله عنه ٢: ٣٠٧، حديث ٧٨٨.

«وأنا أوّل الناس خروجاً إذا بُعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا صمتوا، وأنا شفيعهم إذا حُبسوا، وأنا مبشّرهم إذا يئسوا، ولواء الكرم والمفاتيح يومئذٍ بيدي، ولواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف عليّ ألف خادم كأنهم بَيضٌ مكنون[١]، وإذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»[٢].

لولاه لما خلق الله سبحانه الخلق، ولما أظهر الربوبية، وكان نبياً وآدم بين الماء والطين[٣].

مـــن كـــان هـــذا مقتداه بـأمره ... لـــن يبـــق في قيد الذنوب وأسره

فلا جرم يكون مُصدِّقو مثل هذا الرسول النبي الكريم سيّد البشر عليه الصلاة والسلام خيرَ الأمم البتة، ويكون قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، نقد وقتهم ووصف حالهم، ويكون مكذّبوه عليه الصلاة والسلام شرّ بني آدم، ويكون قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة: ٩٧]، علامة حالهم، فيا سعادة من يشرف بدولة اتباع سنته

---

١ رواه البزار في مسنده مسند أبي حمزة أنس بن مالك ١٣: ١٣١، حديث (٦٥٣٣)؛ وأبويعلى في مسنده ١٢: ٥، حديث (٦٦٥٠)؛ ونحوه الترمذي في سننه ٥: ٥٨٥ (٣٦١٠).

٢ رواه الشاشي في مسنده ٢: ٢٢٣، حديث (١٤٤٢).

٣ قال السخاوي: «وأما على الألسنة بلفظ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، فلم نقف عليه بهذا اللفظ». المقاصد الحسنة، السخاوي، ٥٣١، وقال السيوطي في الدرر المنتشرة: لا أصل له بهذا اللفظ، انظر كذلك: كشف الخفاء، للعجلوني، ٢: ١٥٢.

السنية، ومتابعة شريعته المرضيّة، واليوم يقبل الأمر اليسير المقرون بتصديق حقيّة دينه عليه الصلاة والسلام مكان العمل الكثير، ولا غرو فيه، ألا ترى أنّ أصحاب الكهف نالوا ما نالوا من الدرجات بواسطة حسنة واحدة وهي الهجرة والفرار عن أعداء الله تعالى بسبب نور اليقين الإيماني وقت استيلاء المعاندين، وهذا كما أنّ العسكر إذا صدرت عنهم حركة يسيرة حين غلبة الأعداء واستيلاء المخالفين تكون من القبول والاعتبار بمرتبة لا تبلغها أضعاف تلك الحركة وقت الأمن والاطمئنان.

وأيضاً أنه ﷺ لمّا كان محبوب ربّ العالمين، لا جرم يبلغ أتباعه ﷺ مرتبة المحبوبيّة بسبب المتابعة، فإنّ المحبّ إذا رأى شيئاً من شمائل محبوبه عند شخص يحب ذلك الشخص بالضـرورة لملابسته بشمائل محبوبه وأخلاقه، فإن لم تتيسر الهجرة الظاهريّة ينبغي أن يراعى الهجرة الباطنية بكمالها، وأن يكون معهم، يعني مع الناس في الظاهر دونهم يعني في الباطن »[1].

١٤ - فضائل شهر رمضان:

قال رضي الله عنه أيضاً في مكتوبه إلى الشيخ فريد البخاري في الاستفاضة وفضائل شهر رمضان ما يلي:

«والاستفاضة[2] من روحانيات الأكابر قدّس الله أسرارهم مشروطةٌ

---

١ انتهى مختصراً للمكتوب الرابع والأربعين من المكتوبات الشريفة، ١: ٨٧-٨٩.

٢ الاستفاضة: هي ملاحظة أحوال المشايخ وتحكيم محبتهم في القلوب حتى تستقر هيبة أحوالهم فيه. انظر: الفتح الرباني، الإمام عبد القادر الجيلاني، ٢٩١-٣٠٠ وما بعدها؛

بشرائط لا مجال لكلّ شخص في إيفائها.

ينبغي أن يعلم أنّ شهر رمضان شهر عظيم، وكل عبادة نافلة من الصلاة والذكر والصدقة وأمثالها في هذا الشهر تساوي أداء فريضة فيما سواه، ومن أدّى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، ومن فطّر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء، ومن خفَّف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار، وكان رسول الله ﷺ إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل[١].

ومن وفّق للخيرات والأعمال الصالحة في هذا الشهر كان التوفيق رفيقه في تمام هذه السنة[٢]، وإذا مرّ هذا الشهر على تفرقة يكون في جميع السنة على تفرقة، فينبغي فيه أن يجتهد في تحصيل الجمعيّة مهما أمكن مغتنماً لهذا الشهر، فإنّ الله يعتق في كلّ ليلة من لياليها ألوفاً ممّن استحق النار، وتُفتح أبواب الجنة في هذا الشهر، وتُغلق أبواب جهنم[٣] وتسلسل الشياطين، وتُفتّح أبواب الرّحمة.

معجم ألفاظ الصوفية، حسن الشرقاوي، ٢٢٨؛ معجم مصطلحات التصوف، محمد الإدريسي، ١٦٩ - ١٧٠.

١ رواه البيهقي في شعب الإيمان: فضائل شهر رمضان، ٥: ٢٢٦، حديث رقم(٣٣٥٧)، وفي فضائل الأوقات له ١: ١٩٣، حديث(٩٦).

٢ أخرجه ابن خزيمة في صحيحه حديث (١١٨٧).

٣ رواه ابن أبي شيبة في مسنده ٢: ٤١٣، حديث (٩٤١) والإمام أحمد في مسنده ٣١: ٩٣، حديث(١٨٧٩٥).

وتعجيل الإفطار[1] وتأخير السحور من السنن[2]، وقد بالغ النبي في هذا الباب ويشبه أن تكون مبالغةً لإظهار احتياجه المناسب لمقام العبودية، والإفطار بالتمر سنة[3]، ويقرأ وقت الإفطار هذا الدعاء: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى»[4]، وأداء التراويح وختم القرآن في هذا الشهر من السنن المؤكدة[5]، ومثمرٌ لنتائج كثيرة، وفقنا الله سبحانه بحرمة حبيبه عليه وعلى آله الصلاة والسلام»[6].

١٥ - جميع ما جاء به النبي ﷺ من عند الله عز وجل بديهي:

قال رضي الله عنه أيضاً في مكتوبه إلى الشيخ فريد البخاري في بيان أنّ

---

١ لقوله ﷺ: «لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » رواه البخاري في صحيحه، باب تعجيل الفطر ٣: ٣٦، حديث (١٩٥٧).

٢ لقوله ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار وأخروا السحور » رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٥: ٣٤٦، حديث (٢١٣١٢).

٣ لقوله ﷺ: «إذا كان أحدكم صائماً فليفطر على التمر، فإن لم يجد التمر فعلى الماء فإن الماء طهور » . رواه أبو داود في سننه: باب ما يفطر عليه ٢: ٣٠٥، حديث(٢٣٥٥).

٤ رواه أبو داود في سننه، باب القول عند الإفطار، ٢: ٣٠٦، حديث (١٣٥٧)؛ والنسائي في سننه، باب ما يقول إذا أفطر، ٣: ٣٧٤، حديث رقم (٣٣١٥)؛ والطبراني في المعجم الكبير، ١٣: ٣٠٨، حديث (١٤٠٩٧).

٥ أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب: ٥ – ٦، ومسلم كتاب الفضائل باب: ١٢ - ٢٣٠٨

٦ مختصر المكتوب الخامس والأربعين من المكتوبات، ١: ٨٩-٩١.

جميع ما جاء به ﷺ من عند الله بديهي ما يلي:

«اعلم أنّ وجود الباري تعالى وتقدّس وكذلك وحدانيته سبحانه، بل نبوّة محمّد رسول الله ﷺ، بل جميع ما جاء به من عند الله بديهي لا يحتاج إلى فكر ودليل، على تقدير سلامة القوة المدركة من الآفات الرديّة والأمراض المعنوية.

والنظر والفكر فيها مقصور على زمن وجود العلة وثبوت الآفة، وأمّا بعد النجاة من المرض القلبي وزوال الغشاوة البصرية فلا شيء سوى البداهة، ألا ترى أن الصفراوي مثلاً ما دام مبتلاً بعلة الصفراء يحتاج إثبات حلاوة السكر والعسل عنده إلى الدليل، ولكن إذا تخلّص من تلك العلة لا يحتاج إلى دليل أصلاً، ولا منافاة بين احتياجه إلى الدليل الناشىء عن وجود الآفة وبين بداهته يعني في ذاته، ألا ترى أنّ الأحْوَل يرى الواحد اثنين ويحكم بعدم وحدته، فهو معذور في هذا الحكم، ولا يخرج حكمه هذا الناشيء من الآفة فيه وحدة ذلك الواحد من البداهة ولا يدخلها في النظرية.

ومن المحقَّق أنّ ميدان الاستدلال ضيّق جداً وحصول اليقين من طريق الدليل والنظر والفكر متعذر، فكان فكر إزالة المرض القلبي لتحصيل الإيمان اليقيني ضرورياً، كما أن إزالة علة الصفراء في تحصيل اليقين بحلاوة السكر أشد ضرورة من إقامة الدليل على حلاوة السكر، وكيف يحصل اليقين به بإقامة الدليل عليه مع حكم وجدانه بمرارته بسبب علة الصفراء القائم به، وهكذا الحكم فيما نحن فيه، فإن النفس الأمارة منكرة للأحكام الشرعية بالذات وحاكمة بتناقضها بالطبع، فتحصيل اليقين بحقية هذه الأحكام

الصادقة من طريق الدليل مع وجود إنكار وجدان المستدل عليه عسير جداً، فكانت تزكية النفس ضرورية لتعسر حصول اليقين اللازم الحصول بدونها﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[الشمس: ٩ – ١٠]، فتقرّر أن منكر هذه الشريعة الباهرة والملّة الطاهرة الظاهرة معلول بعلة مثل منكر حلاوة السكر ولكن:

ما ضرّ شمسُ الضحى في الأُفُقِ طالعة أنْ لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

فالمقصود من السير والسلوك وتزكية النفس وتصفية القلب هو إزالة الآفات المعنوية والأمراض القلبية المشار إليها بقوله تعالى﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة:١٠]، لتحقّق حقيقة الإيمان، فإن وُجد الإيمان مع وجود هذه الآفات فإنّما هو بحسب الظاهر فقط؛ لأن وجدان النفس الأمارة حاكم بخلافه وهي مصرّة على كفرها، ومَثَلُ هذا الإيمان الصوري مثل إيمان الصفراويّ بحلاوة السكر في كون وجدانه حاكماً وشاهداً بخلافه، فكما أنّ اليقين الحقيقي بحلاوة السُّكَّر إنّما يحصل بعد زوال مرض الصفراء كذلك حقيقة الإيمان- يعني بحقيّة الأحكام الشرعية وصدقها - إنّما تحصل بعد تزكية النفس واطمئنانها، وحينئذ يصير الإيمان وجدانيًا.

وهذا القسم من أقسام الإيمان محفوظٌ من الزوال لقوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[يونس: ٦٢] صادقٌ في شأن صاحبه، شرّفنا الله سبحانه بشرف هذا الإيمان الكامل الحقيقي بحرمة النبي الأميّ القرشي عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات

أكملها»[١].

١٦ - ذم الدنيا:

قال رضي الله عنه أيضًا في مكتوبه إلى الشيخ فريد البخاري في ذم الدنيا:

«اعلم أنّ هذه الدنيا حلوة في الظاهر ولها طراوة صورية، ولكنّها في الحقيقة سمٌ قاتل ومتاع باطل وليس في التعلق والارتباط بها طائل، مقبولها مخذول ومفتونها مجنون، وحكمها حكم نجاسة طُليت بالذهب، ومثلُها مثل سمٍ مخلوط بالسكر، والعاقل هو الذي لا يغتر بمثل هذا المتاع الكاسد ولا يتعلّق بمثل هذا الشيء الفاسد، ولهذا قال الفقهاء: لو أوصى بماله للعقلاء فهو للزّهاد لأنّهم يرغبون عن الدنيا، ورغبتهم عنها تدل على كمال عقلهم وفطنتهم»[٢].

١٧ - مذمّة النفس الأمّارة وفضيلة لا إله إلاّ الله:

قال رضي الله عنه أيضاً في مكتوبه إلى الشيخ محمد فريد البخاري في مذمة النفس الأمّارة وفضيلة لا إله إلا الله:

«إنّ النفس الأمّارة الإنسانية مجبولة على حب الجاه والرياسة، وجميع همّتها التّرفع على جميع الأقران، ومتمنّاها بالذّات أن يكون الخلائق كلهم محتاجين إليها ومنقادين إلى أوامرها ونواهيها، ولا تريد أن تكون هي محتاجة إلى شيء ومحكومة لأحد أبداً، وهذه كلها هي دعوى الألوهية منها والشركة

---

١ المكتوب السادس والأربعون من المكتوبات الربانية ١: ٩١- ٩٢.

٢ مختصر المكتوب الخمسين ١: ٩٦- ٩٧.

مع خالقها المنـزّه عن المثل والشبه جلّ سلطانه، بل هي البعيدة عن السعادة غير راضية بالشـركة، بل تريد أن تكون هي الحاكمة فقط لا غير ويكون الكلّ تحت حكمها، وقد ورد في الحديث القدسي: «عاد نفسك فإنّها انتصبت لمعاداتي»[1].

فتربية النفس بإعطاء مراداتها من الجاه والرياسة والتّرفع والتكبر إمدادها في الحقيقة لعداوة الله عز وجل وتقويتها لذلك، فينبغي أن يدرك شناعة هذا الأمر جداً وقد ورد في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في شيء منهما أدخلته في ناري ولا أبالي»[2].

وإنّما كانت الدنيا الدنيّة مبغوضة عند الحق سبحانه وملعونة بسبب أنّ حصولها ممد ومعاون في حصول مرادات النفس، فمن أمدّ العدو لا جرم يستحق اللّعن والطرد، وإنّما صار الفقر فخراً محمّدياً[3] عليه وعلى آله الصلاة والسلام، فإن في الفقر عدم حصول مراد النفس وحصول عجزها، والمقصود من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والحكمة في التكليفات الشرعية هو

---

١ قيل هذا من قدسيات داود ؛، أي فيما يرويه عن الله عزّ وجل.

٢ ورد هذا الحديث بلفظ:«الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، من نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم » وهو حديث صحيح، رواه ابن ماجة في سننه، باب البراءة من الكبر، ٢: ١٣٩٧، حديث رقم(٤١٧٤)؛ وأبو داود بلفظ:«فقذفته في النار»، باب ما جاء في التكبر، ٤: ٥٩، حديث (٤٠٩٠).

٣ قوله«وإنما صار الفقر فخراً..» إشارة لما هو دائر بين الناس من قوله ﷺ:«الفقر فخري»، قال ابن حجر: إنه باطل لا أصل له.

تعجيز هذه النفس الأمّارة وتخريبها، وقد وردت الشرائع لرفع الهوى النفساني.

وكل ما عُمل شيءٌ بمقتضى الشريعة يزول من الهوى النفساني بقدره؛ ولهذا كان فعل شيء من الأحكام الشرعية أفضل في إزالة الهوى النفساني من رياضات ألف سنة ومجاهداتها التي كانت من قبل النفس؛ بل هذه الرياضات والمجاهدات التي لم تقع على مقتضى الشريعة الغراء مؤيدة ومقوية للهوى النفساني، ولم تُقصِّر البراهمة والجوكية[1] في الرياضات والمجاهدات شيئاً ولكنها لما لم تكن على وفق الشريعة لم ينتفعوا بها أصلاً ولم يحصل لهم غير تقوية النفس وتربيتها، فمن صرف مثلاً دانقًا بنية أداء الزكاة التي أمر بها الشرع فهو أنفع في تخريب النفس من صرف ألف دينار من قبل نفسه، وكذلك أكل الطعام يوم عيد الفطر بحكم الشريعة أنفع في دفع الهوى من صيام سنين من قبل نفسه، وأداء ركعتي الفجر مع الجماعة التي هي سنة من السنن أفضل من قيام تمام الليلة بالنافلة مع ترك الجماعة في الفجر.

---

١ هي طائفة من الهنود - ربما كلمة جوكية أتت من كلمة يوغي، وهم من يمارس (اليوغا)-، تظهر منهم عجائب وغرائب، منها أن أحدهم يظل أشهر لا يأكل ولا يشرب. انظر: رحلة ابن بطوطة «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، لابن بطوطة، ٢: ٣٠٥.

وبالجملة إن النفس ما لم تترك من خبث ماليخوليا[1] دعوى السيادة والرفعة فالنّجاة محال، ففكر إزالة هذا المرض ضروري كيلا يفضي إلى الموت الأبدي وكلمة «لا اله إلا الله» التي وضعت لنفي الآلهة الآفاقيّة والأنفسية أنفع في تزكية النفس وأنسب لتطهيرها، واختار أكابر الطريقة قدّس الله أسرارهم لتزكية النفس هذه الكلمة الطيبة:

ما دمت لم تضرب بـ«لا»عنق السوى في قــصــر «إلاّ الله» لست بواصل

وما دامت النفس في مقام البغي والعناد ونقض العهد والفساد ينبغي أن يجدد الإيمان بتكرار هذه الكلمة، قال عليه الصلاة والسلام:«جدِّدوا إيمانكم بقول لا إله إلاّ الله»[2]، بل لا بد من تكرار هذه الكلمة في جميع الأوقات فإن النفس الأمارة في مقام الخبث دائماً، وقد ورد عن النبي ﷺ في فضائل هذه الكلمة حديث: «لو وضعت السموات والأرض في كفّة الميزان

---

١ الماليخوليا أو الماليخوليه، حالة عقلية موجودة في العديد من الأمراض العقلية والأنشطة الحركية. تتميز بالانطواء والشعور بالدونية واحتقار الذات والقلق والرغبة في الانتحار. تعالج بالصدمات الكهربائية.

٢ لفظ الحديث عن النبي ﷺ قال:«جددوا إيمانكم، قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله » . رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه ١٤: ٣٢٨، حديث (٨٧٠٩)؛ والبزار، ١٧: ٥٢، حديث (٩٥٦٩)؛ والحاكم في المستدرك، ٤: ٢٨٥.

وهذه الكلمة في كفّة لترجّحت هذه الكفة على الأخرى»[1]،والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام الأوفى»[2].

١٨ - الاجتناب عن صحبة المبتدع:

قال رضي الله عنه أيضاً في مكتوبه إلى الشيخ محمد فريد البخاري في بيان أنّ الاجتناب عن صحبة المبتدع لازم:

«أيقنوا أنّ فساد صحبة المبتدع أزيد من فساد صحبة الكافر، وأخبث جميع المبتدعين وأخسهم طائفةٌ يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ، وقد قال الله تعالى في القرآن المجيد لهؤلاء الطائفة كفّاراً حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[الفتح: ٢٩]، والمبلّغون للقرآن والشريعة هم الأصحاب فإن كان الأصحاب مطعونًا فيهم يلزم الطعن في القرآن والشريعة، والقرآن جمعه عثمان بن عفان عليه الرضوان فإن كان عثمان مطعونًا فيه كان القرآن مطعوناً فيه، أعاذنا الله سبحانه عما يعتقده الزنادقة.

والاختلاف الواقع بين الأصحاب عليهم الرضوان وكذا الجدال والقتال ليس بمحمول على الهوى النفساني، فإنّ نفوسهم قد تزكّت في صحبة خير البشر وتخلّصت من وصف الأمّاريّة، ولكن الذي نعتقده أنّ الحق كان في طرف عليّ كرّم الله وجهه والخطأ في طرف مخالفيه، ولكن هذا الخطأ خطأ

---

١ رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظ قريب منه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ١١: ٣٦٢، حديث (٦٧٥٠)؛ والطبراني، المعجم الكبير ١٢: ٢٥٤، حديث (١٣٠٢٤).

٢ المكتوب الثاني والخمسون من المكتوبات، ١: ٩٧-٩٩.

اجتهادي وهو لا يبلغ حدّ الفسق، بل لا مجال للملامة فى مثل هذا الخطأ وللمخطئ فيه درجة واحدة من الثواب.

ويزيد[1] البعيد عن السعادة ليس من الأصحاب، فلا كلام لأحد في كونه بعيداً عن ساحة السعادة، فإنّ الأمر الذي فعله هو لا يفعله كفار إفرنج، وقد توقف بعض العلماء من أهل السنة في لعنه، لا لكونه راضياً عنه أو بفعله بل رعاية لاحتمال رجوعه وتوبته.

وينبغي أن يُقرأ في المجلس الشريف كل يوم شيء من كتب قطب الزمان مخدوم العالم، ليُعلم أنّه كيف مدح أصحاب النبي عليه وعليهم الصلاة والسلام، وبأي نوع من الآداب ذكرهم حتى يكون المخالفون محجوبين ومخذولين، وقد غالت هذه الطائفة الباغية الطاغية في هذه الأيام غلواً كثيراً وعتَوا عتواً كبيراً وانتشروا في الآفاق والأكناف، فكتبنا في بيان فسادهم كلمات بهذا السبب لئلا تتطرق هذه الطائفة إلى المجلس الشريف، وكيلا يكون لهم اعتبار في ذلك المحفل المنيف، ثبّتكم الله سبحانه على الطريقة المرضيّة»[2].

١٩ - الطريق سبع خطوات:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى السيد محمود في بيان أنّ هذا الطريق كله سبـــع خطــوات وأنّ مشايخ النقشبندية اختاروا ابتداء السير من عالم الأمر،

---

١ أي: يزيد بن معاوية عليه من الله ما يستحق.

٢ بنصه من المكتوب الرابع والخمسين من المكتوبات، ١: ١٠١- ١٠٢.

وأنّ طريق هؤلاء الأكابر هو طريق الأصحاب الكرام وما يناسب ذلك:

«إنّ هذا الطريق الذي نحن في صدد قطعه كله سبعة أقدام بعدد اللّطائف السبع الإنسانية:

قدمان منها في عالم الخلق، يتعلّقان بالقالَب، أعني البدن العنصري والنفس، وخمسة منها في عالم الأمر مربوطة بالقلب والروح والسر والخفي والأخفى، وفي كلّ قدم من هذه الأقدام السبع ترتفع عشرة آلاف حجاب، نورانيّة كانت تلك الحُجب أو ظلمانية «إنّ لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة»[1].

ففي القدم الأولى التي توضع في عالم الأمر يظهر التجلي الأفعالي، وفي الثانية التجلي الصفاتي، ويقع الشروع في التجليات الذاتية في الثالثة، وثم على تفاوت درجاتها كما لا يخفى على أربابها، وفي كلّ خطوة من الخطوات السبع يبعد السالك عن نفسه ويقرب من ربه سبحانه حتى يتم القرب بتمام هذه الأقدام فحينئذ يتشرّف بالفناء والبقاء ويبلغ درجة الولاية الخاصة.

واختار مشايخ النقشبندية العليّة قدّس الله أسرارهم السنية ابتداء هذا السير من عالم الأمر، وهم يقطعون مسافة عالم الخلق أيضاً في ضمن هذا السير، بخلاف مشايخ سلاسل أخر قدس الله أسرارهم، ولهذا كان طريق

---

١ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٦: ١٤٨، حديث (٥٨٠٢)؛ وقريباً منه ابن خزيمة في التوحيد ١: ٥٠؛ وذكره الهيثمي في الزوائد ١:٧٩؛ وذكره صاحب كنز العمال ١٠: ٣٦٩، حديث (٢٩٨٤٦).

النقشبندية أقرب الطرق، فلا جرم صارت نهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم:

يدل على حسن الزمان ربيعه

وطريق هؤلاء الأكابر هو بعينه طريق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فإنّ ما حصل للأصحاب في أول صحبة خير البشر عليه وعلى آله الصلاة والسلام بطريق اندراج النهاية في البداية قلّما يحصل لكمّل الأولياء في النهاية، ولهذا كان الوحشي[1] قاتل حمزة[2] رضي الله عنه أفضل من أويس القرني[3]!الذي هو خير التابعين لنيله صحبة النبي ﷺ مرة واحدة! سئل عبد

---

١ هو وحشيٌّ بن حرب الحبشيّ، قاتِلُ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، أسلم بعد ذلك وشارك في قتل مسيلمة الكذاب، وكان يقول: قتلت خير الناس وقتلت شرّ الناس، نزل حمص وتوفي بها. انظر ترجمته: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ١: ٤٧٦، ٧: ٢٩٣؛ والتاريخ الكبير، لابن خيثمة، ٢: ٦٨٣؛ الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، ٩: ٤٥؛ أسد الغابة، لابن الأثير، ٥: ٤٠٩، ترجمته رقم (٥٤٤٩).

٢ هو الصحابي الجليل حمزة بن عبد المطلب أبو عمارة القرشي، عمّ النبي صلى الله عليه وسلم وأحد سادة قريش، شارك في بدر وقاتل بسيفين، وقتل يوم أُحد ودفن في المدينة سنة ٣ للهجرة. انظر ترجمته: الإصابة، ١: ٥٠؛ والطبقات الكبرى، لابن سعد، ٢: ٤٢؛ ومعرفة الصحابة، لأبي نعيم، ٢: ٦٧٢.

٣ أويس القرني بن عامر بن جزي بن مالك بن عمرو، يكنى أبا عمرو، بشّر به النبي ﷺ بأنه سيّد التابعين، وبأنه مستجاب الدعوة، منعه أن يلحق برسول الله ﷺ قيامه على أمه بسبب مرضها. قيل فقد سنة ٣٧هـ في صفين. انظر ترجمته: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٦: ٢٠٤-٢٠٧؛ طبقات خليفة، الخياط، ١: ٢٤٦.

الله بن المبارك[١]: أيّهما أفضل معاوية[٢] أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله للغبار الذي دخل أنف فرس معاوية مع رسول ﷺ خيرٌ من عمر بن عبد العزيز كذا مرة.

فينبغي أن يتأمل في أنّه إذا كان بداية جماعة بحيث اندرجت فيها نهاية غيرهم ماذا تكون نهايتهم وكيف يسعها إدراك الآخرين؟ وما يعلم جنود ربك إلاّ هو»[٣].

٢٠- حصول النّجاة في ثلاثة أمور:

قال رضي الله عنه أيضاً في مكتوبه إلى السيد محمود في بيان أنّه لا بد في حصول النجاة من أمور ثلاثة:

---

١ أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك، صنّف كتباً كثيرة، وقال الشعر في الزهد، وقدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن، سمع علماً كثيراً، وكان ثقةً إماماً حجة كثير الحديث، توفي سنة ١٨١هـ. انظر ترجمته: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٧: ٢٦٧، رقم(٣٦٤٣)؛ طبقات خليفة، الخياط، ٦٠٠؛ تهذيب الكمال، ١٦: ١١؛ تاريخ بغداد، ١٠: ١٩١؛ تقريب التهذيب، ١٨٧.

٢ الصحابي معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد الشمس بن عبد مناف بن قصي، شهد وقعة حنين مع الرسول صلى الله عليه وسلم، توفي في دمشق سنة ٦٠هـ، له ١٣٠ حديثاً، ولي الشام عشرين عاماً، كان حليماً كريماً عاقلاً خليقاً للإمارة. انظر ترجمته: طبقات ابن سعد، ١: ١٠٤؛ طبقات خليفة، ٣٩؛ التاريخ الكبير، البخاري، ٧: ٣٢٦؛ طبقات الشاميين، ١: ١٥؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣: ١١٩؛ أسد الغابة، ٤: ٣٨٥.

٣ مختصر المكتوب الثامن والخمسين من المكتوبات الربانية، ١: ١٠٤ -١٠٥.

«لا بد للإنسان من ثلاثة أشياء حتى تتيسر النجاة الأبدية: العلم والعمل والإخلاص.

والعلم على قسمين: قسمٌ المقصود منه العمل، وقد تكفل ببيانه علم الفقه، وقسمٌ المقصود منه مجرّد الاعتقاد واليقين القلبي، وذكر هذا القسم في علم الكلام بالتفصيل على مقتضى آراء أهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية، ولا إمكان للنّجاة ولا مطمع لأحد فيها بدون اتباع هؤلاء الأكابر، فإن وقعت المخالفة لهم مقدار شعرة فالأمر في خطر أي خطر.

وهذا الكلام قد بلغ من الصحة مرتبة اليقين بالكشف الصحيح والإلهام الصريح أيضاً لا احتمال فيه للتخلف، فطوبى لمن وفّق لمتابعتهم وتشرّف بتقليدهم، وويل لمن خالفهم واعتزلهم ورفض أصولهم وخرج من زمرتهم فضلّ وأضل، وأنكر الرؤية والشفاعة وخفي عليه فضيلة الصحبة وفضل الصحابة وحرم محبّة أهل بيت الرسول ومودة أولاد البتول فمُنع من خير كثير نالها أهل السنة.

واتفقت الصحابة على أن أفضلهم أبو بكر، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه وهو أعلم بأحوال الصحابة: «اضطّر الناس بعد رسول الله ﷺ فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر فولّوه رقابهم»، وهذا تصريح منه بأنّ الصحابة متفقون على أفضلية الصديق، فيكون إجماعاً على أفضليته في الصدر الأول، فيكون قطعياً لا يسوغ إنكاره.

وأهل بيت الرسول ﷺ مثلهم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك، قال بعض العارفين: إنّ رسول الله ﷺ جعل أصحابه

كالنجوم[1] ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وشبّه أهل بيته بسفينة نوح، إشارة إلى أنّ راكب السفينة لابد له من رعاية النجوم ليأمن من الهلاك، وبدون رعاية النجوم النجاة ممتنعة.

ومما ينبغي أن يُعلم أنّ الإنكار على بعضٍ إنكارٌ على جميعهم فإنّهم في فضيلة صحبة خير البشر مشتركون، وفضيلة الصحبة فوق جميع الفضائل والكمالات، ولهذا لم يبلغ أويس القرني الذي هو خير التابعين مرتبة أدنى من صحبه عليه الصلاة والسلام، فلا تعدل بفضيلة الصحبة شيئاً كائناً ما كان، فإنّ إيمانهم ببركة الصحبة وشهود نزول الوحي صار شهوديًا، ولم يتفق لأحد بعد الصحابة هذه المرتبة من الإيمان، والأعمال متفرعة على الإيمان، كمالها بحسب كمال الإيمان.

وما جرى بينهم من المشاجرات والمنازعات فمحمول على محامل صالحة وحِكم بالغة، ما كانت عن هوى وجهل، ولكن عن اجتهاد وعلم فإنْ أخطأ بعضهم في الاجتهاد فللمخطئ أيضاً درجة عند الله سبحانه، هذا هو الطريق الوسط بين الإفراط والتفريط الذي اختاره أهل السنة والجماعة وهو الطريق الأسلم والسبيل الأحكم.

وبالجملة إنّ العلم والعمل مستفادان من الشريعة، وتحصيل الإخلاص الذي هو بمنزلة الروح للعلم والعمل مربوطٌ بسلوك طريقة الصوفية، ومالم يقطع السالك مسافة السير إلى الله ولم يتحقّق له السير في الله فهو بعيد من

---

١ أخرجه الديلمي في الفردوس (٦٤٩٧).

حقيقة الإخلاص ومحروم من كمالات المخلصين أهل الاختصاص.

نعم قد يتحقق الإخلاص في بعض الأعمال لعامة المؤمنين بالتّعمل والتّكلف ولو في الجملة، ولكن الإخلاص الذي نحن في صدد بيانه هو الإخلاص في جميع الأفعال والأقوال والحركات والسكنات من غير تعمّل وتكلّف فيه، وحصول هذا الإخلاص منوط بانتفاء الآلهة الآفاقيّة والأنفسية الذي هو مربوط بالفناء والبقاء والوصول بالولاية الخاصة.

والإخلاص الذي يُحتاج فيه إلى التّعمل والتكلف لا يكون له دوام، ولا بد من سقوط التكلف في حصول الدوام الذي هو مرتبة حق اليقين، وأولياء الله تعالى كلّما يفعلونه يفعلونه لله جل وعلا لا لحظوظ نفوسهم، فإنّ نفوسهم كانت فداء الحق سبحانه ولا حاجة لهم إلى تصحيح النية في حصول الإخلاص فإنّ نيتهم قد صحت بالفناء في الله والبقاء بالله، فإنّ شخصاً مثلا إذا كان أسيراً في يد نفسه فكل ما يفعله يفعله لحظ نفسه نوى أو لم ينو، ومتى زال تعلّقه بنفسه وتخلص من ربقة رِقّيّتها وحصل بدله التعلق بالحق جل وعلا فلا جرم يفعل كل ما يفعله لله نوى أو لم ينو، فإنّ النية إنّما يحتاج إليها في المحتمل، وأما المتعين فلا حاجة في التعيين ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[الحديد:٢١]، وصاحب الإخلاص الدائم هو من المخلَصين (بفتح اللام)، ومن لا دوام في إخلاصه بل هو في كسب الإخلاص دائما فهو من المخلِصين (بكسر اللام) وشتّان ما بينهما.

والنفع الذي يحصل في العلم والعمل من طريق الصوفية هو أن تكون العلوم الكلامية الاستدلالية كشفية، وأن يحصل اليسر التام في أداء الأعمال

وأن يزول الكسل الناشيء من جانب النفس و الشيطان.

وهذى سعادات تكون نصيب من

والسلام أولاً وآخراً»[1].

٢١- نفي الخواطر:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى السيد محمود في بيان نفي الخواطر ودفع الوساوس:

«شرف الله سبحانه وتعالى بدوام التعلق بجناب قدسه، فإنّ حقيقة الحرية إنّما هي في ذلك التّحقّق، ومنع الخواطر ودفع الوساوس حاصل في طريقة خواجكان قدّس الله أسرارهم على الوجه الأتم، حتى جلس بعض مشايخ هذه الطائفة الأربعين لملاحظة خطور الخواطر ومنعها عن ساحة صدره في هذه المدة كلها.

قال حضرة الخواجة عبيد الله أحرار قدّس الله سره في هذا المقام: إنّ المراد بعدم خطور الخواطر ودفعها هي الخواطر التي تكون مانعة من دوام التّوجه إلى المطلوب، لا دفع الخواطر مطلقا، يقول واحد من مخلصي هذه السلسلة العلية مخبراً عن حاله بحكم ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى: ١١]: إنّ نفي الخواطر عن القلب يبلغ حداً لو أُعطيتُ عمر نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام فرضاً لا يخطر على قلبي شيء من الخواطر، لا أنّه متكلّف في هذا الدفع فإنّ كل شيء كان حصوله بالتكلف فهو مؤقت لا يقبل الدوام، بل

---

١ نص المكتوب التاسع والخمسين من المكتوبات الشريفة، ١: ١٠٥- ١٠٧.

لو تكلّف في إتيان الخواطر وإيقاعها سنين لا يتسير أصلاً.

وتعيين الأربعين ينبئ عن التكلّف، والتكلّف إنّما هو في مرتبة الطريقة وأمّا الحقيقة فهي التخلّص من التّعمّل والتكلف، (ياد كرد) في الطريقة و(ياد داشت) في الحقيقة، فتحقّق أنّ دوام التوجه إلى المطلوب على تقدير تحقق منع الخواطر الموقت بوقت من العشر والأربعين محال لما مر من أنّ التكلف في مرتبة الطريقة والدوام غير متصور في الطريقة وإنّما هو في الحقيقة وذلك لعدم مجال للتكلف في ذلك الموطن، فورود الخاطر وخطوره في مرتبة التكلّف يكون مانعاً من دوام التوجه.

والذي يحصل لقلوب مبتدئ هذه السلسلة العلية من دوام التوجه فهو أمر آخر، وما نحن بصدد بيانه فعبارة عن (ياد داشت) الذي هو نهاية مرتبة الكمال، قال حضرة الخواجة عبد الخالق قُدّس سرّه: ليس وراء (ياد داشت) غير الأوهام والظنون، يعنى ليس وراءه مرتبة أخرى والمقصود من إظهار أمثال هذه الأحوال هو ترغيب طالبي هذه الطريقة العلية وإن لم يزد للمنكرين غير الإنكار شيئاً، يُضل به كثيراً ويهدى به كثيراً قال في المثنوي[1]:

خاب الذي قد يرى ذا القبح كالحسن   وفـــاز مـــن كان فيه حدة البصر»[2].

---

١ لمولانا جلال الدين الرومي قدّس الله سرّه العزيز، صاحب الطريقة المولوية.

٢ بتصرف من المكتوب الستين من المكتوبات، ١: ١٠٧-١٠٨.

٢٢- التّحريض[1] على صحبة الشيخ الكامل المكمِّل:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى السيد محمود في التحريض على صحبة الشيخ الكامل المكمِّل دون الناقص:

«الطالب لا بد له أولاً من برزخ ذي جهتين لكونه في الابتداء في غاية الدناءة ونهاية الخساسة وعدم مناسبته أصلاً لجناب قدسه جل سلطانه من هذه الحيثية، وذلك البرزخ هو الشيخ الكامل المكمِّل، وأقوى أسباب وقوع الفتور على طلب الطالب هو الإنابة إلى الشيخ الناقص وهو الذي جلس على مسند المشيخة بدون إتمام أمره بالسلوك والجذبة، فصحبته سمٌّ قاتل للطالب، والإنابة إليه مرض مهلك.

ومثل هذه الصحبة تورث الانحطاط والتّنزل للاستعداد العالي؛ بل ترميه من الذروة إلى الحضيض، ألا ترى أنّ المريض إذا أكل مثلاً دواء من طبيب ناقص في الطب فلا جرم يكون ذلك سعياً واجتهاداً منه في زيادة مرضه وتضييع قابلية إزالة مرضه، وهذا الدواء وإن أورث تسكين الوجع وتخفيفاً ما في أول وهلة؛ ولكن في الحقيقة هو عين المضرة، فإن وصل هذا المريض فرضاً إلى طبيب حاذق يجتهد هذا الطبيب أولاً في إزالة تأثير هذا الدواء ويعالجه

---

١ التحريض: الحثّ على العمل والفعل والمواظبة والدوام على الشيء، وتقوية الرغبة في الشيء، وهو من المصدر: حَرَضَ، وفي التنزيل العزيز: «يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال» أي الحثّ والإحماء عليه. انظر: مختار الصحاح، الرازي، ١٢١-١٢٢؛ المصباح المنير، الفيومي، ٨١؛ والمعجم الوسيط، ١٦٧.

بالمسهلات -يعني لإخراجه- ثم يشرع في معالجة إزالة المرض بعد زوال ذلك التأثير.

ومدار طريق هؤلاء الأكابر على الصحبة لا يحصل فيه شيء من القيل والقال والسماع العاري عن الأحوال؛ بل يورث ذلك فتوراً في طلب الترّقي إلى مدارج القرب والكمال»[١].

٢٣- الجذبة قبل السلوك:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى ميرزا حسام الدين أحمد في بيان أنّ الجذبة التي هي قبل السلوك ليست من المقاصد، بل هي وسيلة لقطع منازل السلوك بالسهولة، والجذبة التي من المقاصد إنّما هي بعد السلوك وما يناسب ذلك:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، اعلم أنّ طريق الوصول مركبٌ من جزأين: جذبةٌ، وسلوك، وبعبارة أخرى تصفية وتزكية.

والجذبة التي هي مقدمة على السلوك ليست من المقاصد، والتصفية التي قبل التزكية ليست من المطالب، والجذبة المقصودة والتصفية المطلوبة إنّما هما الحاصلتان بعد تمام السلوك وحصول التزكية التي هي في السير في الله.

وفائدة الجذبة والتصفية السابقتين للسلوك والتزكية إنّما هي تسهيل مسالك السلوك، فإنّ الأمر لا يحصل بدون السلوك، وجمال المطلوب لا يتجلى من غير قطع المنازل، والجذبة الأولى كالصورة للجذبة الثانية لا مناسبة بينهما

---

١ مختصر المكتوب الحادي والستين، ١: ١٠٨-١١٠.

في الحقيقة يعنى سوى هذا، فالمراد باندراج النهاية في البداية كما ورد ذلك في عبارات مشايخ هذه السلسلة العليّة هو اندراج صورة النهاية في البداية، وإلاّ فالبداية لا تسع حقيقة النهاية ولا مناسبة بين النهاية والبداية، وتحقيق هذا المبحث مذكور بالتفصيل في الرسالة التي حررتها لتحقيق حقيقة الجذبة والسلوك وأمثالها.

والحاصل أن العبور من الصورة إلى الحقيقة ضروري والاكتفاء من الحقيقة بالصورة مهجوري، حقّقنا الله سبحانه بالحقيقة الحقّة وجنّبنا عن الصورة الباطلة بحرمة النبي المختار وآله الأبرار عليه وعليهم من الصلوات أكملها ومن التحيات أفضلها»[1].

٢٤- اتفاق الأنبياء في أصول الدين:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ النقيب فريد في بيان أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفقون في أصول الدين واختلافهم إنّما هو في الفروع وبيان بعض كلماتهم المتفقة:

«اعلم أنّ الأنبياء صلوات الله تعالى وتسليماته وبركاته على جميعهم عموماً وعلى أفضلهم خصوصاً، كلهم رحمات من الله سبحانه، استسعد العالم بتوسط هؤلاء العظام بالنجاة الأبدية وتخلّصوا من البليّات السرمدية.

فلولا وجودهم الشريف لما أخبر الحق سبحانه الذي هو الغني المطلق أحداً من أهل العالم عن ذاته وصفاته تعالى وتقدس، ولمّاَ دلّ عليها أحدًا ولا

---

١ المكتوب الثاني والستون،١: ١١٠ - ١١١.

أهدى إلى معرفته شخصاً أبدًا، ولما كلّف عباده بامتثال أوامره والانتهاء عن مناهيه سرمداً الذين كلفهم بهما بمحض كرمه لنفعهم، ولمَّا امتازت مرضيّاته تعالى من غير مرضيّاته، فشكر هذه النعمة العظمى بأي لسان يؤدى، ولمن يكون مجال الخروج عن عهدته؟

الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا إلى الإسلام وجعلنا من مصدقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهؤلاء العظام متفقون في الأصول، وكلمتهم متحدة في ذات الحق وصفاته تعالى وتقدس وفي الحشر والنشر وإرسال الرسل ونزول الملك وورود الوحي ونعيم الجنة وعذاب الجحيم بطريق الخلود والتأبيد، واختلافهم إنّما هو في بعض الأحكام المتعلقة بفروع الدين، وذلك لأنّ الحق سبحانه أرسل في كل زمان إلى أنبياء ذلك الزمان بعض الأحكام المناسبة لذلك الزمان بطريق الوحي وكلّفهم بأحكام مخصوصة.

والنسخ والتبديل دائران على حكم من الحق سبحانه ومصالح، وكثيراً ما وردت إلى نبي صاحب شريعة -يعني مستقلة- أحكام متضادة في أوقات مختلفة بطريق النسخ والتبديل»[1].

٢٥- متى تكون عبادة الله تعالى ميسرة؟

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى جباري خان في بيان أنّ عبادة الله متى تكون ميسّرة وما يناسب ذلك:

---

١ مختصر المكتوب الثالث والستين، ١ : ١١١.

«عبادة الله الذي ليس كمثله شيء إنّما تتيسر إذا تخلّص العبد عن رقيّة سواه جل سلطانه بالتمام، ولم تبق قِبلة التّوجه غير الذّات الأحدية، ومصداق هذا التوجه استواء إنعامه وإيلامه تعالى؛ بل يكون الإيلام أرغب فيه من الإنعام في ابتداء حصول هذا المقام، وإن انجرّ الأمر أخيراً إلى التفويض وكان كلّما يصل ويحصل هو الأولى والأنسب، والعبادة التي منشؤها الرغبة والرهبة فتلك العبادة هي عبادة النفس في الحقيقة، فإنّ المقصود منها إمّا حصول نجاة النفس أو سرورها.

مـــا دمت مفتوناً بنفسك يا خليلي   دعـــوى المحبةِ منك دعوى كاذِب

وحصول هذه الدولة منوط بالفناء المطلق، وهذا التوجه من نتيجة المحبة الذاتية ومقدمة ظهور الولاية الخاصة المحمّدية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وحصول هذه النعمة العظمى موقوف على كمال اتباع شريعته عليه من الصلوات أتمها ومن التحيات أكملها؛ فإنّ شريعة كل نبي التي أعطاه الله إيّاها من طريق النبوة مناسبة لولايته، فإنّ التوجه في الولاية إلى الحقّ بالكلية، فإذا نزل بإذن الله سبحانه إلى مقام النبوة ينـزل بذلك النور ويجمع ذلك الكمال مع التوجه إلى الخلق»[1].

٢٦- معنى السفر في الوطن والسير الآفاقي والأنفسي:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى جباري خان في بيان معنى السفر في الوطن والسير الآفاقي والأنفسي وأنّ حصول هذه الدولة موقوف على

---

١ مختصر المكتوب السابع والسبعين، ١: ١٣٢.

اتّباعه ﷺ، رزقنا الله سبحانه الاستقامة على جادة الشريعة الحقّة على مصدرها الصلاة والتحية:

«إنّ السفر في الوطن من الأصول المقررة عند أكابر الطائفة النقشبندية العلية قدّس الله أسرارهم السنية، ويحصل في هذا الطريق ذوق من هذا السفر في الابتداء بطريق اندراج النهاية في البداية، ويجعل جمع من هؤلاء الطائفة مجذوبين سالكين إذا أريد ذلك، ويُرمون أولاً في السير الآفاقي ثم يُجذبون إلى السير الأنفسي بعد تمام السير الآفاقي.

والسفر في الوطن عبارة عن هذا السير الأنفسي، والوصول إلى هذه النعمة العظمى منوطٌ باتباع سيد الأولين والآخرين عليه وعلى آله من الصلوات أكملها ومن التحيات أفضلها، وما لم يُفن السالك نفسه في الشريعة ولم يتحلّ بحلا امتثال الأوامر والانتهاء عن المناهي لا تصل رائحة من هذه الدولة إلى مشامّ روحه، فإن حصلت له الأحوال والمواجيد فرضاً مع وجود مخالفة الشريعة ولو مقدار شعرة فهي داخلة في الاستدراج تفضحه أخيراً، ولا إمكان للخلاص بدون اتباع محبوب ربّ العالمين عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها.

فينبغي للعاقل أن يصرف حياةَ أيامٍ معدودة في مرضيّات الله سبحانه وتعالى، وأيّ صفاء في عيش وأيّة لذّة في معيشة إذا لم يكن مولى العبد راضياً عن أفعاله؟! والحق سبحانه وتعالى مطّلع على الأحوال الكلية والجزئية وحاضر وناظر، فينبغي أن يستحيي منه سبحانه، فإنّه لو ظن اطّلاع مخلوق على الغيوب والأفعال القبيحة لما صدرت حينئذ قبيحةٌ ولا عيبٌ قطعاً، ولا يراد

اطّلاعه على الغيوب البتة، فأي بلاء وقع فإنّ أكثر الناس لا يتّقون ولا ينقبضون ولا يبالون مع علمهم بحضور الحق سبحانه، واطلاعه على الضمائر والسرائر، فأيّ إسلام هذا حيث لا اعتبار للحق عندهم مثل اعتبار هذا المخلوق؟ نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

فبحكم «جدّدوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله»[1] ينبغي أن يُجدّد الإيمان في كل آن بهذا القول العظيم الشأن، وأن يتوب إلى الله سبحانه من جميع الأفعال المذمومة وينيب إليه تعالى فإنّه لا يدري ربما تكون الفرصة للتوبة في وقت آخر، «هلك المسوّفون»[2] حديثٌ نبوي عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

وينبغي أن يغتنم الفرصة ويصرفها في مرضاته تعالى، والتوفيق للتوبة من عناية الحق سبحانه، فينبغي أن يطلب هذا المعنى دائماً وأن يطلب الهمّة من الدراويش الذين لهم قدم راسخ في الشريعة ومعرفةٌ تامة من عالم الحقيقة، وأن يستمد منهم حتى تظهر عناية الحق سبحانه من بابهم فتجذب إلى جناب قدسه تعالى بالتمام فلا تبقى حينئذ مخالفة أصلا، فإنه لو وجدت من مخالفة الشريعة مقدار شعرة فالأمر في خطر فلا بد من سد سبل المخالفة بالتمام.

ومن المحال المشي في طرق الصفا يا سعد من غير اتباع المصطفى

صلوات الله سبحانه عليه وعلى آله.

---

١ أخرجه الحاكم في المستدرك (٧٦٥٨)؛ ومسند أحمد (٨٦٩٥).

٢ أخرجه نصر بن محمد، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين، ١: ٥٩.

ولا ينبغي الاعتراض على أهل الله خصوصاً إذا تحقق في البين اسم المرشدية والمريدية وكان طريق الإفادة والاستفادة مفتوحًا، وينبغي أن يعتقده- أي الاعتراض - سُماً قاتلاً»[١].

٢٧- الشريعة الغرّاء جامعة للشرائع المتقدمة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المذكور[٢] أيضاً في بيان أنّ هذه الشريعة الغراء جامعة للشرائع المتقدمة والإتيان بمقتضى هذه الشريعة إتيان بمقتضى الشرائع وما يناسب ذلك:

«رزقكم الله سبحانه الثبات والاستقامة على جادة الشريعة المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وجعلكم متوجهين إلى جناب قدسه بالكلية، وقد تقرر أنّ محمداً رسول الله ﷺ جامع لجميع الكمالات الأسمائية والصفاتية، ومظهر جميع الأنبياء على سبيل الاعتدال، والكتاب الذي أنزل إليه خلاصة جميع الكتب السماوية المنزلة على سائر الأنبياء على نبينا وعليهم الصلوات والتسليمات.

وأيضاً إنّ الشريعة التي أعطيها زبدة الشرائع المتقدمة، والأعمال بمقتضى هذه الشريعة الحقّة منتخبة من أعمال الشرائع، بل من أعمال الملائكة أيضاً صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين، فإنّ بعض الملائكة مأمورون بالركوع وبعضهم بالسجود وبعضهم بالقيام، وكذلك الأمم السابقة كان

---

١ مختصر المكتوب الثامن والسبعين، ١: ١٣٣-١٣٥.

٢ جباري خان.

بعضهم مأمورين بصلاة الصبح وبعضهم بصلاة أخرى، وورد الأمر في هذه الشريعة بإتيان الأعمال المنتخبة من خلاصة أعمال الأمم السابقة والملائكة المقربين وزبدتها، فالتصديق بهذه الشريعة تصديق بجميع الشرائع، والعمل بمقتضاها عمل بمقتضيات تلك الشرائع، فلا جرم يكون مصدقو هذه الشريعة خير الأمم وكذلك تكذيب هذه الشريعة تكذيب لجميع الشرائع، وترك العمل بموجبها ترك العمل بموجب سائر الشرائع، وكذلك إنكار نبينا ﷺ إنكار لجميع الكمالات الأسمائية والصفاتية، وتصديقه تصديق بجميع ذلك، فلا جرم يكون منكره ﷺ ومكذب شريعته شرّ الأمم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا﴾[التوبة: ٩٧].

محمد سيد الكونين من عرب تعساً لمن لم يكن في بابه التربا»[1].

٢٨- الفرقة الناجية: فرقة أهل السنة والجماعة:

قال رضي الله عنه إلى المرزا فتح الله الحكيم في بيان أنّ الفرقة الناجية من بين الفرق الثلاثة والسبعين فرقة أهل السنة والجماعة، وفي المنع من الالتفات إلى الفرق المبتدعة والاختلاط معهم وما يناسب ذلك:

«رزقنا الله سبحانه وإيّاكم الاستقامة على جادة الشريعة المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، هذا هو الأمر والباقي من العبث، وكل فرقة من الفرق الثلاث والسبعين يدّعون أنّهم متّبعون للشريعة ويجزمون بكونهم ناجين ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾[المؤمنون: ٥٣] مصداق حالهم ونقد وقتهم.

---

١ نص المكتوب التاسع والسبعين من المكتوبات، ١: ١٣٥- ١٣٦.

وأمّا الدليل الذي بيّنه النبي الصادق عليه من الصلوات أكملها ومن التسليمات أفضلها على تمييز فرقة ناجية من تلك الفرق المتعددة فهو قوله ﷺ: «الذين هم على ما أنا عليه وأصحابي»[1]،وذِكرُ الأصحاب مع وجود الكفاية بذكر صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام والتحية في ذلك المحل يمكن أن يكون للإيذان بأنّ طريقي هو طريق الأصحاب وطريق النجاة منوط باتباع طريقهم فحسب، كما قال الله تعالى:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾[النساء:٨٠]، فكأن إطاعة الرسول عين إطاعة الله تعالى وخلاف إطاعتهﷺ عين معصيته تعالى وتقدّس.

وقد أخبر الله سبحانه عن حال جماعة زعموا طاعته تعالى خلاف طاعة الرسول وحكم بكفرهم حيث قال سبحانه:﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ ﴾[النساء: ١٥٠] فدعوى اتباع النبي ﷺ بدون اتباع طريق الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين دعوى باطلة، بل ذلك الاتباع في الحقيقة عين معصية الرسول عليه الصلاة والسلام، فأين المجال لطمع النجاة في ذلك الطريق!﴿ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾[المجادلة: ١٨] مطابقة لحالهم.

ولا شك أنّ الفرقة الملتزمة لاتباع أصحابه عليه وعليهم الصلاة والسلام أهل السنة والجماعة، شكر الله سعيهم، فهم الفرقة الناجية، فإنّ

---

١ أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، ٥: ٢٦، رقم(٢٦٤١)؛ والطبراني في الأوسط، ٥: ١٣٧، (٤٨٨٦)؛ والحاكم في المستدرك ١: ٢١٨، رقم(٤٤٤).

الطاعنين في أصحاب رسول الله ﷺ كالشيعة والخوارج محرمون من اتباعهم، وللمعتزلة مذهب على حدة محدث، ورئيسهم واصل بن عطاء[١] كان من أصحاب الحسن البصري ثم اعتزل مجلسه وصار يقول بإثبات الواسطة بين الكفر والإيمان فقال الحسن: اعتزل عنا، وعلى هذا القياس سائر الفرق.

والطعن في الأصحاب طعن في رسول الله ﷺ في الحقيقة، ما آمن برسول الله ﷺ من لم يوقّر أصحابه، فإنّ خبثهم ينجرّ إلى خبث صاحبهم، نعوذ بالله من هذا الاعتقاد السوء.

وأيضاً إنّ أحكام الشريعة التي وصلت إلينا من طريق القرآن والأحاديث إنّما وصلت بتوسط نقلهم، فإذا كان هؤلاء مطعوناً فيهم يكون نقلهم أيضاً مطعونا فيه، وهذا النقل ليس مخصوصاً ببعض دون بعض، بل كلهم في العدالة والصدق والتبليغ سواء، فالطعن في واحد منهم أي واحد كان طعناً في الدين والعياذ بالله سبحانه منهم»[٢].

---

١ هو واصل بن عطاء الغزّلي البصري، أحد الموالي والبلغاء، وهو رأس المعتزلة، طرده الحسن البصري : من مجلسه، نفى صفات الله عز وجل، وقال بالقدر، والمنزلة بين المنزلتين، والطعن في أصحاب الجمل، من مصنفاته: معاني القرآن، أصناف المرجئة، توفي ١٣١هـ. انظر ترجمته: طبقات المعتزلة، للمرتضى، ٢٨؛ الضعفاء والمتروكين، ابن الجوزي، ٣: ١٨١، برقم(٣٦٣٠)؛ وفيات الأعيان، ٦: ٧؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٦: ١٧٥، رقم (٨٢٥)؛ الأعلام، الزركلي، ٨: ١٠٨؛ معجم المؤلفين، عمر كحالة، ١٣: ١٥٩.

٢ بتصرف وتصحيح: المكتوب الثمانون من المكتوبات العلية الربانية، ١: ١٣٦- ١٣٨.

٢٩- سلامة القلب في نسيان ما سوى الحقّ جلّ وعلا:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى إسكندر خان اللودهي في بيان أنّ سلامة القلب لا تُتصوّر بدون نسيان ما سوى الحق جل وعلا، وهذا النسيان معبّر عنه بالفناء:

«جعلكم الله سبحانه معه على الدوام ولا يترككم مع غيره من الأنام بحرمة سيد البشر المطهر عن زيغ البصر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

وما هو اللازم لنا ولكم سلامة القلب من غير الحق سبحانه، وهذه السلامة إنّما تتيسر إذا لم يبق لغير الحق سبحانه مرور وخطور على القلب، وعدم مرور الغير منوط بنسيان ذلك الغير المعبر عنه بالفناء عند هذه الطائفة العلية.

ويبلغ ذلك النسيان مبلغًا لو أرادوا إخطار الغير بالبال وإيقاعه في القلب بالتكلّف فرضاً لا يخطر أبداً ولا يقع سرمداً، وما لم يبلغ النسيان هذه المرتبة فسلامة القلب محال، وهذه النسبة - يعني نسيان السوى بهذه المرتبة - صارت الآن كعنقاء المغرب، بل لا يصدق بها إن أخبر عنها.

هــنيئاً لأربـــــاب النعيم نعيمهم　　وللعاشق المسكين ما يتجرع»[1].

٣٠- التحريض على إتيان الأعمال الصالحة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المرزا فتح الله الحكيم في التّحريض على إتيان الأعمال الصالحة خصوصاً على أداء الصلوات بالجماعة وما يناسب ذلك:

---

١ المكتوب الثاني والثمانون بنصه من المكتوبات الشريفة، ١: ١٤٠-١٤١.

«وفقكم الله سبحانه لمرضياته، اعلم أنّ الإنسان كما أنّه لا بد له من تصحيح الاعتقادات كذلك لا بد له من إتيان الأعمال الصالحات، وأجمع العبادات وأقرب الطاعات هو أداء الصلاة كما قال عليه الصلاة والسلام: «الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين»[1].

ومن وُفّق لمواظبة أداء الصلاة فقد امتنع عن الفحشاء والمنكر، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥] مؤيد لهذا الكلام، والصلاة التي ليست بهذه المثابة يعني لم تمنع صاحبها عن الفحشاء والمنكر - فهي صورة الصلاة لا حقيقة لها؛ ولكن ينبغي أن لا تُترك الصورة إلى أن تحصل الحقيقة، فإنّ ما لا يدرك كله لا يترك كله، ولا يُستبعد اعتبار أكرم الأكرمين الصورة وأن يقبلها مكان الحقيقة، فعليكم المواظبة على أداء الصلاة مع الجماعة ومع الخشوع والخضوع فإنّها سبب النجاة والفلاح، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[المؤمنون:١-٢]

والحاصل أنّه ينبغي أن يعمل مع وجود الخطر - يعني الرد- ألا ترى أنّ العساكر يحصل لهم اعتبار كثير في مقابلة حركتهم اليسيرة ومناضلتهم القليلة وقت غلبة العدو، وإنّما يعتبر صلاح الشبان لأنهم اختاروا الصلاح وكلفوا أنفسهم عليه مع وجود غلبة الشهوة النفسانية فيهم، وقد نال أصحاب

---

١ أخرج البيهقي شطره الأول «الصلاة عماد الدين» في شعب الإيمان، (٢٨٠٧)، قال السخاوي: البيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عكرمة عن عمر مرفوعا، وقال ابن الصلاح في«مشكل الوسيط»: غير معروف، وقال النووي في «التنقيح»: منكر باطل.

الكهف جميع تلك الحشمة والعظمة والرتبة عند الله تعالى بسبب هجرة واحدة من مخالفي الدين، وورد في الحديث النبوي عليه الصلاة والسلام:«عبادة في الهَرج كهجرة إليَّ»[١][٢].

٣١- تصحيح العقائد وإتيان الأعمال الصالحة جناحان للطيران إلى عالم القدس:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ الكبير في بيان أنّ تصحيح العقائد وإتيان الأعمال الصالحة كليهما جناحان للطيران إلى عالم القدس وأن المقصود من أعمال الشريعة وأحوال الحقيقة هو تزكية النفس وتصفية القلب:

«رزقنا الله سبحانه وإيّاكم الاستقامة على متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، واعلم أنّ الذي لا بد منه هو تصحيح الاعتقاد أولاً على وفق آراء علماء أهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية، ثم العمل بمقتضى الأحكام الفقهية ثانياً، فإذا حصل هذان الجناحان الاعتقادي والعملي ينبغي أن يقصد الطيران إلى عالم القدس، هذا هو الأمر والباقي من العبث.

والمقصود من أعمال الشريعة وأحوال الطريقة والحقيقة هو تزكية النفس وتصفية القلب وما لم تتزك النفس لا تحصل السلامة للقلب ولا يحصل الإيمان

---

١ رواه مسلم في صحيحه، باب فضل العبادة في الهرج، ٤: ٢٢٦٨، حديث (٢٩٤٨)؛ وابن ماجة في سننه، باب الوقوف عند الشبهات، ٢: ١٣١٩، حديث (٣٩٨٥).

٢ من المكتوب الخامس والثمانين، ١: ١٤٣- ١٤٤.

الحقيقي الذي به نيطت[1] النجاة، وسلامة القلب إنّما تتصور إذا لم يخطر ما سواه تعالى في القلب أصلاً بحيث لو مضى ألف سنة مثلا لا يقع الغير في القلب ولا يمر عليه قطعاً؛ لأنه قد حصل للقلب حينئذ نسيان السوى بالكلية بحيث لو ذكّروه بالتكليف لم يتذكر، وهذه الحالة هي المعبر عنها بالفناء، وأول قدم في هذا الطريق، والسلام أولاً وآخراً»[2].

٣٢- التحريض على صرف الأوقات إلى ذكر الله:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى إسكندر خان اللودي في التحريض على صرف الأوقات إلى ذكر الله سبحانه وتعالى:

«ينبغي صرف الأوقات إلى ذكر الله تعالى بعد أداء الصلوات الخمس مع الجماعة وأداء السنن الرواتب، وأن لا يشتغل بغيره سواء كان وقت الأكل أو النوم أو المشي، وقد بيّن لكم طريق الذكر فينبغي الاشتغال به بهذا الطريق المعهود، فإن طرأ الفتور على الجمعيّة ينبغي البحث عن سبب ذلك الفتور وتعيينه وتشخيصه أولاً، ثم التّشبث بأسباب تلافي التقصير ثانياً، وينبغي التوجه إلى الحق سبحانه بالالتجاء والتضرع التام وأن يسأله سبحانه دفع ظُلمة الفتور والتقصير، وأن يتوسل بالشيخ الذي أخذ عنه الذكر، والله سبحانه الميسر كل عسير والسلام»[3].

---

١ أي تعلقت.

٢ المكتوب الحادي والتسعون من المكتوبات الربانية ١: ١٤٦- ١٤٧.

٣ المكتوب الثالث والتسعون من درر المكتوبات، ١: ١٤٨.

٣٣- المنع والزجر عن التسويف والتأخير:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى محمد شريف في المنع والزجر عن التسويف والتأخير، وفي التحريض على متابعة الشريعة على صاحبها الصلاة والتحية وما يناسبه:

«أيها الولد هذا الوقت الذي هو أوان الفرصة وتيسر أسباب الجمعية كلها لا مجال فيه للتسويف والتأخير أصلاً، فينبغي صرف أشرف الأوقات الذي هو زمان عنفوان الشباب في أفضل الأعمال الذي هو طاعة الحق سبحانه وعبادته تعالى وتقدّس، وينبغي أيضاً أن يلتزم المداومة على الصلوات الخمس مع الجماعة مجتنباً عن المحرمات والمشتبهات الشرعية.

وأداء الزكاة على تقدير وجود النصاب من ضروريات الإسلام أيضاً، فينبغي إذاً أداؤها بكمال الرغبة، بل بقبول المنّة، وقد عيّن الحق سبحانه بكمال كرمه للعبادة في اليوم والليلة خمسة أوقات، وعيّن من الأموال النامية والأنعام السائمة ربع العشر تحقيقاً وتقرباً لأجل الفقراء، ووسع ميدان تصرف المباحات، والتكاسل في صرف ساعة واحدة من أربع وعشرين ساعة في طاعة الحق سبحانه، والبخل بأداء سهم واحد من أربعين سهماً إلى الفقراء، ووضع القدم في خارج دائرة المباح الوسيعة الفضاء البعيدة الأرجاء، والوقوع في المحرمات والمشتبهات من غاية عدم الإنصاف.

وفي موسم الشباب الذي هو أوان غلبة سلطان النفس الأمارة

وقهرمان[1] الشيطان اللعين يعطى على عمل قليل أجر جزيل، فإذا بلغت غداً أرذل العمر وضعفت الحواس والقوى وتشتتت أسباب الجمعية لا يحصل غير الندامة والتأسف وربما لا تبقى إلى غد فلا تتيسر فرصة الندامة والتأسف التي هي نوع توبة.

والعذاب الأبدي والعقاب السرمدي الذي أخبر به النبي الصادق عليه من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها وحذّر عنه العصاة أمامنا لا يتخلّف أبداً، وفي هذا اليوم يلقي الشيطان اللعين في التسويف والغرور والمداهنة بإظهار كرم الله تعالى ويأمر بالمعاصي اتكاء بعفوه تعالى.

وينبغي أن يتنبّه ويُعلم أنّ الدنيا التي - هي دار المحنة والبلاء امتزج فيها الأعداء والأحباء واشتبه الأمر وشملت رحمته تعالى الكل كما يشعر به قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وأما يوم القيامة الذي هو دار الجزاء فيمتاز فيه الأعداء والأحباء كما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، وتخرج قرعة الرحمة يومئذ باسم الأحباب وتُصيّر الأعداء محرومين مطلقاً وملعونين محققاً كما يشهد به قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فخصّ الكرم والرحمة في الآخرة بالأبرار وأهل الإسلام الأخيار.

---

١ كلمة فارسية الأصل تعني هنا: الوكيل الخاص الذي يقوم بتدبير إدارة شؤون موكله وأعمال.

نعم إنّ لمطلق أهل الإسلام نصيباً من الرحمة على تقدير حسن الخاتمة ونجاة من عذاب جهنم ولو بعد أزمنة متطاولة، ولكن كيف يبقى نور الإيمان مع تراكم ظلمات المعاصي؟ وكيف يترك عدم المبالاة بالأحكام المنـزّلة من الله سبحانه أن يخرج من الدنيا بالسلامة، وقد قال العلماء: الإصرار على الصغيرة يفضـي إلى الكبيرة والإصرار على الكبيرة يفضي إلى الكفر عياذاً بالله سبحانه

بثت قـليلاً من همومي وخفت أن تمـلـوا وإلا فالكلام كثيـر

وفقنا الله سبحانه لمرضياته بحرمة محمد رسول الله ﷺ.

وبقية المقصود أنّ حامل الكتاب مولانا إسحق من أحباب الفقير ومخلصيه، وله حق الجوار من القديم، فإن احتاج إلى الإعانة والإمداد ينبغي رعاية التوجه في حقه، وله اطّلاع على فن الكتابة والإنشاء وممارسة فيه بقدر الوسع والسلام»[1].

٣٤- المقصود من العبادة هو تحصيل اليقين:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ درويش في بيان أن المقصود من العبادة هو تحصيل اليقين وما يناسبه.

«شرّف الله سبحانه أمثالنا المفلسين بحقيقة الإيمان بحرمة سيد المرسلين عليه وعلى آله من الصلوات أتمها ومن التسليمات أكملها.

وكما أنّ المقصود من خلق الإنسان أداء العبادة المأمور بها، كذلك المقصود من أداء العبادة تحصيل اليقين الذي هو حقيقة الإيمان ويمكن أن

---

١ المكتوب السادس والتسعون، ١: ١٥١- ١٥٢.

يكون في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] رمز إلى هذا المعنى، فإنّ كلمة «حتى» كما أنها تكون للغاية تكون للعلة أيضاً[١]، أي: لأجل أن يأتيك.

وكأن الإيمان المتقدّم على أداء العبادة صورة الإيمان لا حقيقته التي عُبّر عنها باليقين قال الله عز شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ [النساء: ١٣٦]، أي: الذين آمنوا صورة آمنوا حقيقة بأداء وظائف العبادة المأمور بها، والمقصود من الفناء والبقاء اللذين الولاية عبارة عن حصول هاتين الدولتين هو هذا اليقين فحسب، فإن أرادوا بالفناء في الله والبقاء بالله معنى آخر يوهم بالحالية والمحلية فهو عين الإلحاد والزندقة، ويظهر في أثناء غلبة الحال وسكر الوقت شيء ينبغي أن يجاوزها أخيراً وأن يستغفر منها، قال إبراهيم بن شيبان[٢] الذي هو من مشايخ الطبقات قدس الله أرواحهم: عِلم الفناء والبقاء يدور على

---

١ انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزّجّاج، ٣: ١٨٧؛ الهداية إلى بلوغ النهاية، للمكي بن أبي طالب، ٦: ٣٩٤٢؛ تفسير القرآن، السمعاني، ٢: ٣١٣؛ تفسير الطبري، ١٧: ١٥٩؛ وتفسير القرطبي، ١٠: ٦٣.

٢ إبراهيم بن شيبان القرميسيني، شيخ الصوفية، زاهد الجبل، صحب إبراهيم الخواص، ومحمد بن إسماعيل المغربي، وروى عن الفقيه أبو زيد المروزي، ومحمد بن عبد الله الرازي، توفي سنة ٣٣٧هـ. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٥: ٣٩٣؛ طبقات الصوفية، السلمي، ٣٠٣؛ المتفق والمفترق، الخطيب البغدادي، ١: ٣٢٣؛ الطبقات الكبرى، الشعراني، ٩٧؛ مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ٤: ٦٢؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ٦:١٦.

إخلاص الوحدانية وصحة العبودية وما سوى ذلك فمغاليط وزندقة[١]"، والحق أنّه صادق في هذا القول، وقوله هذا ينبئ عن استقامته، فإن الفناء في الله عبارة عن الفناء في مرضيات الحق سبحانه، وعلى هذا القياس السير إلى الله والسير في الله ونحوهما»[٢].

٣٥- التحريض على الرفق وترك العنف:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى عبد القادر ولد الشيخ زكريا في التحريض على الرفق وترك العنف بإيراد الأحاديث على مصدرها الصلاة والسلام:

«نسأل الله الاستقامة على مركز العدالة، ولنورد أحاديث نبوية عليه من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها واردة في باب التذكير والوعظ والنصيحة، يسّر الله سبحانه العمل بمقتضاها:

قال رسول الله ﷺ:«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»[٣] رواه مسلم، وفي رواية له قال لعائشة: «عليك بالرّفق وإيّاك العنف والفحش، فإنّ الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانه ولا يُنـزع من شيءٍ إلاّ شانه»[٤]، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً:

---

١ نقله عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، ١٥: ٣٩٣.

٢ المكتوب السابع والتسعون ١: ١٥٢ - ١٥٣.

٣ أخرجه مسلم في صحيحه، باب ٢٣ فضل الرفق، ٤: ٢٠٠٣، رقم(٢٥٩٣).

٤ أخرجه مسلم قريباً منه، باب ٢٢، فضل الرفق ٤: ٢٠٠٢ حديث (٢٥٩٤).

«من يُحرم الرفق يُحرم الخير»[١]، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً:«إنّ من أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقا»[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «من أُعطي حظّه من الرفق أُعطي حظّه من الدنيا والآخرة»[٣]، وقال عليه الصلاة والسلام:«الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار»[٤]، «إنّ الله يبغض الفاحش البذيء»[٥]، «ألا أخبركم بمن يُحرّم على النار وبمن يُحرّم النار عليه! على كل هيّن ليّن قريب سهل»[٦]، «المؤمنون هيّنون

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه، باب ٢٢ فضل الرفق ٤: ٢٠٠٢، حديث (٢٥٩٢).

٢ أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه: باب صفة النبي ق ٤: ١٨٢، حديث (٣٥٥٩).

٣ رواه علي بن الجعد في مسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكر، ص٤٩٥، برقم (٣٤٥٢)؛ والقضاعي في مسنده: باب من أعطي حظه من الرفق، ١: ٢٧٤، برقم(٤٤٤)، (٤٤٥)، (٤٤٦)؛ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨: ١٥٣، برقم(١٣٤٦٦).

٤ أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في الحياء، ٤: ٣٦٥، برقم(٢٠٠٩)؛ وابن ماجة في سننه، باب الحياء، ٢: ١٤٠٠، برقم(٤١٨٤).

٥ رواه البخاري في الأدب المفرد، باب الرفق ٢١٧، ص ٢٣٦، برقم (٤٦٤)؛ والترمذي في سننه، باب ما جاء في حسن الخلق، ٤: ٣٦٢، برقم(٢٠٠٢) وقال: حديث حسن صحيح.

٦ رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، ١: ٢٧٢، برقم(٤٠٩)؛ وأبو يعلى في مسنده، ٣: ٣٧٩، برقم(١٨٥٣)؛ والطبراني في الأوسط، ١: ٢٥٦ برقم(٨٢٧)؛ والبيهقي، شعب الإيمان، ١٠: ٤٤٦، رقم(٧٧٧٤).

ليّنون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وان استنيخ على صخرة استناخ»[١]، «من كظم غيظاً وهو يقدر أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيّره في أي الحور شاء»[٢]، «إنّ رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال لا تغضب فردد مراراً قال: لا تغضب»[٣]، «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبرّه، ألا أخبركم بأهل النار كل عُتل جوّاظ مستكبر»[٤]، «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب

---

١ رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٠: ٤٤٧، حديث (٧٧٧٧) وقال: هذا مرسل، وكذلك برقم(٧٧٧٨) ثم قال: الأول مع الإرسال أصح، كما رواه البيهقي في الآداب، ص ٦٥، برقم (١٦٠).

٢ رواه أبو داود في سننه: باب من كظم غيظاً،٤: ٢٤٨، حديث (٤٧٧٧)؛ والترمذي في سننه: باب في كظم الغيظ ٤: ٣٧٢، برقم(٢٠٢١)؛ وابن ماجة في سننه: باب الحلم ٢: ١٤٠٠، برقم(٤١٨٦)؛ وأحمد في مسنده ٢٤٥: ٣٩٨، برقم (١٥٦٣٧).

٣ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب: باب الحذر من الغضب، ٨: ٣٨، برقم(٦١١٦).

٤ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب (عتل بعد ذلك زنيم) ٦: ١٥٩، برقم (٤٩١٨)؛ ومسلم في صحيحه: ١٣ باب النار يدخلها الجبارون، ٤: ٢١٩٠، حديث (٢٨٥٣). و المتضعِّف: (بكسر العين) متواضع هيّن ليّن، والجوّاظ: شديد الصوت في الشر متكبر مختال في مشيته.

وإلاّ فليضطجع»[١]، «إنّ الغضب ليفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل»[٢]، «من تواضع لله رفعه الله[٣] فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس عظيم، ومن تكبر وضعه الله فهو في أعين الناس صغير وفى نفسه كبير، حتى لهو أهون عليهم من كلب وخنـزير»[٤]. قال موسى بن عمران على نبينا وعليه الصلاة والسلام: «يا ربّ من أعزّ عبادك؟ قال: من إذا قدر غفر»[٥]، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «من خزن لسانه ستر الله عورته ومن كفَّ غضبه كفّ عنه الله عذابه يوم القيامة، ومن اعتذر إلى الله قَبِل الله عذره»[٦].

---

١ أخرجه أبو داود في سننه، باب ما يقال عند الغضب، ٤: ٢٤٩، برقم(٤٧٨٢)؛ والإمام أحمد في مسنده، ٣٥: ٢٧٨، برقم(٢١٣٤٨).

٢ رواه البيهقي، شعب الإيمان، فصل في كظم الغضب ١٠: ٥٣١، رقم (٧٩٤١)؛ و رواه الرازي في الفوائد ١: ٢٤٨، برقم(٦٠٥).

٣ رواه مسلم في صحيحه (جزء من حديث) بلفظ:«ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» باب ١٩، ٤: ٢٠٠١، برقم (٢٥٨٨)؛ وروواه ابن أبي شيبة بتقديم وتأخير، المصنف، ٧:٨٩، برقم(٣٤٤١٨).

٤ البيهقي في الآداب ١: ٨١، برقم(٢٠٢)؛ وأيضاً قريباً منه في شعب الإيمان ١٠: ٤٥٤، برقم (٧٧٨٨)؛ والأصبهاني، حلية الأولياء، ٧: ١٢٩؛ و رواه الشهاب القضاعي في مسنده ١: ٢١٩، برقم(٣٣٥).

٥ أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٤: ١٠٠،(٦٢١٧).

٦ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٠: ٥٤٦،(٧٩٥٨)؛ وأبو يعلى في مسنده، مسند سعيد بن عثمان، ٧: ٣٠٢، (٤٣٣٨).

وقال أيضاً: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ بقدر مظلمته وإن لم يكن حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[١]، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إنّ المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار»[٢].

وعن معاوية رضي الله عنه أنّه كتب إلى عائشة: أن اكتبي إليّ كتاباً توصيني فيه ولا تكثري، فكتبت: سلام عليك أما بعد؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس والسلام عليك»[٣] صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وبارك، رزقنا الله سبحانه وإياكم التوفيق للعمل بما أخبر به المخبر الصادق عليه الصلاة والسلام.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الظلم باب من كانت له مظلمة: ٣: ١٢٩، (٢٤٤٩).

٢ أخرجه مسلم، باب تحريم الظلم ٤: ١٩٩٧، (٢٥٨٠).

٣ أخرجه الترمذي ٤: ٦٠٩، (٢٤١٤)؛ وابن حبان في صحيحه بدون عبارة: والسلام عليكم، ١: ٥١٠، (٢٧٦).

وينبغي السعي والاجتهاد للعمل بمقتضاها، بقاء الدنيا قليل جداً وعذاب الآخرة شديد في الغاية ودائم، فعليكم استعمال العقل والفكر وأن لا يغترّ بطراوة الدنيا الخالية عن الحلاوة، فإن كانت العزة والأفضلية بسبب الدنيا ينبغي أن يكون الكفار الذين لهم حظ وافر من الدنيا أعز وأفضل من الكل.

والانخداع بظاهر الدنيا من عدم العقل وإنّما اللائق بالعاقل أن يغتنم فرصة أيام قليلة، وأن يجتهد في تلك الفرصة اليسيرة في تحصيل مرضات الله تعالى والإحسان إلى خلق الله عزّ وجل ؛ فإن التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله كليهما أصلان عظيمان لأجل النجاة من عذاب الآخرة.

وكل ما أخبر به المخبر الصادق فهو مطابق لنفس الأمر ليس بالهزل ولا بالهذيان، فإلى متى يمتد نوم الغفلة والغرور؟ أليس آخره وعقباه إلى الفضيحة والحرمان قال الله سبحانه:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[المؤمنون: ١١٥].

٣٦- الفرق بين المنتهي والمبتدي في الإقبال على الخلق:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا حسن الكشميري في الفرق بين المنتهي والمبتدي في الإقبال على الخلق:

«الإقبال على الخلق في حقّ هذا المنتهي بلا اختيار منه ولا رغبة له فيه؛ وإنّما ذلك لكون رضاء الله تعالى في ذلك الإقبال، وفي حق المبتدي ذاتي ومع الرغبة له فيه وليس فيه رضا الحق سبحانه وتعالى.

وفرق آخر، أنّ المبتدي يمكن له الإعراض عن الخلق والإقبال على الحق

تعالى وتقدس، وذلك محال في المنتهي، فإن دوام الإقبال إلى الخلق لازم لمقامه ومرتبته إلا أن يتم أمر دعوته وارتحل من دار الفناء إلى دار البقاء فيكون نداء «اللهم الرفيق الأعلى» حينئذ نقد وقته.

وقد اختلف مشايخ الطريقة قدّس الله أسرارهم في تعيين مقام الدعوة، فقال جماعة منهم: إنّه مقام الجمع بين التوجه إلى الخلق والتوجه إلى الحق، والاختلاف فيه مبني على الاختلاف في الأحوال والمقامات، وقد أخبر كل شخص عن مقامه والأمر عند الله تعالى، وما قاله سيد الطائفة الجنيد رضي الله تعالى عنه من أنّ النهاية هي الرجوع إلى البداية، موافقٌ لمقام الدعوة الذي حُرِّر في هذه المسودة، فإن التوجه في البداية إلى الخلق بالتمام أي وأما في النهاية فبالظاهر فقط.

وينبغي أن يعلم أن الحجب المرتفعة لا تعود على تقدير الرجوع، بل مع وجود ارتفاع الحجب يكون المنتهي مشغولاً بالخلق لارتباط فلاح الخلق به، ومثل هؤلاء الأكابر كمثل شخص له كمال التقرب من الملك بحيث ليس بينهما حائل ومانع أصلاً -لا صورة ولا معنى- ومع ذلك شغله الملك بقضاء حاجات أرباب الحوائج وخدماتهم، وهذا فرق آخر أيضاً بين المبتدي والمنتهي المرجوع فإن المبتدئ محجوب بخلاف ذلك المنتهي، والسلام عليكم وعلى سائر مع اتبع الهدى[1].

---

١ بتصرف وتصحيح واختصار من المكتوب التاسع والتسعين ١: ١٥٦ – ١٦١.

٣٧- سلامة القلب في نسيانه ما دون الحق سبحانه:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الحكيم صدر في بيان سلامة القلب ونسيانه ما دون الحق سبحانه:

«اعلم أنّ أهل الله أطباء الأمراض القلبية، وإزالة العلل الباطنية منوطة بتوجه هؤلاء الأكابر، كلامهم دواء ونظرهم شفاء، هم قوم لا يشقى جليسهم وهم جلساء الله، بهم يمطرون وبهم يرزقون.

ورأس الأمراض القلبية ورئيس العلل الباطنية هو تعلق القلب وارتباطه بما دون الحق سبحانه وتعالى، وما لم يتيسر التخلص من هذا التعلق بالتمام فالسلامة محال، فإنه لا مجال للشركة في جناب الحق جل سلطانه﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣] فكيف إذا جعل الشريك غالباً وجعل محبة غير الحق غالبة على محبته تعالى على نهج تكون محبته تعالى معدومة في جنبها أو مغلوبة، غاية الوقاحة ونهاية عدم الحياء، ولعل المراد من الحياء في قوله عليه السلام: «الحياء من الإيمان»[١] هو هذا الحياء.

وعلامة عدم تعلق القلب بما سواه تعالى نسيانه إيّاه بالكلية وذهوله عنه جملة على وجه لو كلف بتذكر الأشياء لما تذكر، فكيف يكون لتعلق القلب بالأشياء مجال في ذلك الموطن؟ وهذه الحالة معبرة عنها عند أهل الله بالفناء، وهو أول قدم يوضع في الطريقة، ومبدأ ظهور أنوار القِدم ومنشأ ورود

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: باب الحياء من الإيمان ١: ٢٤، (٢٤)؛ ومسلم، باب شعب الإيمان ١: ٦٣، (٥٩).

المعارف والحِكم وبدونها خرط القتاد[1].

٣٨- المقصود من خلق الإنسان: أداء وظائف السلوك، وكمال الإقبال على جناب الحق سبحانه وتعالى:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ صدر الدين في بيان أن المقصود من خلق الإنسان أداء وظائف السلوك وكمال الإقبال على جناب الحق سبحانه وتعالى:

«بلغكم الله سبحانه وتعالى إلى منتهى نهاية أرباب الكمال، اعلم أنّ المقصود من خلق الإنسان هو أداء وظائف العبودية ودوام الإقبال على جناب الحق سبحانه، وهذا المعنى لا يتيسر بدون التحقق بكمال اتباع سيد الأولين والآخرين عليه من الصلوات أكلمها ومن التحيات أيمنها ظاهراً وباطناً، رزقنا الله سبحانه وإياكم كمال متابعته ﷺ قولا وفعلا ظاهراً وباطناً عملاً واعتقاداً آمين يا رب العالمين.

وما اتخذوا غير الإله فباطل فتعساً لمن يختار ما كان باطلا

وكل ما هو مطلوب -غير الحق سبحانه- ومقصود فهو معبود، وإنّما تحصل النجاة من عبادة غير الحق سبحانه إذا لم يبق غير الحق جل وعلا مقصوداً وإن كان ذلك الغير من المقاصد الأخروية وتنعمات الجنة، فإن المقاصد الأخروية وإن كانت من الحسنات لكنها عند المقرّبين من جملة السيئات، فإذا كان حال أمور الآخرة على هذا المنوال ما تقول في الأمور

---

١ المكتوب التاسع والمائة ١: ١٧٠ -١٧١.

الدنيوية؟! فإن الدنيا مبغوضة الحق سبحانه بحيث لم ينظر إليها منذ خلقها، وحبها رأس كل خطيئة وطلابها مستحقون للطرد واللعن «الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى»[١]، نجّانا الله تعالى من شرها وشر ما فيها بحرمة حبيبه محمد سيد الأولين والآخرين عليه الصلاة والسلام»[٢].

٣٩- التوحيد عبارة عن تخليص القلب عما دون الحق سبحانه:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ أحمد السنبهلي في بيان أن التوحيد عبارة عن تخليص القلب عما دون الحق سبحانه وتعالى وما يناسبه:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، اعلم أنّ التوحيد عبارة عن تخليص القلب عن التوجه إلى ما دون الحق سبحانه، وما دام القلب متعلقاً بما سواه تعالى وإن كان أقل قليل لا يكون صاحبه من أرباب التوحيد، ومجرّد قول التوحيد واعتقاد التوحيد من الفضول عند أرباب الفضائل.

نعم لابد من القول بالتوحيد واعتقاد التوحيد الذي هو معتبر في التصديق والإيمان لكنه بمعنى آخر، والفرق بين «لا معبود إلا الله» وبين «لا موجود إلا الله» بيّن، وتصديق الإيمان علمي والإدراك الوجداني حالة، والتكلم به قبل حصول الحال محظور، وتكلّم طائفة من المشايخ في هذا الباب لا يخلو عن أحد أمرين: إما أنهم في ذلك معذورون لكونهم تحت غلبة الحال

---

١ أخرجه الترمذي في سننه ٤: ٥٦١، (٢٣٢٢) وقال: هذا حديث حسن غريب؛ وابن ماجه في سننه ٢: ١٣٧٧، (٤١١٢)؛ والطبراني في الأوسط ٤: ٢٣٦، (٤٠٧٢).

٢ المكتوب العاشر والمائة ١: ١٧١.

مستورين، أو كان مقصودهم من كتابة الأحوال وإظهارها كونها محطّا ومعياراً لأحوال غيرهم ليعرفوا بها استقامة أحوالهم واعوجاجها، وإلاّ فإفشاء الأسرار بدون حصول هذه الدولة ممنوع.

جعل الله سبحانه نبذة من أحوال أرباب الكمال نصيباً لأمثالنا، ورزقنا الاستقامة على متابعة السنة السنية المصطفوية على مصدرها الصلاة والسلام والتحية بحرمة النبي وآله الأمجاد عليه وعليهم الصلوات والتسليمات [1].

٤٠ - المدار في التحقيق على عقائد أهل السنة والجماعة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ عبد الجليل في بيان أنّ المدار في التحقيق على عقائد أهل السنة والجماعة:

«حققنا الله سبحانه وتعالى شأنه وأمثالنا المفلسين بحقيقة معتقدات أهل الحق يعني أهل السنة والجماعة، وجعل التوفيق للأعمال المرضية نقد الوقت، وأنعم علينا بالأحوال التي هي ثمرات هذه الأعمال وجذبه إلى جناب قدسه بالتمام والكمال.

هذا هو الأمر والباقي من العبث فإن الأحوال والمواجيد الحاصلة بدون التحقق بمعتقدات هذه الفرقة الناجية لا أعدها شيئا سوى الاستدراج وما أظنها غير الخذلان والحرمان، فإن أُعطينا مع دولة الاتباع لهذه الفرقة الناجية شيئا نكن ممنونين ونجتهد في أداء شكره، وإن أُعطينا هذا الاتباع فقط ولم نعط الأحوال والمواجيد أصلا لا نغتم ولا نحزن بل نرضى به ونقول: هذا أولى وأحسن.

---

١ المكتوب الحادي عشر والمائة ١: ١٧٢.

وما ظهر من بعض المشايخ قدس الله أرواحهم وقت غلبة الحال والسكر من بعض العلوم والمعارف المنافية لآراء أهل الحق الصائبة لما كان منشؤها كشفاً فهم معذورون في ذلك، ونرجو أن لا يؤاخذوا بذلك يوم القيامة، بل لهم حكم المجتهد المخطئ فيكون له أجر واحد، والحق في جانب علماء أهل الحق شَكَر الله سعيهم؛ فإن علوم العلماء مقتبسة من مشكاة النبوة على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، المؤيدة بالوحي القطعي ومستند معارف الصوفية الكشف[1] والإلهام[2] اللذان للخطأ سبيل فيهما.

وعلامة صحة الكشف والإلهام مطابقتهما بعلوم علماء أهل السنة والجماعة فإن وقعت المخالفة ولو مقدار شعرة فخارج من دائرة الصواب، هذا هو العلم الصحيح والحق الصريح ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

---

١ الكشف: لغة: رفع الحجاب من كَشَفَ الشيء أو عنه كشفاً: رفع عنه ما يواريه ويغطيه ويخفيه، واصطلاحاً: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية وجوداً وشهوداً، وهو معنوي وصوري. والكشف: هو حصول العلم في النفس وهو غاية الطريق إلى العلم. انظر: مختار الصحاح، ٤٤٧؛ المعجم الوسيط، ٤٧٧-٤٧٨؛ المصباح المنير، ٣١٧؛ المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ٦٦٤- ٦٦٥؛ معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحفني، ٢٣٥.

٢ الإلهام: ما يُلقى في الروع بطريق الفيض، وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو حجة عند أهل الصوفية إن وافق الكتاب والسنة. انظر: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، عبد الفتاح القاشاني؛ معجم الصوفية، عبد المنعم الحفني، ٢٣؛ التعريفات، الجرجاني، ٢٣.

رزقنا الله سبحانه وإياكم الاستقامة على متابعة سيد المرسلين ظاهراً وباطناً عملاً واعتقاداً عليه وعلى آله من الصلوات أكملها ومن التسليمات أفضلها والسلام عليكم وعلى من اتبع الهدى[1].

٤١ - الفرق بين جذبة المبتدئ وبين جذبة المنتهي:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى جمال الدين حسين في بيان الفرق بين جذبة المبتدئ وبين جذبة المنتهي، وأن مشهود المجذوبين في الابتداء ليس إلا الروح التي هي فوق مقام القلب، وأنهم يتخيلون أن ذلك الشهود شهود الحق سبحانه:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، اعلم أنّ الانجذاب والانجرار لا يكون إلاّ إلى مقام هو فوق مقام السالك لا إلى ما فوق فوق مقامه، وكذا الحال في الشهود ونحوه، فليس للمجذوبين الذين لا سلوك لهم بعد؛ بل لهم في مقام القلب انجذاب إلى مقام الروح الذي فوق مقام القلب، والانجذاب الإلهي إنّما هو في جذبة المنتهي التي لا مقام فوقها، وأما جذبة البداية فليس المشهود فيها إلاّ الروح المنفوخ يعني في آدم عليه السلام.

ولما كانت الروح مخلوقة على صورة أصله «إن الله خلق آدم على صورته»[2] اعتقدوا شهود الروح شهود الحق تعالى وتقدس، وحيث كانت

---

١ المكتوب الثالث عشر والمائة ١: ١٧٣ - ١٧٤.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه: باب بدء السلام: ٨: ٥٠، (٦٢٢٧)؛ ومسلم في صحيحه، باب النهي عن ضرب الوجه: ٤: ٢٠١٧، (٢٦١٢).

للروح مناسبة قليلة مع عالم الأجسام أطلقوا على ذلك الشهود أحيانا شهود الأحدية في الكثرة، وأحيانا قالوا بالمعية، وشهود الحق جل وعلا لا يُتصور بدون حصول الفناء المطلق الذي يتحقق في نهاية السلوك.

ومـــــن لم يكن في حب مولاه فانيا فـــليـس لـه فـي كبـريـاه سبيـل

وليس لهذا الشهود مساس بالعلم أصلا، والفرق بين الشهودين أنه لو كانت له مناسبة بالعالم بوجه من الوجوه فليس هو شهود الحق سبحانه، فإن انتفت المناسبة أصلاً فهو علامة الشهود الإلهي جل وعلا، وإطلاق الشهود هنا إنّما هو بواسطة ضيق العبارة وإلاّ فالنسبة لا مثلية ولا كيفية كالمنتسب إليه لا يحمل عطايا الملك إلاّ مطاياه[١].

٤٢ - التحريض على متابعة سيد المرسلين:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الصوفي قربان في التحريض على متابعة سيد المرسلين عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات:

«شرّفنا الله سبحانه وأمثالنا المفلسين العاجزين المقعدين بدولة اتباع سيد الأولين والآخرين الذي أبرز كمالاته الأسمائية والصفاتية في طُفَيل محبته إلى عَرصة الظهور، وجعله أفضل جميع الكائنات، عليه من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها ورزقنا الاستقامة عليه، فإن ذرة من هذه المتابعة المرضية أفضل من جميع التلذذات الدنياوية والتنعمات الأخروية بمراتب كثيرة، والفضيلة منوطة بمتابعة سنته والمزية مربوطة بإتيان شريعته عليه وعلى

---

١ المكتوب الثالث عشر والمائة ١: ١٧٣ - ١٧٤.

آله الصلاة والسلام والتحية.

والنوم في نصف النهار مثلا الواقع على وجه هذه المتابعة أفضل من إحياء ألوف من الليالي الواقع على غير وجه المتابعة، وكذلك الإفطار في يوم عيد الفطر الذي أمرت الشريعة به أفضل من صيام أبد الآباد الذي لم يؤخذ من الشريعة، وإعطاء حبَّة بأمر الشارع أفضل من إنفاق جبل من الذهب من قبل نفسه.

صلى عمر رضي الله عنه مرة صلاة الصبح بالجماعة ثم تفقّد الأصحاب رضي الله عنهم فلم ير فيهم شخصاً منهم فسألهم عنه، فقيل: إنه يُحي الليالي كلها ولعل النوم غلب عليه في هذا الوقت، فقال: لو نام الليل كله وصلى الصبح بجماعة لكان أفضل[1]. فرأس جميع السعادات وأصلها متابعة السنة، وهيولى جميع الفسادات ومادتها مخالفة الشريعة، ثبتنا الله سبحانه وإياكم على متابعة سيد المرسلين عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات والسلام[2]».

٤٣ - الطريق الذي نحن بصدد قطعه كله سبعة أقدام:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ عبد القادر الدهلوي في بيان أن الطريق الذي نحن بصدد قطعه كله سبعة أقدام:

«اعلم أن الطريق الذي نحن في صدد قطعه سبعة أقدام، قدمان في عالم الخلق، وخمسة أقدام في عالم الأمر، ففي أول قدم توضع في عالم الأمر يظهر

---

١ مرّ تخريجه.

٢ مختصر المكتوب الرابع عشر والمائة ١: ١٧٤ - ١٧٥.

التجلي الأفعالي وفي الثانية التجلي الصفاتي، وفي الثالثة يقع الشروع في التجليات الذاتية ثم وثم على تفاوت درجات الكمالات كما لا يخفى على أربابها، كل ذلك منوط بمتابعة سيد الأولين والآخرين عليه من الصلوات أكملها ومن التسليمات أفضلها، وما قيل أن هذا الطريق خطوتان فالمراد بهما عالم الخلق وعالم الأمر على سبيل الإجمال تسهيلا للأمر في نظر الطالبين، وحقيقة الأمر ما حققته بتوفيق الله سبحانه هذا»[1].

٤٤ – سلامة القلب موقوفة على نسيان ما سواه تعالى وفي المنع من كثرة الاشتغال بالدنيا الدنيّة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا عبد الواحد اللاهوري في بيان أن سلامة القلب موقوفة على نسيان ما سواه تعالى وزواله من القلب بالكلية وفي المنع من كثرة الاشتغال بالدنيا الدنية لئلا تحصل الرغبة فيها:

«نعم إنّ سلامة القلب موقوفة على نسيان الغير وزواله من القلب على حدٍّ لو كُلِّف تذكره لا يتذكر، فعلى هذا التقدير لا معنى لخطور الغير، وهذه الحالة معبر عنها بفناء القلب، وأول قدم توضع في هذا الطريق، ومبشرة بكمالات مراتب الولاية على تفاوت درجات الاستعدادات.

ينبغي للعاقل أن يكون عالي الهمة وأن لا يقنع بالجوز والموز «إن الله

---

١ المكتوب الخامس عشر والمائة ١: ١٧٥.

يحب معالي الهمم»[١] وفي كثرة الاشتغال بأمور دنيوية خوف الرغبة في هذه الأمور الدنية، ولا تغتر بهذا القدر من سلامة القلب فإن للرجوع إمكاناً، فلا ينبغي الإقدام على الانشغالات الدنيوية مهما أمكن لئلا تظهر الرغبة فيها فتقع في الخسارة عياذاً بالله سبحانه، الكُناسة في الفقر أفضل من القعود في صدر المجلس في الغنى، ينبغي صرف جميع الهمة في أن يختار معيشة أيام في الفقر والبأس، فرّ من الغنى وأربابه أكثر مما تفر من الأسد والسلام[٢].

٤٥ - أداء النفل داخل فيما لا يعني إذا استلزم فوت فرض من الفرائض:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا طاهر البدخشي في بيان أنّ أداء النفل وإن كان حجاً داخل فيما لا يعني إذا استلزم فوت فرض من الفرائض:

«قد ورد في الخبر «علامة إعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه»[٣] والاشتغال بنفل من النوافل مع الإعراض عن فرض من الفرائض داخل فيما لا يعني، فلزمك تفتيش أحوالك لتعلم أن اشتغالك بأي شيء بنفل أو بفرض، وكم من محظور يرتكب في أداء الحج النفل فينبغي أن تلاحظ ملاحظة جيدة، العاقل تكفيه الإشارة، والسلام عليكم وعلى رفقائكم»[٤].

---

١ ورد بلفظ: «إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها » وهو حديث صحيح، أخرجه الطبراني في الأوسط ٣: ٣١٠، (٢٩٤١)؛ والبيهقي في شعب الإيمان ١٠: ٣٧٢، (٧٦٤٧).

٢ المكتوب السادس عشر والمائة ١: ١٧٦.

٣ لم أجده فيما بين يديّ من مصادر.

٤ المكتوب الثالث والعشرون والمائة ١: ١٨٠.

٤٦ - العالم كبيره وصغيره مظاهر الأسماء والصفات الإلهية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المير صالح النيسابوري في بيان أن العالم كبيره وصغيره مظاهر الأسماء والصفات الإلهية تعالى شأنه، وليس للعالم نسبة إليه تعالى أصلاً سوى المخلوقية والمظهرية وما يناسب ذلك:

«اللهم أرنا حقائق الأشياء كما هي، اعلم أنّ العالم كله كبيره وصغيره مظاهر الأسماء والصفات الإلهية تعالى شأنه، ومرايا شؤوناته وكمالاته الذاتية، وكان عز سلطانه كنـزاً مخفياً وسراً مكنوناً فأراد سبحانه أن يعرض كمالاته من الخلاء إلى الملاء وأن يوردها من الإجمال إلى التفصيل، فخلق الخلق على نهج يكون دالاً بذاته وصفاته على ذاته وصفاته تعالى وتقدس، فليس للعالم نسبة مع صانعه أصلاً إلاّ أنّه مخلوقه تعالى ودال على أسمائه وشؤوناته تعالى.

والحكم بالاتحاد والعينية ونسبة الإحاطة والسريان والمعية الذاتيات هناك من غلبة الحال وسكر الوقت، والأكابر المستقيمو الأحوال الذين لهم شرب من قدح الصحو لا يثبتون للعالم نسبة مع صانعه إلا المخلوقية والمظهرية، ويقولون بالإحاطة والسريان والمعية العلميات على طبق قول علماء أهل الحق شَكَر الله سعيهم.

والعجب من بعض الصوفية حيث يثبتون بعض النسبة الذاتية كالإحاطة والمعية مثلا مع اعترافهم بسلب جميع النسب عن الذات حتى الصفات الذاتية فهل هذا إلاّ تناقض! وإثبات المراتب في الذات لدفع هذا التناقض تكلّف مثل التدقيقات الفلسفية، وأرباب الكشف الصحيح لا يشهدون الذات إلاّ بسيطاً حقيقياً ويعدون ما وراءه كائنا ما كان داخلا في الأسماء.

وما قل هجران الحبيب وإن غـــدا قليلاً ونصف الشَعر في العين ضائر

ولنبين مثالاً لتحقيق هذا المبحث، أراد عالم نحرير متفنّن مثلا إظهار كمالاته المكنونة وإبرازها في عرصة الظهور فأوجد الحروف والأصوات ليجلو كمالاته في حجاب تلك الحروف والأصوات، ففي تلك الصورة لا نسبة لتلك الحروف والأصوات الدوال مع تلك المعاني المخزونة، إلا أن هذه الحروف والأصوات مظاهر تلك المعاني المخفية ومرايا الكمالات المخزونة.

ولا معنى لأن يقال إن الحروف والأصوات عين تلك المعاني المخفية، وكذلك الحكم بالإحاطة والمعية في هذه الصورة غير مطابق للواقع بل المعاني على صرافته المخزونة لم يتطرّق التغير إليها لا في ذاتها ولا في صفاتها أصلا، ولكن لما كان بين تلك المعاني وبين الحروف والأصوات الدالة نوع مناسبة من الدالية والمدلولية يتخيل منه بعض المعاني الزائدة وتلك المعاني المخزونة منـزهة ومبرأة في الحقيقة عن تلك المعاني الزائدة، وهذا هو معتقدنا في هذه المسألة.

واثبات الأمر الزائد على المظهرية والمرآتية من الاتحاد والعينية والإحاطة والمعية من السُكر، وذاته تعالى في الحقيقة معرّاة عن النسبة ومبرأة عن المناسبة؛ ما للتراب ورب الأرباب.

وبهذا القدر من مناسبة الظاهرية والمظهرية يقال بوحدة الوجود أولاً؛ بل في الواقع وجودات متعددة لكن بطريق الأصالة والظلية والظاهرية والمظهرية، لا أن الموجود واحد وما سواه أوهام وخيالات، فإن هذا المذهب بعينه مذهب السوفسطائي، وإثبات الحقيقة في العالم لا يخرجه من كونه أوهاماً

وخيالات كما هو مقصود السوفسطائي[١].

وإذا عـرفتـه أنت مـن هــــو أولا   ونـسبت نفسك نحو حضرته العلى
وعلمتَ أنّك ظلُّ مَنْ يا مَـنْ دَرى   كـن فـارغاً حياً وميتاً مـن مـلا»[٢]

٤٧ - جامعية الإنسان باعثة على تفرقته:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى السنيد نظام في بيان أن جامعية الإنسان باعثة على تفرقته كما أنها سبب لجمعيته، كماء نيلٍ ماءٌ للمحبوبين وبلاء للمحجوبين:

«اعلم أنّ الإنسان أجمع الموجودات، وله تعلق وارتباط بالموجودات المتكثّرة بواسطة كل جزء من أجزائه، فكانت جامعيّته باعثة على زيادة بُعده من جناب قدس الحق جل سلطانه على بعد الكل، وتعلقاته المتعددة كانت سبباً لزيادة حرمانه على حرمان ما سواه، فإن جمع نفسه من هذه التعلقات المتشتتة بتوفيق الله عز شأنه ورجع قهقرياً فقد فاز فوزاً عظيماً وإلا فقد ضل ضلالاً بعيداً.

فكما أنّ الإنسان أفضل الموجودات بواسطة الجامعية كذلك هو شر المخلوقات بواسطة تلك الجامعية، فإن جعل وجهها نحو العالم فهي أشد تكدّراً من كل شيء، وإن وجّه وجهه نحو الحق سبحانه فأشد صفاء وإراءة من

---

١ السوفسطائي: هو من ينكر الحسّيّات والبديهيات، ويتلاعب بالألفاظ لطمس الحقائق، والإجابة على السؤال بسؤال.

٢ المكتوب الخامس والعشرون والمائة ١: ١٨١ - ١٨٢.

كل شيء، وكمال حرية القلب من هذه التعلقات من خواص محمد رسول الله، ثم بقية الأنبياء ثم الأولياء على تفاوت درجاتهم صلوات الله وتسليماته على نبينا وعليهم وعلى أتباعهم أجمعين إلى يوم الدين»[1].

٤٨ - لا اعتبار بتلوينات الأحوال:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى جمال الدين في بيان أن لا اعتبار بلتوينات الأحوال بل ينبغي تحصيل مطلب منـزه عن الشبه والمثال:

«ليس لتلوينات الأحوال كثير اعتبار، ينبغي عدم الالتفات إليها سواء كان ذهاباً أو مجيئاً أو تكلماً أو سماعاً، فإنّ المقصود غير ذلك وهو مبرأ ومنـزّه عن التكلم والسماع والرؤية والشهود،وإنما يتسلى بجوز الحال وموزه أطفال الطريقة.

ينبغي للعاقل أن يكون عالي الهمة فإن الأمر وراء ذلك، وكل ذلك منام وخيال، ومن رأى نفسه أنه صار سلطاناً في المنام ليس هو في نفس الأمر كذلك، ولكن هذا المنام يورث رجاء وطمعا لصاحبه، لا اعتبار للوقائع المنامية في الطريقة النقشبندية، وهذا البيت مسطور في كتبهم العلية:

وإني غلام الشمس أروي حديثـها وما لي ولليـل فـأروي حـديثـه

فإن حصل حال من الأحوال أو زال فليس ذلك بمحل للسرور ولا هذا بموجب للغم والانفعال؛ بل ينبغي أن يكون منتظراً للمقصود المنـزه عن

---

١ مختصر المكتوب التاسع والعشرين والمائة ١: ١٨٥.

الكيف والمثال والسلام»[1].

٤٩- بيان علو شأن طريقة حضرات خواجكان[2] قدس الله تعالى أسرارهم:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الخواجه محمد أشرف الكابلي في بيان علو شأن طريقة حضـرات خواجكان قدس الله تعالى أسرارهم، والشكاية من جماعة أحدثوا فيها إحداثات واعتقدوها تكملة لهذه الطريقة:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين، وليعلم أنّ طريقة حضرات خواجكان قدّس الله أسرارهم أقرب الطرق الموصلة، ونهاية سائر المشايخ مندرجة في بداية هؤلاء الأكابر ونسبتهم فوق جميع النسب.

كل تلك المزايا لوجود التزام السنة السنية في هذه الطريقة العلية، والاجتناب عن البدعة الشنيعة مهما أمكن؛ فإنّهم لا يُجوّزون العمل بالرخصة وإن وجدوها نافعة لأمر الباطن في الظاهر، ولا يفارقون العمل بالعزيمة وإن يرونها مضرة في السيرة بحسب الصورة؛ يجعلون الأحوال والمواجيد تابعة

---

١ المكتوب الثلاثون والمائة ١: ١٨٥-١٨٦.

٢ خواجة: على وزن راجه، والواو رسمي يكتب ولا يقرأ، أو لفظي، والألف علامة لإمالة ضمة الخاء إلى الفتحة، تجيء على معنى أفندي، وآغا، وصاحب البيت، وزوج المرأة، وبمعنى العزيز والمعظّم، والمسن صاحب المال، والحال غير ذلك، وجمعها بالفارسية: خواجكان، والطائفة النقشبندية يطلقونها على مشايخهم تعظيماً لهم، انتهى من التبيان النافع، وإعلام الأعلام للكفوي منتخباً.

للأحكام الشرعية، ويعتقدون أنّ الأذواق والمعارف خادمة للعلوم الشرعية، ولا يبدلون جواهر الشـريعة النفيسة مثل الأطفال بجوز الوجد وموز الحال، ولا يغترون بترّهات جهلة الصوفية ولا يفتتنون بأباطيلهم.

والتجلي الذاتي البرقي الذي هو كالبرق لغيرهم دائم لهؤلاء الأكابر، والحضور الذي تعقبه الغيبة ساقط عن حيز الاعتبار عند هؤلاء الأكابر ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، ولكن لا يصل فهم كل أحد إلى مذاق هؤلاء الأكابر، بل يكاد ينكر قاصرو هذه الطريقة على بعض كمالاتهم.

لو عابهم قاصر طعناً بهم سـفهـاً   برأت ساحتهم عن أفحش الكلـم

نعم قد أحدث بعض متأخري هذه الطريقة إحداثاتٍ فيها، وضيّع أصل سيرة الأكابر، وزعم جَمعٌ من مريديه أنهم كمَّلُوا الطريقة بتلك المحدثات حاشا وكلا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]؛ بل هم سعوا في تخريبها وتضييعها، يا أسفا كل الأسف على ما أحدثوا في هذه الطريقة، بعض بدع لا وجود له في سلاسل أخرى أصلا، حيث يصلون صلاة التهجد بجماعة ويجتمع الناس من الأطراف والجوانب في ذلك الوقت لصلاة التهجد ويؤدونها بجمعيّة تامة، وهذا العمل مكروه كراهة تحريمية، والذين اشترطوا التداعي لتحقق الكراهة من الفقهاء قيدوا جواز التنفل بجماعة بأدائها في ناحية المسجد، واتفقوا على تحقق الكراهة إن زادوا على ثلاثة.

وأيضاً إنّ هؤلاء المُحْدَثين يعتقدون التهجد بهذا الوضع ثلاث عشرة ركعة فيصلون اثنتي عشـرة ركعة قائمين وركعتين قاعدين، زاعمين أن لهما حكم ركعة واحدة فتكون بها ثلاث عشرة ركعة! وليس الأمر كما زعموا فإن

نبينا كان يصلي أحياناً ثلاث عشرة ركعة[١] وأحياناً إحدى عشـرة ركعة، وأحياناً تسع ركعات، وأحياناً سبعاً[٢]، والفردية إنّما عرضت للتهجد بصلاة الوتر لا أنه أعطى لركعتي القعود حكم ركعة القيام!

ومنشأ أمثال هذا العلم والعمل عدم تتبع السنة المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، والعجب من رواج أمثال هذه المحدثات في بلاد العلماء ومأوى المجتهدين عليهم الرضوان، مع أنّ أمثالنا الفقراء يستفيضون العلوم الإسلامية من بركاتهم والله سبحانه الملهم للصواب.

بثثت لديكم من همومي وخفت أن تملوا وإلاّ فالكلام كثير والسلام»[٣]

٥٠ - التحذير عن صحبة أرباب الغنى والترغيب في صحبة الفقراء:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا محمد صديق البدخشي في التحذير عن صحبة أرباب الغنى والترغيب في صحبة الفقراء:

«﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، أيها الأخ، الظاهر أنك مللت من صحبة الفقراء واخترت

---

١ كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام مالك في الموطأ ٢: ١٦٥؛ وابن حبان في صحيحه ٦: ١٨٦؛ والطبراني في مسند الشاميين ٤: ٩٥، (٢٨٣٠).

٢ روى البخاري في صحيحه عن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل؟ فقالت:«سبع، وتسع، وإحدى عشرة، سوى ركعتي الفجر»، أخرجه البخاري، باب كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ٢: ٥٦، (١١٣٩).

٣ المكتوب الحادي والثلاثون والمائة ١: ١٨٦ - ١٨٧.

صحبة الأغنياء ولبئس ما صنعت! فإن كانت عينك مغمضة اليوم ستنكشف غداً فلا ترى فائدة غير الندامة، والشرط الخبر.

أيها المهووس إنّ حالك لا يخلو من أحد أمرين: إمّا أن تنال الجمعية في مجلس الأغنياء أو لا، فإن تنل فشر، وإلاّ فأشد شراً، فإنك إن تنلها فهي استدراج عياذاً بالله سبحانه من ذلك، وإن لم تنل فمصداق الحال﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾[الحج: ١١].

كناسة الفقراء أفضل من قعود الأغنياء في الصدر، وهذا الكلام يكون معقولاً عندك اليوم أولاً، وأما في الآخرة فسيصير لك معلوماً ولكنه لا يفيد، وإنما أوقعك في هذا البلاء اشتهاء الأطعمة اللذيذة والألبسة الفاخرة، ولم يفت الأمر الآن.

فينبغي التفكر في أصل الأمر والفرار من كل ما يكون مانعاً عن الحق سبحانه والحذر منه معتقداً بأنه عدو، قوله تعالى:﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾[التغابن:١٤] نصٌ قاطع، وقد اقتضت رعاية حقوق الصحبة أن أنصحك مرة واحدة تعمل بها أو لا، وقد كنت عرفت من أول الأمر حين شاهدت فضولياتك أن الاستقامة على الفقر عسيرة بهذا الوضع.

قد كان ما خفت أن يـــكـــونا إنـــا إلـــى الله راجـــعـــونـــا

والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله من الصلوات أتمها ومن التسليمات أكملها، وقد كنت متوقعاً من فطرتك واستعدادك شيئاً آخر فأنت رميت الجوهر النفيس في السرقين

﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦]»[1].

٥١- اغتنام الفرصة وعدم تضييع الوقت:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا محمد صديق أيضاً في بيان اغتنام الفرصة وعدم تضييع الوقت:

«ينبغي اغتنام الفرصة وعدم تضنيع الوقت، ولا يَحصُل شيءٌ من الرسوم والعادات ولا يزيد شيء من التّمحل[2] والتعلل غير الخسارة، وقد قال المخبر الصادق عليه من الصلوات أتمها ومن التسليمات أكملها «هلك المسوفون»[3].

وصرفُ نقد العمر المحقّق الموجود إلى الأمر الموهوم، وحفظ الموهوم للموجود مستنكرٌ جداً؛ فإن نقد الوقت ينبغي أن يُصرف في الأمر الأهم، والنية تستدعي أن تُدّخر لما لا يعني من المزخرفات، رزقنا الله سبحانه ذرة من لذة الطلب وعدم القرار والسكونة حتى تتيسر النجاة من السكون إلى ما سواه تعالى.

ولا حاصل في القيل والقال، وإنما المطلوب سلامة القلب، ينبغي الفكر في الأصل والإعراض عمّا لا يعني بالتمام.

---

١ المكتوب الثاني والثلاثون والمائة ١: ١٨٨.

٢ أي: الطلب.

٣ حديث مرفوع عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:«هلك المسوفون»، رواه نصر بن محمد السمرقندي في كتاب: تنبيه الغافلن بأحاديث سيد المرسلين ١: ٥٩، (٦٦).

كلّما دون هوى الحق ولو أكل قند[1] فهو سم قاتل

﴿ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[المائدة: ٩٩]»[2].

٥٢- المنع عن التسويف:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا محمد صديق أيضاً في المنع عن التسويف:

«رزقنا الله سبحانه وإيّاكم عروجات غير متناهية في مدارج قربه بحرمة سيد المرسلين عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

أيها المحب إنّ الوقت سيف قاطع، ولا يدرى أنه هل تعطى الفرصة غداً أو لا، فينبغي تقديم الأهم في هذا اليوم وتأخير غير الأهم إلى غد، وهذا حكم العقل ومقتضاه، ولا أريد بالعقل عقل المعاش بل عقل المعاد»[3].

٥٣- مراتب الولاية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المخلص الصديق محمد صديق في بيان مراتب الولاية عامة كانت أو خاصة مع بعض خواص الخاصة:

«اعلم أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء، وهي إما عامة وإما خاصة، ونعني بالعامة مطلق الولاية، وبالخاصة الولاية المحمدية على صاحبها أفضل

---

١ القَنْد: عسل قصب السكر إذا جَمُد. مختار الصحاح(ق.ن.د)، ٤٦١؛ المعجم الوسيط، ٢: ٧٦٢؛ المصباح المنير، ٣٠٧.

٢ المكتوب الثالث والثلاثون والمائة ١: ١٨٨-١٨٩.

٣ المكتوب الرابع والثلاثون والمائة ١: ١٨٩.

الصلاة والسلام والتحية، الفناء فيها أتمّ والبقاء أكمل، ومَن شُرّف بهذه النعمة العظمى فقد لان جلده للطاعة وانشرح صدره للإسلام، واطمأنت نفسه فرضيت عن مولاها ورضي مولاها عنها، وسلّم قلبه لمقلِّبه، وتخلّصت روحه كليةً إلى مكاشفات حضـرة صفات اللاهوت، وشاهد سرَّه مع ملاحظة الشؤون والاعتبارات، وفي هذا المقام شُرِّف بالتجليات الذاتية البرقية، وتحيّر خفيُّهُ لكمال التَّنـزه والتقدّس والكبرياء، واتصل أخفاه اتصالا بلا تكييف، وضرب من المثال هذا.

هنيئا لأربـــاب النعيـــم نعيمهم

ومما ينبغي أن يعلم أن الولاية الخاصة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية متميزة عن سائر مراتب الولاية في طرف العروج والنـزول، أما في طرف العروج فلأن فناء الأخفى وبقاءه مختصان بتلك الولاية الخاصة، وعروج سائر الولايات إلى الخفي فقط مع تفاوت درجاتها، يعني إن عروج بعض أرباب الولايات إلى مقام الروح وعروج البعض إلى السر وعروج البعض الآخر إلى الخفي وهو أقصـى درجات الولاية العامة.

وأما في طرف النـزول فلأن لأجساد الأولياء المحمدية عليه وعلى آله الصلاة والسلام والتحية نصيباً من كمالات درجات تلك الولاية، لما أنّه ﷺ أُسرى به ليلة المعراج بالجسد إلى ما شاء الله، وعرض عليه الجنة والنار وأوحى إليه ما أوحى، وشُرّف ثمة بالرؤية البصرية، وهذا القسم من المعراج مخصوص به عليه الصلاة والسلام، والأولياء المتابعون له كمال المتابعة السالكون تحت قدمه لهم أيضاً نصيب من هذه المرتبة المخصوصة.

وللأرض من كأس الكرام نصيب

غاية ما في الباب أن وقوع الرؤية في الدنيا مخصوص به عليه الصلاة والسلام، والحالة التي حصلت للأولياء الذين تحت قدمه ليست برؤية، والفرق بين الرؤية وتلك الحالة كالفرق بين الأصل والفرع والشخص والظل، وليس أحدهما عين الآخر»[1].

٥٤- علو شأن الصلاة المنوط كمالها بالوصول إلى نهاية النهاية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الحاج خضر الأفغاني في بيان علو شأن الصلاة المنوط كمالها بالوصول إلى نهاية النهاية وما يناسب ذلك:

«اعلم أن الالتذاذ بالعبادة وارتفاع الكلفة في أدائها من أجلّ نعم الله سبحانه وتعالى خصوصاً في أداء الصلاة؛ فإنه لا يتيسر فيها لغير المنتهي خصوصاً في أداء الصلوات الفرضية، فإن الابتداء لا التذاذ فيه إلا بالنوافل وأما في النهاية فتكون تلك النسبة منوطة بالفرائض، ويرى فيها الاشتغال بالنوافل تعطيلا، والأمر العظيم للمنتهي هو أداء الفرائض فقط.

وهذي سعاداتٌ تكونُ نصيبَ مَـــــن

وينبغي أن يعلم أن الالتذاذ الذي يحصل حين أداء الصلاة لا حظ للنفس فيه أصلا؛ بل هي عين ذلك الالتذاذ في البكاء والحزن، سبحان الله أيّ رتبة هذه !

هنيئا لأرباب النعـــــيم نعيمـــهم

---

١ المكتوب الخامس والثلاثون والمائة ١: ١٨٩-١٩٠.

والتكلم بمثل هذا الكلام وسماعنا إياه أيضاً غنيمة لأمثالنا المهووسين.

دعـــونا نسلـــي بالأماني قلـــوبنـــا

واعلم أيضاً أن رتبة الصلاة مثل رتبة الرؤية في الآخرة، فنهاية القرب في الدنيا إنّما هي في الصلاة، ونهاية القرب في الآخرة في عين الرؤية، وأيضاً إنّ سائر العبادات وسائل للصلاة والصلاة من المقاصد، والسلام والإكرام»[١].

٥٥- مذمّة الدنيا والتحذير من صحبة أربابها:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ بهاء الدين السرهندي في مذمة الدنيا والتحذير من صحبة أربابها[٢]:

«لا يكونن ولدي الأرشد مغرورًا ومسرورًا بهذه الدنية المبغوض عليها، ولا يضيّعن بضاعة الإقبال إلى جناب قدس الحق جل سلطانه، ينبغي التفكر أي شيء يباع أي شيء يُشترى! تبديل الآخرة بالدنيا والامتناع من طلب الحق بالخلق من السفاهة والجهالة، والجمع بين الدنيا والآخرة من قبيل الجمع بين الأضداد،

مـــا أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا

فاختر أياً شئت من هذين الضدين وبع نفسك من أيهما شئت، عذاب الآخرة أبدي ومتاع الدنيا قليل، والدنيا مبغوض عليها عند الحق سبحانه والآخرة مرضية له تعالى وتقدس، «عش ما شئت فإنك

---

١ المكتوب السابع والثلاثون والمائة ١: ١٩١.

٢ أي: أصحابها.

ميّت، والزم ما شئت فإنك مفارق»[١].

ولابد من ترك العيال والأولاد أخيراً وتفويضهم إلى الحق سبحانه، فينبغي لك أن تحسب نفسك اليوم ميتاً وأن تفوّضهم إلى الله تعالى، ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤] نص قاطع، وقد سمعتَ مكرراً أنّ نوم الأرنب يعني الغفلة والغرور، إلى متى يمتد فلابد من التّنبه والتّيقظ.

واعلم أن محبة أهل الدنيا والاختلاط بهم سم قاتل، وقتيل هذا السم ميت بالموت الأبدي، العاقل تكفيه الإشارة فكيف التصريح مع هذه المبالغة والتأكيد، وطعام الملوك وإن كان لذيذاً ولكنه يزيد مرض القلب فكيف يرجى الفلاح والنجاة، الحذر الحذر الحذر.

وما هو من شـــرط البلاغ أقولـــه فخذ منه نصحاً خالصاً أو ملالـة[٢]

فر من صحبتهم أكثر مما تفر من الأسد، فإن الفرار منهم وإن أوجب الموت الدنيوي ولكنه قد يفيد في الآخرة، واختلاط الملوك يوجب الهلاك الأبدي والخسارَ السرمدي، فإيّاك وصحبتهم وإياك ولقمتهم وإياك ومحبتهم وإياك ورؤيتهم، وقد ورد في الخبر الصحيح

---

١ حديث نبوي ونصه كما عند الحاكم في المستدرك برقم (٧٩٢١)، «جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه، و اعمل ما شئت فإنك مجزي به..».

٢ أي: أو اسأم منه واضجر.

«من تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه»[١].

ينبغي لك الملاحظة أن كل ذلك التواضع والملاينة هل هو من جهة غناهم أو من جهة شيء آخر، ولا شك في أنه من جهة غناهم، ونتيجته ذهاب ثلثي الدين فأين أنت من الإسلام؟ وأين أنت من النجاة؟ وكل هذه المبالغة والإبرام ليعلم ولدي أن لقمة غير الجنس وصحبتهم تحجب قلبه عن تذكر المواعظ وتعقل النصائح، فلا يكاد يتأثر من الكلمة والكلام، فالحذر الحذر من صحبتهم، والحذر الحذر من رؤيتهم، والله سبحانه الموفق، نجّانا الله وإيّاكم عما لا يرضى منه ربنا المتعالي بحرمة سيد البشر الممدوح بـ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾النجم: ١٧، عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها والسلام»[٢].

٥٦- العمدة في هذا الأمر المحبة والإخلاص:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا محمد قليج في بيان أن العمدة في هذا الأمر المحبة والإخلاص:

«أنعم الله سبحانه وتعالى علينا وعليكم بالترقيات بحرمة سيد المرسلين عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات، أيها المحب إنك لا تكتب من أحوال

---

١ حديث موقوف على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «و من خضع لغني و وضع له نفسه إعظاما له و طمعا فيما قبله، ذهب ثلثا مروءته و شطر دينه»رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٢٣٢).

٢ المكتوب الثامن والثلاثون والمائة ١ : ١٩١ -١٩٢.

القلب شيئاً في بعض الأحيان حتى نطلع على كيفيته، ولا بد لك من كتابة شيء من هذا الباب أيضاً البتة فإنه موجب للتوجه الغائبي، وعمدة هذا الأمر هي المحبة والإخلاص، ولا غم إن لم يفهم الترقي فإنه إذا بقيت الاستقامة على الإخلاص تيَسَّرَ أمورُ سنين في ساعات والسلام»[1].

٥٧- سر عدم تأثر بعض مبتدئي هذه الطريقة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المفتي عبد الرحمن في بيان سر عدم تأثر بعض مبتدئي هذه الطريقة:

«مع كون ابتداء سيرهم من عالم الأمر لا يتأثر بعض الطالبين من هذه الطريقة بسرعة ولا يجدون الحلاوة ولا التلذذ الذي هو من مقدمة الجذبة بالسهولة، ووجه ذلك أن لطائف عالم الأمر ضعيفة فيهم بالنسبة إلى عالم الخلق، وهذا الضعف هو الذي صار سُدّة في طريق التأثير والتأثر، وامتداد زمان بطء التأثر إلى أن يقوى لطائف عالم الأمر فيهم وتغلب على عالم الخلق وأن ينعكس الأمر.

وعلاج هذا الضعف بحيث يكون مناسباً لهذه الطريقة هو التصرف التام من صاحب التصرف، والعلاج المناسب لسائر الطرق تقديم تزكية النفس والرياضات الشديدة والمجاهدات الشاقة الواقعة على وفق الشريعة على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وينبغي أن يعلم أن بطء التأثر ليس من

---

١ المكتوب الحادي والأربعون والمائة ١: ١٩٤.

علامة نقصان الاستعداد، وكم من طائفة تامي[١] الاستعداد يبتلون بهذا البلاء والسلام[٢].

٥٨- عدم الاغترار بتوسط روحانية المشايخ وإمداداتهم:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا صادق الكابلي في بيان ذم صاحب الرِّيّ وعدم الاغترار بتوسط روحانية المشايخ وإمداداتهم:

«وصل المكتوبان متصلاً بعضهما ببعض، كان الأول منبئاً عن الحصول والرِّيّ، والثاني عن العطش وعدم الحصول، الحمد لله سبحانه العبرة بالخاتمة، إنّ صاحب الرِّي ليس له حاصل، والذي يرى نفسه لا حاصل له فهو الواصل، وقد قيل لك مكررا أن لا تغتر بتوسط روحانية المشايخ وإمداداتهم فإن صور هؤلاء المشايخ التي تراها وتشاهدها هي لطائف الشيخ المقتدى به في الحقيقة ظهرت بهذه الصور، وتوحيد قبلة التوجه من الشروط وتفريق التوجه موجب للخسران عياذاً بالله سبحانه.

وأيضاً أني كنت قلت لك مكرِراً ومؤكِداً: أن قَلِّل الأشغال ليحصل المقصود بسرعة، فإن ترك الأمر الضروري والاشتغال بما لا طائل فيه بعيد عن طور العقل، ولكنك معتقد لرأي نفسك قلما يؤثر فيك كلام غيرك وأنت تعلم﴿ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[المائدة: ٩٩] [١].

---

١ أي: من تمام الاستعداد.

٢ مختصر المكتوب الخامس والأربعين والمائة ١: ١٩٦-١٩٧.

١ المكتوب الثامن والأربعون والمائة ١: ١٩٩.

٥٩- علو شأن النقشبندية قدّس الله أسرارهم:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المير مؤمن البلخي في بيان علو شأن النقشبندية قدس الله أسرار أهليها العلية وبيان معنى ياداداشت المخصوص بهم:

«اعلم أن (ياد داشت) عبارة في طريقة حضرات خواجكان قدّس الله أسرارهم عن حضور بلا غيبة، أعني دوام حضور حضرة الذات تعالت وتقدست من غير تخلل الحجب الشؤونية والاعتبارية، فإن وجد حضور في وقت وغيبة في وقت، بأن ترتفع الحجب في وقت بالتمام وانسدلت في وقت آخر- كما يكون في التجلي البرقي الذاتي حيث إن الحجب ترتفع فيه عن حضرة الذات تعالت وتقدست كالبرق ثم تحتجب بحجب الشؤون والاعتبارات بسرعة- فهو ساقط عن حيز الاعتبار عند هؤلاء الأكابر.

فعلم من هذا أن حاصل الحضور بلا غيبة هو دوام التجلي البرقي الذاتي الذي هو عبارة عن ظهور حضرة الذات بدون توسط الشؤون والاعتبارات، ويتيسر ذلك في نهاية هذا الطريق، ويثبت في هذا المقام الفناء الأكمل، ولا رجوع فيه للحجب أصلا، فإنها لو رجعت لتبدّل الحضور بالغيبة، ولا يقال له (ياد داشت)، فتحقق أن شهود هؤلاء الأكابر على الوجه الأتم والأكمل، وأكملية الفناء وأتمية البقاء على قدر أتمية الشهود وأكمليته.

وقس من حال بستاني ربيعي»[1].

---

١ المكتوب الحادي والخمسون والمائة ١: ٢٠٠ -٢٠١.

٦٠- إطاعة الرسول عين إطاعة الحق سبحانه:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى السيد فريد في بيان أن إطاعة الرسول عين إطاعة الحق سبحانه وما يناسب ذلك:

«قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء:٨٠]، فجعل الله سبحانه إطاعة الرسول عين إطاعته، فإطاعة الحق عز وجل بدون إطاعة الرسول ليس بإطاعة له سبحانه، ولذلك أورد كلمة «قد» تأكيداً لهذا المعنى وتحقيقا له، لئلا يفرّق مهووس بين هاتين الإطاعتين ويختار أحديهما دون الأخرى.

وقد وبّخ الله سبحانه في محل آخر جماعة فرقوا بين هاتين الإطاعتين حيث قال سبحانه﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[النساء:١٥٠]، نعم قد صدرت من بعض المشايخ وقت غلبة الحال والسكر كلمات مؤذنة بالتفرقة بين هاتين الإطاعتين ومشعرة باختيار محبة إحديهما على الأخرى، كما نقل أن السلطان محمود الغزنوي لما نزل مرة في أيام سلطنته في قرب قرية خرقان أرسل واحداً من وكلائه إلى الشيخ أبي الحسن الخرقاني[1] والتمس منه الحضور عنده وقال لرسوله: إذا فهمت توقفاً من الشيخ فاقرأ هذه الآية﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء: ٥٩].

---

١ أبو الحسن علي بن أحمد الخرقاني البسطامي، العارف القدوة الزاهد من كبار الصوفية، ت: ٤٢٥هـ. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ٤: ٢١٢٧؛ اللباب، ابن الأثير، ١: ٤٣٤؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي، ٢: ٢٥.

فلما فهم الرسول توقفاً من الشيخ قرأ الآية المذكورة فقال له الشيخ في جوابه: إني مشغول بإطاعة الله تعالى بحيث لم أفرغ منها بعد لإطاعة رسول الله فكيف لإطاعة أولى الأمر! فجعل حضرة الشيخ إطاعة الحق سبحانه غير إطاعة الرسول وهذا الكلام بعيد عن الاستقامة.

والمشايخ المستقيمو الأحوال يتحاشون من أمثال هذا الكلام، ويعلمون أن إطاعة الحق سبحانه في إطاعة رسوله في جميع مراتب الشريعة والطريقة والحقيقة، ويعتقدون أن إطاعة الحق سبحانه في غير إطاعة رسوله عين الضلالة.

ونقل أيضاً أنّ شيخ بلدة مِهنَة الشيخ أبا سعيد أبا الخير عقد مجلساً وكان في ذلك المجلس واحد من أجلّة سادات خراسان، فدخل في ذلك الأثناء اتفاقاً مجذوب مغلوب الحال، فقدّمه الشيخ على السيد الأجل، فلم يَحْسُن ذلك للسيد، فقال الشيخ للسيد: «تعظيمك بواسطة محبة رسول الله ﷺ، وتعظيم هذا المجذوب بواسطة محبة الحق سبحانه»، والأكابر المستقيمو الأحوال لا يجوّزون أيضاً هذا القسم من التفرقة، ويرون غلبة محبة الحق سبحانه على محبة رسوله عليه الصلاة والسلام من سكر الحال، ولا يعتقدونها شيئاً غير الفضول.

ولكن ينبغي أن يعلم هذا القدر: أنّ محبة الحق سبحانه غالبة في مقام الكمال الذي هو مرتبة الولاية، ومحبة الرسول غالبة في مقام التكميل الذي فيه نصيب من مقام النبوة، ثبتنا الله سبحانه على إطاعة

الرسول التي هي عين طاعة الله سبحانه»[١].

٦١- الخلاص التام من ربقة ما سواه تعالى المربوط بالفناء المطلق:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ ميان مزمل في بيان الخلاص التام من رِقيّةِ ما سواه تعالى المربوط بالفناء المطلق:

«الخلاص التام من ربقة الأغيار إنما يتيسر إذا حصل التشرف بالفناء المطلق وزالت النقوش الكونية من مرآة القلب بالكلية ولم يبق التعلق العلمي والحبي بشيء من الأشياء، ولم يكن مقصود ومراد غير الحق سبحانه وتعالى ودونه خرط القتاد[٢]، وربما يُظنُ انتفاء التعلق ولكن﴿ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم: ٢٨]، وهذه سعادات تكون نصيب من عدّ التعلق بالأحوال والمقامات تعلقٌ بالغير، فما تقول في التعلق بأشياءِ أُخرِ !

دع مــا يصدك عن وصل الحبيب وما يلـهـيك عنه قبيحا كــان أو حســنا

وقد انجرت مدة غربتك إلى التطويل والفرصة غنيمة، فإن كان الأصحاب والأحباب من أهل الرخصة فما وجه التوقف؟ وإلاّ فما الحاجة إلى الرخصة؟ ينبغي أن يلاحظ مَرْضِيُ الحق سبحانه رَضِيَ أهل العالم أم لا؟ وماذا يكون عدم رضاهم وكل القصد منْ تبع الحبيب، ينبغي أن تعتقد أن المقصود هو الحق سبحانه فإن اجتمع مع محبته شيء فنافع وإلا فضار.

---

١ المكتوب الثاني والخمسون والمائة ١: ٢٠١-٢٠٢، انظر رسالة إثبات النبوة للإمام الرباني قدّس الله سره(طبعة استانبول، مكتبة الحقيقة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

٢ تقدم معناه.

أترنو إلى ورد وذا وجهي زاهر!

والسلام»[١].

٦٢- ضرورة ترك النفس والسير إليها:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى ميان مزمل أيضًا في بيان ضرورية ترك النفس والسير إليها:

«جعلنا الحق سبحانه معه ولا يتركنا مع غيره لحظة، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين فنهلك ولا أقل منها فنضيع، وكل بلاء وقع على الإنسان إنما هو من التعلق بالنفس، فإذا حصل الخلاص من يد النفس فقد حصل الخلاص مما دون الحق سبحانه، حتى إن من يعبد الأصنام إنما يعبد نفسه ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

إذا ما تركت النفـــس ألفيت راحـــة

دع نـفـسك وتــعــال، وكما أن ترك النفس والتجاوز منها فرض، كذلك السير والمشي إلى النفس لازم فإن الوجدان إنما هو فيها ولا وجدان في خارجها.

ولســــوف تعلم أن سيرك لم يكن   إلاّ إليـــك إذا بلـــغت المنـزلا»[٢].

٦٣- لزوم إظهار التواضع والاحتياج عند حضور الأكابر:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الحكيم عبد الوهاب في بيان لزوم إظهار

---

١ المكتوب الثالث والخمسون والمائة ١: ٢٠٢.

٢ مختصر المكتوب الرابع والخمسون والمائة ١: ٢٠٣.

التواضع والاحتياج عند حضور الأكابر، وبيان لزوم تصحيح العقائد:

«اعلم أنك قد جئت هنا وآلمت قدمك وانصرفت مسرعاً حتى لم تجد فرصة لأداء بعض حقوق الصحبة، والمقصود من الملاقاة والاجتماع إما الإفادة وإما الاستفادة، فإذا خلا المجلس من كلا هذين الخصالين فهو خارج عن الاعتداد به.

وينبغي لمن يحضر عند واحد من هذه الطائفة أن يحضر خالياً ليرجع ملآن، وأن يظهر عندهم العجز والإفلاس ليكون محلاً لشفقتهم ومستحقاً لإفاضتهم، ولا معنى في المجيء والانصراف ريّاناً، ولا شيء في الامتلاء غير العلة ولا في الاستغناء دون الطغيان.

قال الخواجة بهاء الدين النقشبند[1] قدس سره: «لابد أولاً من تضرع المريض وانكساره، ثم بعده يتوجه الخاطر المنكسِر»، فكان التضرع والانكسار شرطي التوجه، ومع ذلك كله جاء في هذه الأوان طالبُ علم والتمس مني التفويض والتوصية إلى ذلك الجانب، فوقع في الخاطر أن مجرد مجيئه أيضاً حق

---

١ هو الخواجه بهاء الحق والدين محمد بهاء الدين النقشبند، والنقشبند من النقاش، ولد عام ٧١٨هـ في قرية قرب بخارى، وأخذ الطريقة من الأمير كلال خليفة محمد السماسي شيخ طريقة خواجكان، وسافر إلى الحجاز مرتين، ثم قدم بعد رجوعه من الحجاز إلى بخارى فأقام بها إلى آخر عمره، وكانت فاته فيها عام ٧٩١هـ. من تصانيفه: الرسالة القدسية، الأوراد البهائية، ورسالة الحياة(نصائح)، والأوراد البهية، والورد الصغير. انظر ترجمته: رشحات عين الحياة، ٦٤-٦٧؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي الطالبي، ٣: ٢٣٥.

من الحقوق فينبغي أداء الحق من قِبَلي مهما أمكن، فلا جرم أمليت بلسان القلم كلمات على مقتضى الوقت والحال تداركاً لما مضى وتلافياً لما سبق، وأرسلت إلى ذلك الجانب، والله سبحانه الملهم للصواب والموفق للسداد.

أيها الموفَّق للسعادة إن ما هو اللازم لنا ولكم تصحيح العقائد على مقتضى الكتاب والسنة على نهج أخذها علماء أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة بعدما فهموها كما ينبغي، فإنّ فهمنا وفهمكم ساقط عن حيّز الاعتبار إذا لم يوافي فهم هؤلاء الكبار، ألا ترى أن كل مبتدع وضال يدعي أخذ أحكامه الباطلة من الكتاب والسنة وفهمها منهما، والحال أنه لا يغني من الحق شيئاً.

ثم علم الأحكام الشرعية ثانياً من الحلال والحرام والفرض والواجب، ثم العمل ثالثاً بمقتضى هذا العلم، ثم السلوك رابعاً طريق التصفية والتزكية الذي خص بالصوفية الكرام قدّس الله أسرارهم، فما لم تُصحح العقائد لا ينفع العلم بالأحكام الشرعية، وما لم يتحقق كلا هذين لا يجدي العمل شيئاً، وما لم تحصل الثلاثة كلها فحصول التصفية والتزكية محال، وما سوى هذه الأركان الأربعة ومتماتها ومكملاتها -كالسنة المكملة للفرض- كله من الفضول داخل في دائرة ما لا يعني «ومن حسن إسلام

المرء تركه ما لا يعنيه»[١] واشتغاله بما يعنيه، والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام»[٢].

٦٤- تفاوت مراتب الكمال بحسب تفاوت الاستعدادات:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ حميد البنكالي في بيان تفاوت مراتب الكمال بحسب تفاوت الاستعدادات:

«اعلم أن مراتب الكمال متفاوتة بحسب تفاوت الاستعدادات، والتفاوت في الكمال قد يكون بحسب الكمية وقد يكون بحسب الكيفية وقد يكون بهما معاً، فكمال البعض مثلا بالتجلي الصفاتي وكمال بعض آخر بالتجلي الذاتي مع تفاوت فاحش بين أفراد ذينك التجليين وبين أربابهما.

أيضاً فكمال البعض سلامة القلب وتخلص الروح وكمال الآخر بهما وبالشهود السري، وكمال الثالث بتلك الثلاث وبالحيرة المنسوبة إلى الخفي، وكمال الرابع بتلك الأربع وبالاتصال المنسوب إلى الأخفى ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وبعد حصول الكمال في أي مرتبة كانت من المراتب المذكورة إما رجوع القهقرى وإما ثبات واستقرار في ذلك الموطن، والأول هو مقام التكميل

---

١ رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً ٤: ٥٥٨،(٢٣١٧)، (٢٣١٨)؛ وابن ماجة في سننه ٢: ١٣١٥،(٣٩٧٦)؛ والإمام أحمد في مسنده ٣: ٢٥٩، (١٧٣٧)؛ وابن حبان في صحيحه ١: ٤٦٦، (٢٢٩).

٢ المكتوب السابع والخمسون والمائة ١: ٢٠٤-٢٠٥.

والإرشاد ورجوع من طرف الحق إلى الخلق للدعوة، والثاني هو موطن الاستهلاك والعزلة من الخلق، والسلام أولاً وآخراً»[١].

٦٥- مشايخ الطريقة قدس الله أسرارهم ثلاث طوائف:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى أقل عبيده يار محمد الجديد البدخشي الطالقاني في بيان أن مشايخ الطريقة قدس الله أسرارهم ثلاث طوائف مع شرح أحوال كل منها كمالاً ونقصاناً:

«اعلم أنّ مشايخ الطريقة قدّس الله أسرارهم ثلاث طوائف:

فالطائفة الأولى: قائلون بأنّ العالم موجود في الخارج بإيجاد الحق سبحانه، وكل ما فيه من أوصاف الكمال والنقصان فهو بإيجاد الحق سبحانه.

والطائفة الثانية: يقولون بأنّ العالم ظل الحق سبحانه، ولكنهم قائلون بوجوده في الخارج بطريق الظلية لا بطريق الأصالة، وأن وجود العالم قائم بوجود الحق سبحانه قيام الظل بالأصل.

والطائفة الثالثة: قائلون بوحدة الوجود، يعني أن في الخارج موجوداً واحداً فقط وهو ذات الحق سبحانه، ولا تحقّق للعالم في الخارج أصلاً وإنّما له الثبوت العلمي، ويقولون أنّ الأعيان ما شمّت رائحة الوجود.

والطائفة الأولى أكمل وأتمّ وأقوالهم أوفق بالكتاب والسنة وأسلم، وينبغي أن يعلم أن منشأ تفاوت العلوم والمعارف في المكاتيب والرسائل الصادرة من هذا الدرويش بل من كل سالك هو حصول هذه المقامات

---

١ المكتوب الثامن والخمسون والمائة ١: ٢٠٥- ٢٠٦.

المتفاوتة، فإن لكل مقام علوماً ومعارف خاصة به، ولكل حال قيلاً وقالاً، فعلى هذا لا تدافع في العلوم ولا تناقض بينها بل ذلك مثل نسخ الأحكام الشرعية﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٧] وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلم»[1].

٦٦- المقصود من طي منازل السلوك حصول الإيمان الحقيقي:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا صالح البدخشي في بيان أن المقصود من طي منازل السلوك حصول الإيمان الحقيقي الموقوف على اطمئنان النفس:

«اعلم أنّ المقصود من طيّ منازل السلوك حصول الإيمان الحقيقي الذي هو مربوط باطمئنان النفس، وما لم تطمئن النفس لا تتصور النجاة، ولا تصل النفس إلى مرتبة الاطمئنان ما لم تسلّط عليها سياسة القلب، وسياسة القلب إنّما تتيسر إذا كان القلب فارغاً من جميع ما هو من قبل النفس وحصلت له السلامة من التعلق بما سوى الحق سبحانه.

وعلامة سلامته من ذلك التعلق نسيانه ما سوى الله تعالى وتقدّس، ولو بقي مقدار شعرة من الشعور بالغير فالسلامة بعيدة، فطوبى لمن سلّم قلبه لربه، والسعي إلى أن تشرف القلب بالسلامة وينجر الأمر إلى اطمئنان النفس لازم﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الحديد: ٢١]. والسلام»[2].

---

١ اختصار المكتوب الستين والمائة ١: ٢٠٧- ٢١١.

٢ المكتوب الحادي والستون والمائة ١: ٢١١.

٦٧- فيض الحق سبحانه واردٌ على الخواص والعوام على الدوام:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الحافظ بهاء الدين السرهندي في بيان أن فيض الحق سبحانه وتعالى وارد على الخواص والعوام على الدوام، والتفاوت إنما هو بقبوله وعدم قبوله من طرف العبد:

«رزقكم الله سبحانه الاستقامة على جادة الشريعة بمنه وكرمه، اعلم أن فيض الحق سبحانه من قسم الأولاد والأموال والهداية والرشد وإن كان وارداً على الدوام من غير تفرقة بين الخواص والعوام والكرام واللئام، ولكن التفاوت ناشيء من هذا الطرف، فبعض يقبل الفيوض وآخر لا يقبلها﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ﴾[آل عمران: ١١٧]

ألا ترى أن الشمس تشرق على القصار والثوب بالسوية ومع ذلك تُسوّد وجه القصار وتبيض الثوب! وعدم قبول فيض الحق سبحانه إنما بسبب الإعراض عن جناب قدسه جل سلطانه، فإن الإدبار لازم للمعرض والحرمان من النعمة واجب عليه.

ولا يقال إن كثيراً من المعرضين متنعمون بتنعمات عاجلة ولم يكن إعراضهم سبباً لحرمانهم، لأنا نقول: أن تلك نقمة ظهرت في صورة نعمة على سبيل الاستدراج لطغيانهم لينهمكوا في الإعراض والضلالة، قال الله سبحانه وتعالى:﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦]، فالدنيا وتنعماتها مع وجود الإعراض عين

الاستدراج، الحذر الحذر»[1].

٦٨ - الترغيب في متابعة صاحب الشريعة، وبغض مخالفي الشريعة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى السيد النقيب الشيخ فريد في الترغيب في متابعة صاحب الشريعة عليه وعلى آله الصلاة والتحية، وبغض مخالفي الشريعة وعداوتهم والغلظة عليهم:

«عليكم باتباع النبي ﷺ في أوامره ونواهيه، والمتابعة فرع كمال محبته عليه الصلاة والسلام،

إنّ المحـــب لمـــن يحـــب مـــطيع

وعلامة كمال المحبة كمال بغض أعدائه ﷺ وإظهار العداوة لمخالفي شريعته عليه الصلاة والسلام، ولا سبيل للمداهنة في المحبة، فإنّ المحب واله بالمحبوب هائم به لا يطيق مخالفته ولا أن يميل إلى مخالفيه ولا أن يلين لهم بوجه من الوجوه، ولا يجتمع محبة المتباينين فإن الجمع بين الضدين محال؛ بل محبة أحدهما تستلزم عداوة الآخر.

ينبغي أن يتأمل تأملا جيداً وأن يتدارك ما مضى قبل فوت الفرصة، فإنه إذا فاتت الفرصة لا يحصل شيء غير الندامة، فإن تيسرت متابعة سيد الأولين والآخرين في هذه الأيام المعدودة فالنجاة الأبدية مرجوة وإلا فخسارة في خسارة، كائناً من كان وأي عمل عمله من الخير.

محمد سيد الكونين مـــن عـــرب   خاب الذي لم يكن في بابه التـــربا

---

١ المكتوب الرابع والستون والمائة ١: ٢١٦-٢١٧.

وحصول دولة تلك المتابعة العظمى ليس بموقوف على ترك الدنيا بالكلية حتى يكون عسيراً، بل إذا أديت الزكاة المفروضة مثلاً فله حكم الترك في عدم وصول المضـرة، فإنه لا ضرر في المال المزكى، فمعالجة دفع الضرر عن المال الدنياوي إخراج الزكاة وإن كان الترك الكلي أولى وأفضل منه ولكن أداء الزكاة يقوم مقامه.

فينبغي صرف جميع الهمة في إتيان أحكام الشـريعة، وتعظيم أهلها من العلماء والصلحاء، والاجتهاد في ترويجها، وإذلال أهل الأهواء والبدع، فإن «من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»[1]، ومعاداة الكفار الذين هم أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ والسعي في إهانتهم وتحقيرهم وعدم إعزازهم بوجه من الوجوه، وعدم إدخالهم في المجالس أصلاً وعدم الأنس بهم، وسلوك طريق الغِلظة والشدة عليهم وعدم الرجوع إليهم في أمر من الأمور مهما أمكن، فإن اضطرَّت الضـرورة فرضاً إلى الرجوع إليهم ينبغي قضاء تلك الحاجة منهم بكره واضطرار مثل قضاء الحاجة الإنسانية.

الطريق الذي يوصل إلى جناب قدس جدكم المعظم هو هذا، ومن لم يمش من هذا الطريق فالوصول إلى ذاك الجناب المقدس مشكل، هيهات هيهات.

كيف الوصـــــول إلى سعاد ودونها   قـــلل الجبـــــال ودونهن حتوف

---

١ أخرجه الطبراني في الأوسط حديث(٦٧٧٢)؛ والبيهقي في شعب الإيمان حديث (٩٤٦٤).

ماذا نكتب أزيد من هذا؟

بثت لديكم من همومي وخفت أن تملوا وإلاّ فالكلام كثير»[1]

٦٩- عدم الاغترار بالحياة اليسيرة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا محمد أمين في عدم الاغترار بالحياة اليسيرة والجهد في إزالة المرض القلبي بالذكر الكثير:

«أيها المخدوم إلاَم تحن إلى نفسك كالأم الشفيقة، وحتَّام تتجرع الغصص من أجلها وتغتم عليها كالأخت الشقيقة، ينبغي أن تفرض الكل ميتاً وجماداً خالياً عن الحس والحركة﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[الزمر: ٣٠] نص قاطع في هذا المعنى.

وفِكرُ إزالةِ المرض القلبي بالذكر الكثير في هذه الفرصة اليسيرة من أهم المهمات، ومعالجة العلة المعنوية بذكر الرب الجليل في هذا الوقت القليل من أعظم المقاصد وأجل القربات، القلب الذي هو متعلق بالغير كيف يتوقع منه الخير؟ والروح التي هي مائلة إلى الشر النفس الأمارة أفضل منها وأخير.

المطلوب منا هناك كله سلامة القلب وتخلّص الروح وصفاؤها، ونحن القاصرون في فكر تحصيل أسباب تعلق الروح والقلب دائماً، هيهات هيهات وماذا نصنع﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ ﴾[آل عمران: ١١٧].

ولا ينبغي أن تغتم من جهة الضعف الظاهري عسى أن يتبدل صحة وعافية إن شاء الله تعالى، ولا تشويش في خاطر هذا الجانب من تلك الجهة،

---

١ مختصر المكتوب الخامس والستين والمائة، ١: ٢١٧-٢١٨ .

وقد طلبتم الثوب الذي لبسه الفقير فأرسلت قميصاً فينبغي أن تلبسه مترصداً لنتائجه وثمراته فإنه كثير البركة.

خاب الذي قد غدا في قلبه مـــرض   وفاز من كان فيه حـدة البـــصـــر

والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات»[١].

٧٠- التحريض على عبادة الله تعالى والتحذير عن عبادة الآلهة الباطلة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى هردي رام الهندو في التحريض على عبادة الله تعالى والتحذير عن عبادة الآلهة الباطلة:

«اعلم أنّ ربنا وربكم بل رب العالمين من السموات والأرضين والعلويين والسفليين واحد﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى: ١١]، منـزّه عن الشبه والمثال، مبرّأ عن الشكل وكل ما يمر على الخيال، وكل من الأبوة والبنوة في حقه محال وليس للكفاءة والتمثال في حضرته مجال.

وزعم شائبة الاتحاد والحلول مستهجن في حضرة أنسه، ومظنة الكمون والبروز مستقبح في جناب قدسه، ليس بزمانيّ فإن الزمان مخلوقه تعالى، وليس بمكاني فإن المكان مصنوعه سبحانه، لا بداية لوجوده ولا نهاية لبقائه، وكل خير وكمال ثابت له سبحانه، وكل نقص وزوال مسلوب عن جنابه المتعال، فيكون مستحق العبادة هو تعالى»[٢].

---

١ المكتوب السادس والستون والمائة ١: ٢١٨-٢١٩.

٢ مختصر المكتوب السابع والستين والمائة ١: ٢١٩- ٢٢٠ .

٧١- مدح الطريقة النقشبندية وذم من أحدث فيها ما ليس منها:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الخواجة محمد قاسم بن الخواجكي الأمكنكي في مدح الطريقة النقشبندية وذم من أحدث فيها ما ليس منها:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين أجمعين، وبعد تبليغ دعوات موفورة وتحيات غير محصورة إلى جناب العالي سلالة المشايخ الكرام نتيجة الأولياء العظام حضرة المخدوم زاده:

ليكن معلوماً لجنابه العالي أن علو هذه الطريقة العلية ورفعة الطبقة النقشبندية إنما هي بواسطة التزام السنة السنية والاجتناب عن البدعة الشنيعة، ولهذا اجتنب أكابر هذه الطريقة العلية عن ذكر الجهر وأمروا بالذكر القلبي، ومنعوا من السماع والرقص والوجد والتواجد وغير ذلك مما لم يكن في عصره عليه الصلاة والسلام وعصر الخلفاء الراشدين عليهم الرضوان، واختاروا الخلوة في الجلوة بدل خلوة الأربعين لعدم كونها في الصدر الأول، فلا جرم ترتبت على ذلك الالتزام نتائج عظمى، وتفرعت على ذاك الاجتناب ثمرات كثيرة.

ومن ههنا كانت نهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم وكانت نسبتهم فوق جميع النسب، كلامهم دواء الأمراض القلبية، ونظرهم شفاء العلل المعنوية، توجههم الوجيه ينجي الطالبين من تعلق الكونين، وهمتهم الرفيعة الشأن ترفع المريدين إلى ذروة الوجوب من حضيض الإمكان»[1].

---

١ المكتوب الثامن والستون والمائة ١: ٢٢٠-٢٢٣.

٧٢- فضيلة اختيار الذل والانكسار وأداء وظائف العبودية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ طاهر البدخشي في بيان فضيلة اختيار الذل والانكسار وأداء وظائف العبودية، والمحافظة على حدود الشريعة واتباع السنة السنية وخشية الله تعالى وما يناسبه:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين، اعلم أنّ اللازم لأمثالنا الفقراء اختيار الذل والافتقار والتضرع والالتجاء إلى الحق، والانكسار دائماً، وأداء وظائف العبودية، والمحافظة على حدود الشريعة، ومتابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وتصحيح النيات في تحصيل الخيرات، وتخليص البواطن وتسليم الظواهر، ورؤية العيوب، ومشاهدة استيلاء الذنوب، والخوف من انتقام علام الغيوب، واستقلال الحسنات وإن كانت كثيرة، واستكثار السيئات وإن كانت يسيرة، وكراهة الشهرة وقبول الخلق، قال عليه الصلاة والسلام: «بحسب امرئ من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلاّ من عصمه الله»[١]، واتهام النيات والأفعال وإن كانت صحيحة مثل فلق الصبح، وعدم الاعتناء بالأحوال والمواجيد وإن كانت مطابقة للواقع وعدم الاعتماد عليها.

ولا ينبغي أيضاً استحسان مجرّد تأييد الدين وتقوية الملة وترويج الشريعة ودعوة الخلق إلى الحق جل وعلا، فإن هذا القسم من التأييد قد يكون

---

١ أخرجه الترمذي في سننه ٤: ٦٣٥،(٢٤٥٣)؛ والطبراني في مسند الشاميين ٣: ٣٠٤،(٢٣٣٣)؛ والبيهقي، شعب الإيمان ٩: ٢٢٥، (٦٥٨٠).

أحيانا من الكفار والفجار، قال عليه الصلاة والسلام: «إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[1].

وكلما يجيء مريد لطلب الطريقة وإرادة الإنابة ينبغي أن يرى في النظر مثل النمر والأسد وأن يخاف من أن يراد به مكيدة واستدراج، فإن وُجد الفرحُ والسرورُ في النفس عند قدوم المريد ينبغي أن يعتقده شركاً وكفراً وأن يتداركه بالندامة والاستغفار إلى أن لا يبقى أثر من هذا السرور؛ بل إلى أن يجيء محل السرور والفرح الخوف والحزن.

وينبغي أن يجتنب غاية الاجتناب عن ظهور الطمع والتوقع في مال المريد ومنافعه الدنياوية فإنه مانع لرشد المريد وباعث على كون الشيخ خراباً، فإن المطلوب هناك كله الدين الخالص﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[الزمر: ٣]، لا مجال للشركة في جناب الحضرة الإلهية بوجه من الوجوه.

واعلم أن كل ظلمة وكدورة تطرأ على القلب فإزالتها تيسر بالتوبة والاستغفار والندامة والالتجاء إلى الحق سبحانه وتعالى بأسهل الوجوه إلا ظلمة طرأت على القلب من طريق محبة الدنيا الدنية فإنها تجعل القلب خراباً وإزالتها في غاية التعسر بل في نهاية التعذر، صدق رسول الله ﷺ حيث قال:

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، باب: الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ٤: ١٣، ٥: ١٣٢، برقم(٤٢٠٣)؛ ومسلم في صحيحه، باب ٤٧ غلظ تحريم قتل الإنسان ١: ١٠٥، (١٧٨).

«حب الدنيا رأس كل خطيئة»[١]، نجانا الله سبحانه وإياكم من محبة الدنيا ومحبة أبنائها وأربابها والاختلاط بهم والمصاحبة معها فإنها سم قاتل ومرض مهلك وبلاء عظيم وداء عميم»[٢].

٧٣- حفظ الأوقات من ضروريات هذا الطريق:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا محمد صديق في بيان أن حفظ الأوقات من ضروريات هذا الطريق:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اعلم أن من حُسن إسلام المرء اشتغاله بما يعنيه وإعراضه عما لا يعنيه، فلابد إذاً من حفظ الأوقات لئلا تتلف في أمور لا طائل فيها.

ينبغي أن تعتقد أن إنشاد الشعر وحكاية القصص نصيب الأعداء، وأن تشتغل بالسكوت وحفظ نسبة الباطن واجتماع الأصحاب في هذا الطريق إنما هو لجمعية الباطن لا لتشتيت الخاطر، ولهذا اختاروا الخلطة على الخلوة، وطلبوا الجمعية من الاجتماع، ومتى كان الاجتماع سببا للتفرقة يلزم التحاشي منه والتباعد عنه، وكل شيء يجتمع مع الاجتماع فهو مبارك وإلا فمشؤوم وغير مبارك.

---

١ رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب ٧١ الزهد وقصر الأمل، ٣: ١٠٢، (١٠٠١٩)؛ وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة، ٢٩٢، والحديث ضعيف وقيل: بل موضوع، وقيل: من قول سيدنا عيسى ؛، ورواه البيهقي من مراسيل الحسن البصري. انظر: كشف الخفاء، العجلوني ١: ٣٩٧، (١٠٩٩)؛ مشكاة المصابيح، التبريزي ٣: ١٤٣٨، (٥٢١٣).

٢ المكتوب الحادي والسبعون والمائة ١: ٢١٩- ٢٢٠.

وينبغي للسالك أن يعيش على وجهٍ تحصُلُ الجمعيَّة للطالِبين في صحبته، لا أنه يلقيهم ويرميهم إلى التفرقة، وينبغي أن يُقلِّب أيضاً أوراق نفسه وأن يبدل الكلام بالسكوت، الوقت ليس وقت المشاعرة ولا حين المحاورة، وما الوقت وقت الدرس أو كشف كشّاف. والسلام»[1].

٧٤- كون الخواطر والوساوس من كمال الإيمان:

قال رضي الله عنه مكتوبه إلى الملا صالح الكولابي في بيان كون الخواطر والوساوس من كمال الإيمان كما ورد في بعض الأحاديث:

«كان طائفة من الدراويش يوماً من الأيام قاعدين مجتمعين فجرى الكلام في خطرات الطالبين ووساوسهم، فذكر في ذلك الأثناء حديث نبوي وهو أن بعض الأصحاب شكا إلى النبي ﷺ من الخواطر الرديئة، وقال: إنا نجد في أنفسنا ما لو أن أحدنا خر على رأسه لكان خيْراً له من أن يتكلم، فقال عليه الصلاة والسلام: «أوجدتم ذلك؟ ذاك من كمال الإيمان، أو من صريح الإيمان»[2].

فوقع في خاطر هذا الفقير في ذلك الوقت في تأويل هذا الحديث والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال: أن كمال الإيمان عبارة عن كمال اليقين، وكمال اليقين، مرتب على كمال القرب، فإذا حصل للقلب وما فوقه من اللطائف زيادة القرب الإلهي جل شأنه يكون الإيمان واليقين أزيد، ويكون عدم تعلق

---

١ المكتوب السادس والسبعون والمائة ١: ٢٣١.

٢ أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب: ٥٩،(٨٣٢).

القلب وسائر اللطائف بالبدن أكثر، فيكون ظهور الخطرات في القالَب أزيد وأوفر، والوساوس غير اللائقة فيه أظهر، فلا جرم يكون سبب الخطرات الردية كمال الإيمان بالضرورة.

فعلى هذا كلما كانت الخطرات أزيد في المنتهي إلى نهاية النهاية تكون أكملية الإيمان فيه أشد، فإن كمال الإيمان يقتضي عدم المناسبة بين ألطف اللطائف وبين لطيفة القالب، وكلما كان عدم المناسبة المذكورة أكثر كان القالب أشد خلواً وأقرب إلى الظلمة والكدورة، ويكون ورود الخواطر إليه أزيد وأوفر بخلاف المبتدي والمتوسط، فإن مثل هذه الخواطر سم قاتل بالنسبة إليهما وسبب لازدياد مرضهم الباطني، فلا تكن من القاصرين، وهذه المعرفة من المعارف الغامضة المختصة بهذا الفقير، والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام»[1].

٧٥- النصيحة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا معصوم الكابلي في النصيحة:

«رزقكم الله سبحانه الاستقامة على جادة الشريعة المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية وجعلنا وإياكم متوجهين إلى جناب قدسه بالكلية وشغلنا به عن غيره حتى لا نتوجه إلى الاثنينية، والمأمول أن لا تكون التعلقات الشتى والتوجهات المتفرقة التي استولت على الظاهر مانعة عن النسبة الباطنية.

---

١ المكتوب الثاني والثمانون والمائة ١: ٢٣٥-٢٣٦ .

ومع ذلك ينبغي السعي والاجتهاد في تحقيق التفرقة الظاهرية والتفحص عنها لئلا تسري في الباطن فتمنع عن الوصول إلى المطلب الحقيقي عياذاً بالله سبحانه من ذلك، ولا تستحق الدنيا وما فيها لأن تصرف بضاعة العمر العزيز في تحصيلها، الشرط هو الإخبار، وإلى متى يمتد منام الأرنب؟

وما القصر والبستان إلا محابـــس   وما المال والأمـلاك إلا مصـــائب

فإن حصل العمل قبل الموت فبها وإلا فخسران في خسران، ينبغي أن يعد ذكر القلب ومشغولية الباطن عزيزاً وأن يتخذ كل ما ينافيه عدواً.

كل ما دون هوى الحـــق ولـــو   أكـــل قـــند فـهو ســم قاتـــل

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[المائدة: ٩٩]»[1].

٧٦- متابعة السنة والاجتناب عن البدعة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الخواجه عبد الرحمن المفتي الكابلي في الحث على متابعة السنة والاجتناب عن البدعة وأن كل بدعة ضلالة:

«أسأل الله سبحانه وتعالى بالتضرع والاعتذار والالتجاء والافتقار والتذلل والانكسار في السر والجهار أن لا يبتلي هذا الضعيف مع من هم مجتمعون لديه أو مستندون إليه بفعل كل عمل محدث ومبتدع في الدين مما لم يكن في زمن خير البشر وزمن خلفائه الراشدين عليه وعليهم الصلاة والسلام؛ وإن كان ذلك العمل مثل فلق الصبح في الوضوح، وأن لا يفتننا

---

١ المكتوب الثالث والثمانون والمائة ١: ٢٣٦- ٢٣٧.

بحسن ذلك المبتدع بحرمة السيد المختار وآله الأبرار عليه وعليهم الصلاة والسلام.

قال بعض الناس: إن البدعة على نوعين حسنة وسيئة، فالحسنة: هي كل عمل صالح حدث بعد زمن نبينا وزمن خلفائه الراشدين عليه وعليهم الصلاة والسلام ولم يكن رافعا للسنة، والسيئة: ما تكون رافعة للسنة.

وهذا الفقير لا يشاهد في شيء من البدعة شيئاً من الحسن والنورانية، ولا يحس فيها شيئاً سوى الظلمة والكدورة، ومن رأى اليوم -فرَضاً- طراوة ونضارة في الأمر المبتدع بسبب ضعف البصيرة ولكن سيعلم غدًا بعد حصول الحدة في بصره أن ليس له شيء من نتيجة غير الندامة والخسارة.

ووقتُ الصبح يبدو كالنـــــهـــار حقيقة مَنْ هَويتَـــه في الظـــلام

قال سيد البشر عليه الصلاة والسلام: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1]، فإذا كان الشيء مردوداً فمن أين يجيء له الحُسن؟ وقال عليه الصلاة والسلام: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة»[2]. وقال عليه الصلاة والسلام: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبداً

---

١ أخرجه البخاري، باب إذا اصطلحوا على صلح جور ٣: ١٨٤، برقم (٢٦٩٧)؛ ومسلم في صحيحه، باب نقض الأحكام الباطلة، ٢: ١٣٤٣، برقم (١٧١٨).

٢ أخرجه مسلم في كتاب الجمعة الصلاة باب: ١٧٨ – ٨٦٧؛ والبيهقي في الكبرى ٥٥٨٩؛ والنسائي في الكبرى ٥٨٩٢.

حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة»[١].

فإذا كان كل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة فما يكون معنى الحسن في البدعة؟ وأيضاً المفهوم من الأحاديث أن كل بدعة رافعة للسنة، والرفع غير مختص بالبعض فيكون كل بدعة سيئة، قال عليه الصلاة والسلام: «ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة فالتمسك بالسنة خير من إحداث البدعة»[٢]، وعن حسان أنه قال: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سننهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة»[٣].

ينبغي أن يُعلم أنّ بعض البدع الذي عدّه العلماء والمشايخ من البدعة الحسنة إذا لوحظ فيه كمال الملاحظة يُعلم أنّه رافعٌ للسنة، ومن ذلك أنّ تعميم الميت مثلاً عدُّوه من البدعة الحسنة، مع أنّه رافع للسنة لأنه زيادة على العدد المسنون في الكفن، وهو كونه ثلاثة أثواب، والزيادة نسخ، والنسخ هو عين الرفع.

---

١ أخرجه أبو داود في سننه، باب لزوم السنة ٤: ٢٠٠، (٤٦٠٧)؛ والترمذي في سننه ٥: ٤٤، (٢٦٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٢ أخرجه أحمد (١٧٠٩٥)؛ والطبراني في الكبير (١٧٨).

٣ أخرجه الدارمي في سننه ١: ٤٥، وإسناده صحيح.

وكذلك استحسن المشايخ -يعني بعضهم -إرسال ذنب العمامة من طرف اليسار، مع أنّ السنة إرساله مما بين الكتفين[1]، وكون ذلك رافعاً لهذه السنة ظاهر لا سترة فيه.

كذلك استحسن العلماء -يعني بعضهم- في نية الصلاة النطق باللسان مع إرادة قلبية، والحال أنّه لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه الكرام ولا عن التابعين العِظام في النية النطق باللسان، لا في رواية صحيحة ولا في رواية ضعيفة؛ بل كانوا يكبرون للتحريمة عقب القيام فيكون النطق بدعة، وقالوا: إنّ ذلك بدعة حسنة! ويقول هذا الفقير: إنّ هذه البدعة رافعة للفرض فضلاً عن السنة، فإنّ أكثر الناس يكتفون على هذا التقدير بالنطق باللسان يعني من غير استحضار النية بالجنان ومن غير مبالاة بالغفلة القلبية عن هذا الشأن، فحينئذ يكون فرض من فرائض الصلاة وهو النية القلبية متروكاً بالكلية، ويفضي إلى فساد الصلاة.

وعلى هذا القياس سائر المبتدعات والمحدثات، فإنها زيادات على السنة ولو بوجه من الوجوه. والزيادة نسخ والنسخ رفع، فعليكم بالاقتصار على متابعة سنة رسول الله ﷺ، والاكتفاء بالاقتداء بأصحابه الكرام فإنهم كالنجوم

---

١ عن ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل عمامته بين كتفيه، وأن ابن عمر كان يفعل ذلك. رواه الترمذي في سننه: باب في سدل العمامة بين الكتفين ٤: ٢٢٥ برقم(١٧٣٦)؛ والنسائي في سننه (نحوه) ٨: ٣١١ برقم (٥٣٤٦)؛ وابن ماجه في سننه ٢: ١١٨٦ برقم(٣٥٨٧).

بأيهم اقتديتم اهتديتم، وأما القياس بالاجتهاد فليس من البدعة في شيء، فإنه مظهر لمعنى النصوص لا أنه مثبت لأمر زائد﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأكمل التسليمات»[١].

٧٧- أفضلية طريق الرابطة[٢] على الذكر:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الخواجه أشرف الكابلي في أفضلية طريق الرابطة على الذكر بالنسبة إلى المريد:

«اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلف وتعمل علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة، ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً، فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة.

أورد حضرة الخواجه أحرار قدس سره في الفقرات أن ظِل الدليل أولى من ذكر الحق سبحانه باعتبار النفع، يعني: أنّ ظل الدليل أولى للمريد من

---

١ المكتوب السادس والثمانون والمائة ١: ٢٣٨-٢٤٠.

٢ الرابطة: هي التي تربط قلب المريد على الحضور في حضرة الحق تعالى، ومعنى الحضور: هو الوقوف أمامه تعالى متصفاً بالخلال الحميدة مستحضراً للأدب، مستجمعاً كمال المحبة والتقديس والتنزيه. انظر: مكتوبات الإمام الرباني ٢: ٦٠(المكتوب الثلاثون من القسم الثاني)، وانظر أنواع الرابطة في هامش المكتوبات (رابطة المصطفى ﷺ) ١: ٣٣٩

اشتغاله بالذكر، فإنه لم تحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جل وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعًا تاماً، والسلام أولاً وآخراً»[1].

٧٨- المداومة على الذكر واختيار الطريقة النقشبندية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى واحد من أولاد المير محمد نعمان البدخشي في التحريض على المداومة على الذكر واختيار الطريقة النقشبندية مع بيان كيفية الذكر:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطاهرين أجمعين.

اعلم وتنبّه أن سعادتك بل سعادة جميع بني آدم وفلاحهم وخلاصهم كل ذلك في ذكر مولاهم جل سلطانه، فينبغي استغراق جميع الأوقات بالذكر الإلهي جل شأنه بقدر الإمكان، وأن لا يجوز الغفلة لحظة واحدة.

ولله سبحانه الحمد والمنة أن دوام الذكر يتيسر في طريقة خواجكان قدس الله أسرارهم في الابتداء، ويحصل ذلك فيها على طريق اندراج النهاية في البداية، فاختيار هذه الطريقة كان للطالب أولى وأنسب، بل يكون واجبًا عليهم ولازماً، فعليك إذاً صرف التوجه عن جميع الجهات والإقبال بالكلية على جانب أكابر هذه الطريقة العلية، وطلب الهمة من بواطنهم الشريفة.

ولا بد من الذكر في الابتداء فينبغي أن تتوجه إلى القلب الصنوبري الشكل، فإن تلك المضغة كالحجرة للقلب الحقيقي، وأن تجري الاسم المبارك

---

١ المكتوب السابع والثمانون والمائة ١: ٢٤٠.

«الله» على هذا القلب، ولا تحرك عضواً من أعضائك في هذا الوقت بالقصد، واقعد متوجهاً إلى القلب بالكلية ولا تَخَيَّل صورة القلب بالقوة المتخيلة أصلاً، ولا تلتفت إليها قطعاً، فإن المقصود التوجه إلى القلب لا تصور صورته.

وينبغي أن تلاحظ معنى اللفظ المبارك «الله» بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وأن لا تضم إليها شيئاً من ملاحظة الصفات حتى الحاضرية والناظرية، لئلا تنزل من ذروة حضرة الذات إلى حضيض الصفات، فتقع منها إلى شهود الوحدة في الكثرة، وتطمئن بشهود المثالي من التعلق بمن تنزه عن المثال والتوجه إليه، فإن كل ما يظهر في مرآة المثالي لا يكون مصداقًا لـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١]، وكل ما يشاهد في الكثرة لا يكون واحداً حقيقياً البتة.

ينبغي للعاقل أن يطلب المنزه عن المثال فيما وراء المثالي، وأن يلتمس البسيط الحقيقي في خارج حيطة الكثرة، فإن ظهرت صورة المرشد وقت الذكر من غير تكلف ينبغي أن تذهب بها إلى القلب وأن تشتغل بالذكر حافظًا لها في القلب.

أتدري من المرشد؟ المرشد من تستفيد منه طريق الوصول إلى جناب قدس الحق جل سلطانه، وتجد منه مدداً وإعانة في هذا الطريق، ومجرد لبس الكلاه والخرقة وأخذ الشجرة وغيرها مما صار عرفًا ورسماً بين الناس كلها خارجة عن حقيقة المرشدية والمريدية وداخلة في الرسوم والعادات، إلا أن الخرقة إن حصلت من الشيخ الكامل المكمِّل وعاملت بها بالاعتقاد والإخلاص فاحتمال حصول الثمرات والنتائج قوي في هذه الصورة.

واعلم أن المنامات والواقعات لا اعتماد عليها ولا اعتبار لها، فإن الإنسان لا يكون سلطاناً أو قطب[1] الوقت في الحقيقة بسبب رؤية نفسه كذلك في المنام، فإن كان في الواقع سلطاناً أو قطب الوقت فمسلّم، وكذلك كلما ظهر من الأحوال والمواجيد في الصحو والإفاقة ففيه مجال للاعتماد عليه، وإلا فلا.

واعلم أن نفع الذكر وترتب الأثر عليه مربوط بإتيان أحكام الشريعة فينبغي حسن الاحتياط في أداء الفرائض والسنن واجتناب المحرم والمشتبه والرجوع إلى العلماء في القليل والكثير والعمل بمقتضى فتواهم والسلام»[2].

---

١ القطب: هو كل شخص يدور عليه أمر من الأمور أو مقام من المقامات، أو حال من الأحوال مثل الزهد والتوكل، وكل ما توصل الصوفية إلى تعداده من المقامات والأحوال، لكل منها قطب تدور عليه، فإذا أريد المقام الذي لا يتصف به إلا واحد، عبّر عنه بالغوث، وهو الذي يصل منه المدد الروحاني إلى دائرة الأولياء، وله الإمامة والإرث والخلافة الباطنة.، وهو يكون في كل عصر واحد، والقطب هو مركز الدائرة ومحيطها ومرآة الحق، عليه مدار العالم، له رقائق ممتدة إلى جميع قلوب الخلائق بالخير والشر على حد واحد. انظر: منزل القطب ومقامه، الشيخ الأكبر ابن عربي، ٢-٤؛ وفصوص الحكم له، ٢: ٥٥٥؛ معراج التشوف، ابن عجيبة ٨٠؛ معجم ألفاظ الصوفية، حسن الشرقاوي، ٢٣٥؛ المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ٩٠٩-٩١٥.

٢ المكتوب التسعون والمائة ٢٤١- ٢٤٣.

٧٩- اتباع الأنبياء عليهم السلام وعدم العسر في التكاليف الشرعية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى خان خانان في الحث على اتباع الانبياء عليهم السلام، وأنه لا عسر في التكاليف الشرعية:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[الأعراف: ٤٣].

اعلم أن السعادة الأبدية والنجاة السرمدية مربوطة بمتابعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عمومًا وعلى أفضلهم خصوصاً، فإن تيسرت عبادة ألف سنة -فرَضَاً- مع الرياضات الشاقة والمجاهدات الشديدة لا تعدل تلك العبادات بنصف شعيرة ولا تساوى تلك الرياضات بالنوم وقت الظهيرة اقتداء بصاحب الشريعة؛ مع كونه غفلة من الأول إلى الآخر، ما لم تكن منوّرة بنور اتباع هؤلاء الأكابر في الأمور الخطيرة والحقيرة، بل هي كسراب بقيعة.

ومن كمال عناية الحق سبحانه وتعالى رعاية نهاية اليسر وغاية السهولة في جميع التكاليف الشرعية والأحكام الدينية حيث أمر مثلاً بسبع عشرة ركعة من الصلاة في الليل والنهار لا يبلغ مجموع أوقات أدائها ساعة واحدة، ومع ذلك اكتفى في قراءتها بما تيسر، وجوز القعود عند تعذر القيام والاضطجاع عند تعذر القعود وأمر بالإيماء عند تعذر الركوع والسجود، وجعل التيمم خلف الوضوء وقت العجز عن استعمال الماء.

وعيّن للفقراء والمساكين حصة واحدة من أربعين حصة في زكاة الأموال، وقيد افتراضها أيضاً بكون الأموال نامية والأنعام سائمة، وفرض في

جميع العمر حجاً واحداً ومع ذلك جعله مشروطاً بالقدرة على الزاد والراحلة وأمن الطريق.

ووسع دائرة المباح حيث أباح نكاح أربعة من النساء ومقدار ما يملكه ويقدر عليه من السراري، وجعل الطلاق وسيلة لتبديل النساء، وجعل أكثر الأطعمة والأشربة والأقمشة مباحًا، وجعل المحرم منها قليلاً وتحريمه أيضا بواسطة مصالح العباد، وإن حرّم شراباً واحداً مراً كثير الضرر ولكنه أباح عوضاً عنه كثيراً من الأشربة اللذيذة السائغة الكثيرة النفع.

ألا ترى أن عرق القرنفل[1] وعرق الدارصيني[2] مع سهولة شربهما وطيب رائحتهما مشتملان على منافع كثيرة وفوائد جزيلة لا يمكن تحريرها، فأي فائدة في تركهما، واختيار شيء مرّ كريه الطعم، وكريه الرائحة، ساتر العقل، عظيم الخطر؟ شتان ما بينهما.

ومع ذلك بينهما فرق آخر صار من جهة الحلية والحرمة، فإنه أمر آخر والتميز العارض من حيثية رضائه تعالى وعدم رضائه شيء على حدة، فإن حرم بعض ألبسة الابرسيم[3] فما الضرر فيه؟ حيث أحل عوضه كثيراً من الألبسة الملونة المنقشة والأقمشة المزينة، ولباس الصوف الذي أبيح مطلقًا أفضل من ألبسة الابرسيم بمراتب، ومع ذلك قد أبيح لباس الابرسيم للنساء،

---

١ جنس أزهار مشهورة، تزرع في البلاد الحارة.

٢ هو اسم للقرفة، ويستعمل للعطرية التي فيه، ولفوائده الطبية العديدة.

٣ أحسن أنواع الحرير.

ومنافعه عائدة إلى الرجال، وهكذا حال الذهب والفضة فإن حلي النساء لأجل تمتع الرجال.

فمن اعتقد الأحكام الشرعية مع هذه السهولة واليسر من عدم الإنصاف متعسرة ومتعذرة فهو مبتلى بمرض قلبي وعلة باطنية، وكم من أمور يسيرة للأصحاء متعسرة للضعفاء عسرة تامة، ومرض القلب هو عبارة عن عدم يقين القلب بالأحكام المنزلة من السماء وتصديقهم بهذه الأحكام إنما هو صورة التصديق لا حقيقته.

وعلامة حصول حقيقة التصديق ثبوت اليسر والخفة والنشاط في إتيان الأحكام الشرعية وبدونها خرط القتاد، وقال الله تبارك و تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[الشورى: ١٣].

والسلام على من اتبع الهدى، والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله أتم الصلوات وأكمل التسليمات»[1].

٨٠- تأثير القرب الجسماني في القرب الروحاني:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المرزا حسام الدين أحمد في بيان تأثير القرب الجسماني في القرب الروحاني وذم الأحوال غير الموافقة للشرع:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، قد مضت مدة مديدة ولم يصل إلينا أخبار السلامة من جنابكم وحضرات المخاديم وولدي الميان جمال

---

١ المكتوب الحادي والتسعون والمائة ١: ٢٤٣-٢٤٤.

الدين حسين وسائر الأعزة وخدمة العتبة العلية خصوصاً الشيخ إلـهداد والشيخ هداية، ولا أخال المانع من ذلك سوى نسيان النائين المهجورين.

نعم إن لقرب الأبدان تأثيراً عظيماً في قرب القلوب، ولهذا لن يبلغ ولي من الأولياء مرتبة الصحابي حتى إن أويساً القرني مع رفعة شأنه ما بلغ مرتبة أدنى الصحابة لعدم وصوله إلى صحبة خير البشر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

سئل عبد الله بن المبارك رضي الله عنه: أيهما أفضل معاوية أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: الغبار الذي دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز كذا مرة، وأحوال فقراء هذه الحدود مع اللواحق والتوابع مقرونة بالعافية، لله سبحانه المنة على ذلك بل على جميع النعماء والآلاء خصوصًا على نعمة الإسلام، ومتابعة سيد الأنام عليه وعلى آله الصلاة والسلام فإنه ملاك الأمر، ومدار النجاة، ومناط الفوز بالسعادات الدنيوية والأخروية، ثبتنا الله سبحانه وإياكم على ذلك بحرمة سيد المرسلين عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

هذا هو الأمر والباقي من العبث، وماذا يفتح من ترهات الصوفية؟ وماذا يزيد من أحوالهم؟ لا يشترى الوجد والحال هناك بنصف شعرة ما لم يوزن بميزان الشرع، ولا تساوي الإلهامات نصف شعيرة ما لم تعرض لمحك الكتاب والسنة.

والمقصود من سلوك طريق الصوفية ازدياد اليقين بالمعتقدات الشـرعية التي هو حقيقة الإيمان، وحصول اليسر أيضًا في أداء الأحكام الفقهية لا أنه

أمر آخر وراء ذلك، فإن الرؤية الأخروية إنما هي في الآخرة وليست بواقعة في الدنيا ألبتة، والمشاهدات والتجليات التي الصوفية مسرورون بها سكون إلى الظلال واطمئنان بها وتسل بالشبه والمثال، وهو تعالى وراء الوراء.

ويا عجباً من هذه المعاملة، لو قيل لهم حقيقة المشاهدات والتجليات كما هي ليخاف من وقوع الفتور في طلب مبتدئ هذا الطريق وحصول القصور في شوقهم، وإن سكت عنها مع وجود العلم بها يخاف أيضاً من التباس الحق بالباطل، يا دليل المتحيرين دلني بحرمة من جعلته رحمة للعالمين عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

فإن أخبرتم بكيفيات الأحوال أحياناً لكان موجباً لازدياد المحبة، والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأكمل التسليمات وأجزل التحيات»[1].

٨١- بعض لوازم مقام التكميل والإرشاد:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا يار محمد قديم البدخشي في جواب سؤاله وبيان بعض لوازم مقام التكميل والإرشاد:

«وصل المكتوب المرغوب من الأخ الأعز مولانا يار محمد القديم وصار موجبًا للفرح بلَّغه[2] الله سبحانه ذروة الكمال والتكميل بحرمة النبي المختار وآله الأمجاد والأبرار عليه وعليهم الصلاة والسلام.

---

١ المكتوب السابع والمائتان ١: ٢٦٢.

٢ في الأصل: بلّغه.

وقد سئلت عن مقالة المولوي عليه الرحمة حيث قال: إن المليح الذي كان بجنبي كان حقاً، فهل يجوز هذا الكلام أم لا؟

اعلم أن أمثال هذا الأمر تقع كثيراً في هذا الطريق، وتجري على اللسان، وهذا النوع من المعاملة يقال له «التجلي الصوري»، ويظن صاحب المعاملة تلك الصورة المتجلي بها حقاً تعالى شأنه، والكلام إنما هو ما قال الشيخ الأجل الإمام الرباني حضرة الخواجه يوسف الهمداني قدس سره حيث قال: تلك خيالات تربى بها أطفال الطريقة.

اعلم أنه لما صدر لكم نوع إجازة تعليم الطريقة أردت أن أكتب بعض الفوائد في هذا الباب ينبغي استماعها بأذن العقل والعمل بها.

اعلم أنه إذا جاء عندك طالب بإرادة الطريقة ينبغي لك أن تتأمل وتتأنى كثيراً في تعليم الطريقة إياه خوفًا من أن يراد عليك الاستدراج في هذا الأمر ومن أن يكون المنظور فيه خراب بيتك، خصوصاً إذا ظهر الفرح والسرور من مجيء المريد، فينبغي سلوك طريق الالتجاء والتضرع في هذا الباب والاستخارات المتعددة إلى أن يحصل اليقين بكون تعليم الطريقة إياه مرضياً، وأنه لا يراد به الاستدراج والإضلال لأن التصرف في عباد الله تعالى وتضييع الوقت في تربيتهم غير مجوز بلا إذن الحق سبحانه، وفي قوله تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[إبراهيم: ١] دلالة على هذا المعنى.

حكي أنه لما توفي واحد من الأعزة جاء الخطاب بأنه أنت الذي لبس الدرع في ديني على عبادي؟ قال: بلى، قال: هلا وكّلت خلقي إلَيَّ، وأقبلت بقلبك عليّ.

والإجازة التي صدرت لك ولغيرك مشروطة بالشروط، ومنوطة بحصول العلم بمرضاته تعالى، فإنه ما جاء بعد وقت الإجازة المطلقة فينبغي رعاية تلك الشروط إلى ورود ذلك الوقت، والشرط هو الإخبار، وحرر هذا المعنى أيضاً إلى المير نعمان فينبغي الاستعلام أيضاً من هناك، وبالجملة ينبغي السعي حتى يجيء ذلك الوقت، ويتيسر التخلص من مضائق الشرائط، والسلام»[١].

٨٢- سر كثرة ظهور الخوارق للعادات من بعض الأولياء وقلة ظهورها من بعض آخر:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المرزا حسام الدين في بيان سر كثرة ظهور الخوارق للعادات من بعض الأولياء، وقلة ظهورها من بعض آخر، وبيان أتمية مقام التكميل والإرشاد، وما يناسب ذلك:

«اعلم أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء، والخوارق والكشوف من لوازمها قلّت أو كثرت، ولكن ليس كل من تكون خوارقه أكثر تكون ولايته أتم وحظه أوفر؛ بل كثيراً ما يكون ظهور الخوارق قليلاً وتكون الولاية أكمل.

مدار كثرة ظهور الخوارق على أمرين: كون العروج إلى الفوق أكثر في وقت العروج، وكون النزول إلى السفل أقل في وقت النزول، بل الأصل العظيم في كثرة ظهور الخوارق هو قلة النزول على أي كيفية كان جانب العروج.

---

١ المكتوب الحادي عشر والمائتان ١: ٢٧٢.

فإن صاحب النـزول ينـزل إلى عالم الأسباب ويجد وجود الأشياء مربوطًا بالأسباب، ويرى فعل مسبب الأسباب من وراء أستار الأسباب، والذي لم ينـزل أو نزل ولكن لم يصل بعد إلى الأسباب فنظره مقصور على فعل مسبب الأسباب فقط، لأن الأسباب قد ارتفعت عن نظره بالتمام وقصـر نظره على فعل مسبب الأسباب، فلا جرم يعامل الحق سبحانه كلاً منهما معاملة على حدة بمقتضى ظن كل منهما، فيكل أمر من يرى الأسباب إلى الأسباب والذي لا يرى الأسباب يهيىء أمره بدون توسط الأسباب.

دقيقة: ينبغي أن يعلم: كما أن في حصول نفس الولاية لا يشترط لصاحبها العلم بولاية نفسه كما هو مشهور، كذلك لا يشترط العلم بوجود خوارقه العادات؛ بل كثيراً ما ينقل الناس عنه خوارق، ولا يكون له على تلك الخوارق اطلاع أصلاً، والأولياء الذين هم أصحاب العلم والكشف يجوز أن لا يكون لهم اطلاع على خوارقهم بل تظهر صورهم المثالية في أمكنة متعددة، وتظهر من تلك الصور أمور عجيبة وحالات غريبة في مسافات بعيدة، ولا اطلاع لصاحب تلك الصور على ذلك أصلاً.

وما الفـــعـــــل إلا منه والغير مظهر

قال حضرة مخدومي وقبلتي قدس سره -يعني شيخه-: قال واحد من الأعزة :يا للعجب يجيء الناس من الأطراف والجوانب، فيقول بعضهم: رأيناك في مكة المعظمة وكنت حاضراً في موسم الحج وحججنا معاً، ويقول بعضهم رأيتك في بغداد، ويظهرون المحبة والمودة وأنا لم أخرج من بيتي أصلاً،

ولم أر أمثال هؤلاء الناس، فأي تهمة يتهمونني بها؟ والله سبحانه أعلم بحقائق الأمور كلها»[١].

٨٣- مسائل شتّى:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا طاهر البدخشي في بيان أن نسبة الباطن كلما تنجر إلى الجهالة والحيرة تكون أحسن، وبيان سبب وقوع الغلط في بعض الكشوف، والفرق بين القضاء المعلّق والمبرم، وأن المعول عليه هو الكتاب والسنة، وأن إجازة تعليم الطريقة لا يدل على الكمال والتكميل مطلقاً:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطاهرين أجمعين. لم تطلعوني على أحوالكم وأوضاعكم من مدة مديدة، الاستقامة مطلوبة على كل حال، فعليكم بالسعي والاجتهاد لئلا يقع خلاف الشريعة مقدار شعرة اعتقاداً وعملاً، والمحافظة على النسبة الباطنية من أهم المهمات، وكلما تنجر النسبة إلى جانب الجهالة تكون أحسن، وكلما تذهب إلى طرف الحيرة تكون أفضل، والكشوفات الإلهية والظهورات الأسمائية إنما هي في أثناء الطريق، وأما بعد الوصول فكل ذلك يقصر هنالك، لا يبقى فيه غير الجهالة، وعدم وجدان المطلوب، وماذا أكتب من الكشوف الكونية؟ فإن مجال الخطأ فيها كثير ومظنة الغلط غالبة، فينبغي اعتقاد أن وجودها وعدمها سيان.

---

١ مختصر المكتوب السادس عشر والمائتين ١: ٢٧٩-٢٨٠.

فإن قيل: ما السبب في وقوع الغلط في بعض الكشوف الكونية التي يصدر عن أولياء الله تعالى وظهور خلافها؟ أخبر مثلاً أن فلانًا يموت بعد شهر أو يرجع من سفره إلى وطنه ولما مضى ذلك الشهر لم يقع شيء مما أخبر به؟

أجيب: أن حصول هذا الأمر المكشوف المخبر عن وقوعه كان مشروطًا بشرائط، وصاحب الكشف لم يطلع على تفاصيلها وقت الإخبار به فحكم بحصوله مطلقاً، أو نقول إن حكماً من الأحكام المسطورة في اللوح المحفوظ ظهر لعارف، وكان ذلك الحكم قابلاً في نفسه المحو والرفع، وكان من قبيل القضاء المعلق، ولكن لم يكن للعارف خبر من كونه معلقاً، وقابليته للمحو والرفع، فإذا أخبر في هذه الصورة بمقتضى علمه وحكم بوقوعه يكون فيه احتمال التخلف البتة.

اعلم أيدك الله تعالى أن القضاء على قسمين: قضاء معلق، وقضاء مبرم، واحتمال التبديل والتغيير إنما هو في القضاء المعلق، وأما القضاء المبرم فلا مجال فيه للتبديل والتغيير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾[ق: ٢٩] هذا في القضاء المبرم، وقال في القضاء المعلق: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[الرعد: ٣٩].

قال حضرة قبلتي قدس سره -يعني شيخه-: كتب حضرة السيد محيي الدين عبد القادر الجيلاني[1] قدس سره في بعض رسائله: «لا مجال لأحد في تبديل القضاء المبرم إلاّ لي، فإني أتصرّف فيه أيضاً إن أردت ذلك».

وكثيراً ما كان يتعجب من هذا الكلام ويستبعده، وكان هذا النقل مدة مديدة في خزانة ذهن هذا الفقير إلى أن شرفني الله سبحانه بهذه الدولة العظمى حيث كنت يوماً في صدد دفع بلية متوجهة إلى بعض الأحبة، وكان لي في ذلك الوقت التجاء وتضرع وابتهال وخشوع تام إلى الله تعالى، فظهر أن قضاء هذا الأمر ليس بمعلق بأمر آخر في اللوح المحفوظ، ولا بمشروط بشرط فحصل بعد هذا نوع يأس وحرمان، فخطر في ذلك الوقت قول السيد عبد القادر الجيلاني قدس سره، فالتجأت إليه تعالى وتضرعت مرة ثانية وتوجهت إليه سالكاً طريق إظهار العجز والانكسار، فأظهر الله سبحانه بأن القضاء المعلق على نوعين: قضاء ظهر تعليقه في اللوح المحفوظ، واطلع عليه الملائكة، وقضاء تعليقه عند الحق سبحانه فقط، وهو على صورة القضاء المبرم في اللوح المحفوظ، وفي القسم الأخير من القضاء المعلق احتمال التبديل مثل الأول.

---

١ القطب الرّباني والعارف العالم العابد، شيخ الإسلام وعلم الأولياء محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى الحنبلي، شيخ بغداد، وإليه تنتسب الطريقة الجيلانية أو القادرية في التصوف، توفي رحمه الله سنة ٥٦١هـ، له العديد من المؤلفات منها: الفتح الرباني والفيض الرحماني، والغنية، منازل السلوك، إغاثة العارفين. انظر: المنتظم، ابن الجوزي ٢١٩؛ ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، ١: ٢٩٠؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي ٢٠: ٤٤٣؛ الطبقات الكبرى، الشعراني ١: ١٠٨.

فصار معلوماً من هناك أن كلام السيد الجيلاني مصروف إلى القسم الأخير الذي له صورة القضاء المبرم لا إلى قضاء هو مبرم حقيقة، فإن التصرف والتبديل فيه محالان شرعًا وعقلاً كما لا يخفى، والحق أن لأفراد قليلة اطلاعًا على حقيقة ذلك القضاء فكيف التصرف هناك، ووجدت البلية المتوجهة إلى الأخ المذكور من القسم الأخير وصار معلوماً أن الله سبحانه دفعها عنه، والحمد لله سبحانه على ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام والتحية على سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين الذي أرسله رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وعلى جميع إخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والملائكة المقربين أجمعين.

اللهم اجعلنا من محبيهم ومتابعي آثارهم ببركة هؤلاء الأكابر، ويرحم الله عبدًا قال آمينا.

ولنرجع إلى أصل الكلام ونقول: إن سبب وقوع الخطأ في بعض العلوم الإلهامية في بعض الأوقات هو أن بعض المقدمات المسلمة الثابتة عند صاحب الإلهام الكاذبة في نفس الأمر تلتبس وتختلط مع العلوم الإلهامية بحيث لا يقدر صاحب الإلهام على التمييز، بل يظن جميع تلك العلوم إلهامية، فلا جرم يقع الخطأ في المجموع بسبب الخطأ في بعض أجزائها.

وأيضاً قد يرى في بعض الأحيان أمور غيبية في الكشوف والواقعات ويتخيل الرائي أنها محمولة على ظاهرها، ومقصورة على صورتها فيحكم على مقدار خياله، فيقع الخطأ ولا يدرى أن تلك الأمور مصروفة عن ظاهرها،

ومحمولة على التأويل والتعبير، وهذا المقام أيضاً من جملة مقامات الأغلاط الكشفية.

وبالجملة إن ما هو القطعي الحقيقي بالاعتماد هو الكتاب والسنة، فإنهما ثبتا بالوحي القطعي وتقررا بنـزول الملك، وإجماع العلماء واجتهاد المجتهدين -يعني القياس- راجعان إلى هذين الأصلين، وما وراء هذه الأصول الأربعة كائناً ما كان إن كان موافقًا لواحد من هذه الأصول فهو مقبول وإلا فلا، وإن كان من علوم الصوفية ومعارفهم البهية ومن الإلهام والكشوفات السنية فإن الوجد والحال لا يشترى هناك بنصف شعيرة ما لم يوزن بميزان الشريعة، والإلهام والكشوف لا يقبل على نصف دانق ما لم يجرب بمحك الكتاب والسنة.

والمقصود من سلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين بحقية المعتقدات الشرعية الذي هو حقيقة الإيمان، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية لا أمر آخر وراء ذلك، فإن الرؤية موعودة في الآخرة ليست بواقعة في الدنيا، والمشاهدات والتجليات التي الصوفية مسرورون بها اطمئنان بالظلال أو تسل بالشبه والمثال، وهو تعالى وراء الوراء؛ فإن كشفت عن حقيقة هذه المشاهدات والتجليات كما هي أخاف من وقوع الفتور في طلب مبتدئي هذا الطريق، وتطرق القصور إلى شوقهم، وإن سكت عن ذلك مع وجود العلم به أخاف من أن أكون مجوزاً لالتباس الحق بالباطل، فبالضرورة أردت أن أظهر هذا القدر؛ وهو أن تجليات هذا الطريق ومشاهداته ينبغي أن تعرض على محك تجلي كليم الله موسى على نبينا وعليه الصلاة السلام وشهوده، فإن لم تصح

يعني لم تطابقه بل خالفته ينبغي أن يحكم عليها بكونها من جملة التجليات الظلالية والمثالية بالضرورة، ولا يجوز أن تصح يعني تطابق ألبتة، فإن الدك والفك مفقود ولا بد منه في الدنيا سواء تجلى للباطن أو للظاهر، فإنه يلزمه الدك والفك ألبتة.

وخاتم الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام لكونه مبرأ من هذه الوصمة تيسرت له الرؤية في الدنيا، ولم يذهب عن مكانه مقدار شعرة، ولا تكون هي بلا حجاب ظل من الظلال لكمل تابعيه ﷺ من الذين لهم نصيب من هذا المقام، فهمه صاحب التجلي أو لا، فإذا وقع الصعق لكليم الله موسى عليه السلام من مشاهدة هذا الحال فقط من غير وقوع التجلي له، ماذا يقع لغيره؟

ثم اعلم أن المقصود من إجازة بعض المخلصين هو أن يكون ذلك المُجاز دليلاً وهادياً إلى طريق الحق جل وعلا لجماعة في مثل هذا الزمان الذي فشت فيه الضلالة وعمت، ويشتغل هو أيضاً باتفاق هؤلاء الطلبة ويترقى ويسعى محافظاً على هذه النسبة، ويجتهد لأن يكون المسترشدون أيضاً متشرفين بهذه الدولة لا أن الإجازة توقعه في توهم الكمال والتكميل وتمنعه من المقصود، ما على الرسول إلا البلاغ، والسلام»[1].

---

١ مختصر المكتوب السابع عشر والمائتين ١: ٢٨٢- ٢٨٥.

٨٤- لزوم رعاية آداب شيخ الطريقة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا داود في بيان لزوم رعاية آداب شيخ الطريقة:

«وصل المكتوب الشريف من الأخ الأعز الملا داود وصار موجباً للابتهاج جعل الحق سبحانه ظاهره وباطنه متحلياً ومتزيناً بمرضياته بحرمة النبي وآله الأمجاد عليه وعليهم الصلاة والسلام، المطلوب عدم وقوع الفتور في تكرار ذكر القلب والاستقامة على طريقة الأكابر -قدّس الله أسرارهم- بسبب توجهات شتى.

فمتى طرأت الظلمة والكدورة فرضاً فعلاجها الالتجاء والتضرع والابتهال والانكسار إلى جناب قدس الحق جل سلطانه والتوجه التام إلى مربيه، فإنه هو الوسيلة إلى حصول هذه الدولة فينبغي رعاية آداب وسائل هذه الدولة العظمى كما هو حقها في الحضور والغيبة، وأن يجعل رضاء هؤلاء الأكابر وسيلة إلى تحصيل رضاء الحق سبحانه، وهذا هو طريق النجاة والفلاح، والسلام»[1].

٨٥- اشتغال الإنسان بما لا يعنيه وتركه ما يعنيه من جهله وغفلته:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المرزا ايرج في بيان أن اشتغال الإنسان بما لا يعنيه وتركه ما يعنيه ويهمه من جهله وغفلته:

---

١ المكتوب الثامن عشر والمائتان ١: ٢٨٧.

«عصمكم الله سبحانه عما يصمكم، وصانكم عما شانكم بحرمة سيد الأولين والآخرين عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

أيها السعيد النجيب! إن الإنسان إذا طرأ عليه مرض من الأمراض الظاهرة أو عرضت لعضو من أعضائه آفة يسعى سعياً بليغًا حتى يندفع عنه ذلك المرض، وتزول عنه تلك الآفة، وقد استولى عليه المرض القلبي الذي هو عبارة عن تعلق القلب بما دون الحق جل وعلا على نهج كاد يوقعه في الموت الأبدي، ويلقيه في العذاب السرمدي، وهو لا يتفكر بعد في إزالته أصلاً، ولا يسعى في دفعه قطعاً، فإن لم يعلم أن هذا التعلق مرض فهو سفيه محض، وإن علم ومع ذلك لا يبالي به فهو بليد صرف.

ولأجل إدراك هذا المرض لا بد من عقل المعاد، فإن عقل المعاش لقصور فكره مقصور على إدراك الظاهر لا يتعداه إلى بواطن الأمور، فكما أن عقل المعاش لا يدرك المرض المعنوي أو لا يراه مرضًا بواسطة ابتلائه بالتلذذات الفانية وانغماسه فيها، كذلك عقل المعاد لا يحس الأمراض الصورية ولا يعدها أمراضاً بسبب رجائه المثوبات الأخروية.

عقل المعاش قصير النظر، وعقل المعاد حديد البصر، عقل المعاد نصيب الأنبياء والأولياء عليهم الصلاة والسلام، وعقل المعاش مرغوب الأغنياء وأرباب الدنيا، شتان ما بينهما، والأسباب المحصلة لعقل المعاد ذكر الموت وتذكر أحوال الآخرة ومجالسة قوم تشرفوا بدولة فكر الآخرة.

دللتك يا هـــذا على كنز مقــصــد فـــإن أنا لم أبلـــغ لعلك تبلـــغ

ينبغي أن يعلم كما أن مرض الظاهر موجب للعسرة والتعب في أداء الأحكام الشرعية كذلك مرض الباطن أيضاً مستلزم لذلك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى: ١٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾[البقرة: ٤٥]، والمستلزم لذلك العسر في الظاهر ضعف القوى والجوارح. وفي الباطن ضعف اليقين ونقص الإيمان، وإلا فليس في التكاليف الشرعية عسر أصلاً بل فيها كلها تخفيف وتمام اليسر والسهولة، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[النساء: ٢٨] شاهدان عدلان لهذا المعنى.

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

فكان فكر إزالة هذا المرض لازماً والالتجاء إلى الأطباء الحذاق فرضاً، ما على الرسول إلا البلاغ، والسلام والإكرام»[1].

٨٦- بعض أغلاط الصوفية ومنشأ غلطاتهم:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ حميد البنكالي في بيان بعض أغلاط الصوفية وبيان منشأ غلطاتهم:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

١ المكتوب التاسع عشر والمائتان ١: ٢٨٧-٢٩١.

اعلم أن أحوال فقراء هذا الجانب وأوضاعهم موجبة لازدياد الشكر يوماً فيوماً ونتوقع ذلك في حق الأحباب النائين.

أيها العزيز: إن مزلة أقدام السالكين في هذا الطريق الذي هو طريق غيب الغيب كثيرة، ينبغي للسالك أن يعيش محافظاً على حبل الشـريعة في الاعتقاديات والعمليات، وهذه نصيحتي في الحضور والغيبة على فرض وقوع الغفلة، وها أنا أكتب بعض أغلاط هذا الطريق، وأعيّن منشأ الغلط، ينبغي ملاحظته بنظر الاعتبار ويعمل فيها وراء الجزئيات المذكورة بمقياسها.

اعلم أن بعضاً من أغلاط الصوفية هو أن السالك يجد نفسه أحياناً في مقامات العروج فوق قوم ثبتت أفضليتهم عليه بإجماع العلماء، ومقامه دون مقامات هؤلاء الأكابر في الحقيقة يقيناً؛ بل ربما يكون هذا الاشتباه بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام الذين هم أفضل الخلائق قطعاً، عياذاً بالله سبحانه من هذا الاشتباه، والفلاح السرمدي في اتباع النبي ﷺ.

وقد وقع لهذا الدرويش من هذه الاشتباهات كثير، ونشأ منها تخيلات كثيرة، وكانت تلك الحالة فيه مدة كثيرة، ومع ذلك كان حفظ الحق سبحانه شامل حاله فلم يطرأ على يقينه السابق مقدار شعرة من التذبذب، ولم يتطرق الفتور إلى الاعتقاد المجمع عليه، لله سبحانه المنة على ذلك وعلى جميع نعمائه.

وما ظهر على خلاف المجمع عليه أسقطه عن حيز الاعتبار، وصرفه إلى محامل حسنة، وعلم بالعلم الإجمالي هذا القدر أن هذه الزيادة المشهودة في الكشف تكون راجعة على تقدير صحته إلى الفضل الجزئي وأن تعارض ذلك وسوسة.

إن مدار الفضل على القرب الإلهي جل سلطانه وهذه الزيادة من ذلك القرب فكيف تكون فضلاً جزئياً، ولكن صارت هذه الوسوسة في جنب اليقين السابق هباءً منثوراً ولم يبق لها اعتبار أصلاً، بل التجأ إليه تعالى بالتوبة والاستغفار والإنابة والانكسار ودعا له سبحانه بالتضرع والابتهال لئلا يظهر له مثل هذه الكشوف، وكيلا ينكشف له ما يخالف معتقدات أهل السنة والجماعة مقدار شعرة.

وقد غلب يوماً خوف المؤاخذة بهذه الكشوف والمسؤولية عن هذه التوهمات وأزالت غلبة هذا الخوف عني القرار، وأورثتني القلق والاضطرار، فصار الالتجاء والتضرع إلى جناب قدس الحق جل سلطانه أضعافاً مضاعفة، وامتدت تلك الحالة إلى مدة مديدة، فاتفق في ذلك الوقت مروري على قبر واحد من الأعزة فاستمددت به واستعنت في هذه المعاملة، فأدركتني في تلك الأثناء عناية الحق جل شأنه وانكشفت حقيقة المعاملة كما ينبغي، وحضرت في ذلك الوقت روحانية خاتم الرسالة عليه وعلى آله الصلاة والسلام الذي هو رحمة للعالمين، فسلّى الخاطر الحزين، وصار معلوماً لي تشريف آن.

نعم إن القرب الالهي موجب للفضل الكلي، ولكن هذا القرب الذي حصل لك قرب ظل من ظلال مراتب الألوهية مخصوص باسم هو ربك، فلا يكون ذلك القرب موجباً للفضل الكلي، وانكشفت صورة هذا المقام المثالية على نهج لم يبق محل للريب فزال التوهم بالكلية.

وقد كتب هذا الدرويش في كتبه ورسائله بعض العلوم التي فيها محل اشتباه وفيها مجال للتأويل والتوجيه، فلما صرت مبشراً بذلك أردت أن أكتب

منشأ أغلاط تلك العلوم على وفق ما لاح لي بمحض فضل الحق جل شأنه وأنشره، فإن الذنب المشتهر لا بد له من اشتهار التوبة لئلا يفهم الناس من تلك العلوم خلاف الشريعة فيقعوا بالتقليد على الضلالة، وكيلا يسلكوا مسلك التضليل والتجهيل بالتعصب والتكلف، فإن أمثال هذه الأزهار تتفتق كثيراً في هذا الطريق الذي هو طريق غيب الغيب، فجماعة تؤديهم إلى الهداية، وطائفة تؤديهم إلى الضلالة.

وقد سمعت والدي الماجد قدس سره يقول: إن منشأ ضلالة أكثر المبتدعين من اثنين وسبعين فرقة وخروجهم عن الصراط المستقيم هو أنهم دخلوا في طريق الصوفية ولم يقفوا على حقيقة الأمر ولم يتموا السلوك فغلطوا وضلوا، والسلام»[1].

٨٧- خصائص الطريقة النقشبندية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى السيد حسين المانبوري في خصائص الطريقة النقشبندية وأفضليتها على سائر الطرق ومدح أهلها وما يناسبه:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين أجمعين.

لعل الأخ الأعز معدن السيادة المير حسين لم ينس النائين المهجورين، وعساه لم يضيع رعاية آداب هذه الطريقة العلية التي هي ممتازة من بين سائر طرق المشايخ الكرام من وجوه، وقد كان مدة ملاقاتكم وفرصة صحبتكم

---

١ اختصار شديد للمكتوب العشرين والمائتين ١: ٢٨٧-٢٩١.

قليلة جداً، فبناء على ذلك أردت أن أحرر بعض خصائص هذه الطريقة العلية وكمالاتها في ضمن علوم عالية ومعارف سامية، وإن كنت أعلم أن إدراك هذا القسم من العلوم والمعارف بالفعل بعيد عن أذهان المستمعين، ولكن إظهار أمثال هذه المعارف مبني على ملاحظة أمرين:

أحدهما: أن في المستمعين استعداداً لهذه العلوم وإن ترى بعيدة عن شأنهم بالفعل.

وثانيهما: أن المخاطب وإن كان واحداً معيناً في الظاهر، ولكن المخاطب في الحقيقة شخص هو مُحَرَّمٌ لهذه المعاملة، «السيفُ للضاربِ» مَثَلٌ مشهور.

أيها الأخ إن رأس سلسلة هذه الطريقة السنية ورئيس أهلها هو الصديق الأكبر الذي هو أفضل جميع بني آدم بعد الأنبياء عليهم السلام على التحقيق، وبهذا الاعتبار وقع في عبارة أكابر هذه الطريقة أنْ نسبتنا فوق جميع النسب، فإن نسبتهم التي هي عبارة عن الحضور والشعور الخاص هي بعينها نسبة الصديق وحضوره الذي فوق جميع الحضور، وفي هذا الطريق اندراج النهاية في البداية، قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره: نحن ندرج النهاية في البداية.

فإن قيل: فبأي اعتبار قيل لتلك التجليات «ذاتية»؟

أجيب: إن التجليات إن كانت بملاحظة معان زائدة يعني على الذات فهي التجليات الصفاتية، وإن كانت بملاحظة معان غير زائدة فهي التجليات الذاتية، ولهذا قيل لمرتبة الوحدة التي هي التعين الأول وليست بزائدة على الذات تجلياً ذاتياً.

ومن جملة خصائص هذه الطريقة العلية السفر في الوطن الذي هو عبارة عن السير الأنفسي، والسير الأنفسي وإن كان ثابتًا في طريق جميع المشايخ ولكنه يتيسر في طريقهم في النهاية بعد قطع السير الآفاقي بخلاف هذا الطريق فإن الابتداء فيه من هذا السير، والسير الآفاقي إنما يقطع في ضمنه، ومنشأ حصول هذا السير في الابتداء هو اندراج النهاية في البداية.

وخاصة أخرى لهذا الطريق: الخلوة[1] في الجلوة التي هي متفرعة على تيسر السفر في الوطن، فيسافر في بيت الخلوة الوطني في عين تفرقة الخلوة، ولا يتطرق تفرقة الآفاق إلى حجرة الأنفس، وهذه الخلوة وإن كانت متيسرة لمنتهى طرق أخر، ولكن لما تيسر في هذا الطريق في الابتداء صارت من خواص هذا الطريق.

وينبغي أن يعلم أن الخلوة في الجلوة إنما هي على تقدير غلق أبواب بيت الخلوة الوطني وسد طاقاته، يعني لا يلتفت في تفرقة الجلوة إلى أحد، ولا

---

١ الخلوة: هي العزلة من النفس وما تدعو إليه ويشغل عن الله عزّ وجل، وقيل: هي ترك اختلاط الناس وإن كان بينهم، وقيل: هي الأنس بالذكر والاشتغال بالفكر، وقيل: هي الخلوة عن جميع الأذكار إلا عن الله عز وجل. انظر: معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحفني، ٩٢. وتعتير الخلوة من المستلزمات الروحية التي يؤديها المريد في الطريق الصوفي، وخلاصة ما تهدف إليه الخلوة عند الصوفية: هو معرفة مدى استعداد المريد لتقبل مقامات وأحوال أخرى. معجم ألفاظ الصوفية، حسن الشرقاوي، ١٣٠.

يكون مخاطبًا فيها ولا متكلماً، لا أنه يغمض عينيه، ويعطل بالتكلف حواسه، فإن ذلك مناف لهذا الطريق»[1].

٨٨- نصائح ومواعظ تتعلق بمقام المشيخة:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا طاهر اللاهوري في بعض النصائح والمواعظ التي تتعلق بمقام المشيخة:

«وينبغي لك أن تجمل نفسك في نظر المريدين، وأن لا تفرط في الاختلاط والمؤانسة بالمسترشدين، فإن ذلك باعث على الاستخفاف المنافي للإفادة والاستفادة، وعليك برعاية حفظ الحدود الشرعية حق رعايتها، وإياك وتجويز العمل بالرخصة مهما أمكن، فإنه مناف لهذه الطريقة العلية ومناقض لدعوى متابعة السنة السنية.

قال واحد من الأعزة: رياء العارفين خيرٌ منْ إخلاص المريدين، فإن رياءهم إنما هو لانجذاب قلوب الطالبين إلى جناب قدس الحق جل سلطانه فيكون أفضل من إخلاص المريدين بالضرورة، وأيضاً إن أعمال العارفين أسباب ووسائط لتقليد الطالبين لهم في إتيان الأعمال، فإن لم يعمل العارفون يبقى الطالبون محرومين من العمل، فصدور الرياء من العارفين إنما هو ليقتدي بهم الطالبون.

وهذا الرياء عين الإخلاص بل أفضل منه لأن نفعه مقصور على صاحبه وذاك متعد، ولا يتوهم المتوهم من ذلك أن أعمال العارفين إنما هي لمحض

---

١ مختصر المكتوب الحادي والعشرين والمائتين ١: ٢٩٢-٢٩٨.

تقليد الطالبين وأنه لا احتياج لهم إلى الأعمال عياذاً بالله سبحانه من ذلك، فإنه عين الإلحاد والزندقة؛ بل العارف والطالب سيان في لزوم إتيان الأعمال لا غنى لأحد عنه، غاية ما في الباب: أن في أعمال العارفين يكون نفع الطالبين الذي مربوطٌ بالتقليد ملحوظاً أيضاً أحياناً، وبهذا الاعتبار يسمونها رياء.

وبالجملة ينبغي التحفظ الكامل والتيقظ الشامل في القول والفعل، فإن أكثر الخلق في هذه الأوان في شوق الطلب فلا يقع أمر يكون منافياً لهذا المقام وباعثاً على طعن الجهال في الأكابر الكرام، وعليك بطلب الاستقامة من الحق سبحانه وتعالى»[1].

٨٩- النصائح المتعلقة بمقام التكميل:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المير محمد نعمان في بعض النصائح المتعلقة بمقام التكميل وتعليم الطريقة وما يناسبه:

«أيها الأخ قد قيل لك مكرراً أن مدار هذا الطريق على أصلين:

الاستقامة على الشريعة على حد لا ينبغي أن يرضى بترك أدنى آدابها، ورسوخ محبة شيخ الطريقة والثبات عليها والإخلاص على نهج لا يبقى مجال الاعتراض عليه أصلاً، بل يكون جميع حركاته وسكناته مستحسنة ومحبوبة في نظر المريد، ونعوذ بالله سبحانه من وقوع خلل في أمر من الأمور المتعلقة بهذين الأصلين، فإن هذين الأصلين إذا كانا على الاستقامة بعناية الله سبحانه فسعادة الدنيا والآخرة نقد الوقت.

---

١ مختصر المكتوب السابع والعشرين والمائتين ١: ٢٩٩-٣٠٠.

وقد قرع سمعكم نصائح أخر ووصايا فينبغي الاحتياط في مراعاتها وتلافي التقصيرات بالتضرع والابتهال، وأن تعتكف في عشر ذي الحجة هذه بنية قضاء اعتكاف العشر الأخير من شهر رمضان على تقدير تركه من الشهر المذكور فبهذه النية تصير عاملاً بالسنة، وينبغي في هذا الاعتكاف الاعتذار إلى الله سبحانه من التقصيرات بالتضرع والانكسار، والفقير أيضاً يكون ممداً لكم في ذلك إن شاء الله تعالى.

وما المقصود من هذه المبالغة والإلحاح كلها في تحرير الإجازة، وقد صدرت لك إجازة تعليم الطريقة؟ فإن لم تكف هي فما نفع تحرير الإجازة؟ ولا يلزم السعي والاجتهاد في تحصيل كلما يقع في الخاطر، وقد يقع أشياء تركها أولى وأنسب، والنفس اللجوجة إذا ولعت بأشياء تريد أن تحصلها وتتمها ولا تلاحظ في حقيتها وبطلانها.

ولقد حررت في حقكم كلمات كثيرة نفعك الله سبحانه بها، ينبغي لك أن تكون في فكر نفسك وتدبير أمرك حتى تذهب بسلامة الإيمان، وماذا تنفع الإجازة والمريدون؟ فإذا جاء طالب صادق حين اشتغالك بشأنك فحينئذ تعلمه الطريقة، لا أنك تجعل تعليم الطريقة أصل الأمر ومقصوداً بالذات، وتجعل معاملتك تابعة له ومقصوداً بالعرض، فإن ذلك ضرر محض وخسران صرف»[١].

---

١ مختصر المكتوب الثاني والعشرين والمائتين ١: ٣٠٦.

٩٠- علوّ الهمة والاجتهاد في الترقي:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ يوسف البركي في علو الهمة وعدم الاكتفاء بكل ما يحصل، والاجتهاد في الترقي وما يناسبه:

«أيها المخدوم! أمثال هذه الأحوال يظهر لمبتدئ هذا الطريق كثيراً في أوائل الإقدام وهم لا يعتبرونها أصلاً بل ينفونها، وأين الوصل، وأين النهاية؟

كيف الوصول إلى سعاد دونـــهـــا   قلل الجبال ودونـــهـــن حتـــوف

والله سبحانه منـزه عن الكيف والمثال، وكل ما هو داخل تحت الرؤية والإدراك والشهود والمكاشفة فهو غيره سبحانه وهو تعالى وراء الوراء، فلا تغتروا أصلاً بجَوْزِ هذا الطريق ومَوْزِهِ مثل الأطفال، ولا تتخيلوا الوصول إلى النهاية، ولا تظهروا الوقائع لشيوخ ناقصين، فإنهم يستكثرون القليل بمقياس وجدانهم ويزعمون البداية نهاية، فلا جرم يقع الطالب المستعد في زعم الكمال، ويتطرق الفتور إلى طلبه، ينبغي للعاقل طلب شيخ كامل، والتماس علاج الأمراض الباطنية منه.

وما لم يلق شيخًا كاملاً ينبغي نفي تلك الأحوال بحرف «لا» وإثبات المعبود بالحق المنـزه عن الكيف والمثال، قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره: كل ما يكون مرئياً أو مسموعاً أو مدركاً فهو غيره تعالى ينبغي نفيه بحقيقة كلمة «لا» فعليك نفي ما يظهر في الأكثر، وهو تعالى وراء الوراء ولا يتخيل في جانب الإثبات غير التكلم بكلمة المستثنى أصلاً، وهذا هو طريق

أكابر هذه الطريقة، والسلام على من اتبع الهدى، والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله أتم الصلوات وأكمل التسليمات»[١].

٩١- حقيقة الدنيا وقبح زخرفاتها الردية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى خان خانان في بيان حقيقة الدنيا وقبح زخرفاتها الردية وعلاج إزالة محبة تلك الدنية:

«جعل الحق سبحانه وتعالى حقيقة الدنيا الدنية وقبح مزخرفاتها ومموهاتها الردية منكشفة في نظر البصيرة، وأجلى حسن الآخرة وجمالها مع طراوة الجنات وأنهارها، ومع زيادة لقاء رب العالمين جل سلطانه فيها بحرمة سيد المرسلين عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها، حتى تحصل النفرة عن هذه القبيحة سريعة الزوال وعدم الرغبة فيها، ويتيسر التوجه بالكلية إلى عالم البقاء الذي هو محل رضاء المولى المتعال، وما لم يظهر قبح هذه الدنية فالخلاص من أثرها محال، وما لم يحصل الخلاص فالفلاح والنجاة الأخروية متعسر.

«حب الدنيا رأس كل خطيئة»[٢] قضية مقررة، وحيث إن المعالجة تكون بالأضداد كان علاج إزالة محبة هذه الدنية منوطاً بالرغبة في أمور الآخرة وإتيان الأعمال الصالحة على وفق أحكام الشريعة الغراء، وقد جعل الحق سبحانه الحياة الدنيا منحصرة في خمسة أشياء بل في أربعة أشياء حيث قال تعالى

---

١ مختصر المكتوب الثلاثين والمائتين ١: ٣٠٨-٣٠٩.

٢ مر الكلام عليه.

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾[الحديد: ٢٠].

فإذا اشتغل الإنسان بالأعمال الصالحة يشرع اللعب واللهو اللذان هما جزآها الأعظمان في النقصان بالضرورة، وإذا حصل الاجتناب والاحتراز عن لبس الحرير واستعمال الذهب والفضة التي هي عمدة في تحصيل الزينة يشرع جزؤها الثاني الذي هو الزينة في الزوال.

ومتى حصل اليقين بأن الفضيلة والكرامة عند الله عز وجل بالورع والتقوى لا بالحسب والنسب يمتنع من التفاخر البتة، وإذا علم أن الأموال والأولاد مانعة عن ذكر الحق سبحانه عائقة عن التوجه إلى جناب قدسه تعالى يختار التقاعد عن التكاثر فيها بالضرورة، ويعد تزايدها من المعايب، وبالجملة﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[الحشر: ٧] لئلا يضركم شيء.

دللتك يا هذا على كنـــز مقـصـــد فإن أنا لم أبلــــغ لعلك تبلـــغ »[1]

٩٢- الترغيب في متابعة السنة السنية ومدح الطريقة النقشبندية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا محمد طالب في الترغيب في متابعة السنة السنية ومدح الطريقة العلية النقشبندية قدس الله أسرارهم السنية:

«ثبتنا الله سبحانه على جادة الشريعة المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام وعلى آله الكرام وأصحابه العظام.

---

١ المكتوب السابع والثلاثون والمائتان ١: ٣٢٥-٣٢٦.

أيها الأخ الأرشد إن أكابر الطريقة العلية النقشبندية قدس الله أسرارهم التزموا متابعة السنة السنية، واختاروا العمل بالعزيمة، فإن تشرفوا بالأحوال والمواجيد مع هذا الالتزام والاختيار يعدونها نعمة عظيمة، وإن أعطوا الأحوال والمواجيد، ووجدوا في هذا الالتزام والاختيار فتوراً لا يقبلون تلك الأحوال ولا يبغون تلك المواجيد ولا يرون في ذلك الفتور شيئاً سوى الخذلان، فإن براهمة الهنود وجوكيتهم وفلاسفة اليونان لهم علوم كثيرة من قسم التجليات الصورية والمكاشفات المثالية، ولكن ليْست لها نتيجة غير الفضيحة والخذلان، وليس لهم من نقد الوقت سوى المقت والحرمان.

وحيث دخل ذلك الأخ بفضل الله سبحانه في سلك إرادة هؤلاء الأكابر، فلا بد من التزام متابعتهم واجتناب مخالفتهم ولو مقدار شعرة حتى تكون منتفعاً ومستفيداً من كمالاتهم، فاللازم أولاً تصحيح العقائد على وفق معتقدات أهل السنة والجماعة كثرهم الله سبحانه، ثم تحصيل علم الفرض والواجب والسنة والمندوب والحلال والحرام والمكروه والمشتبه مما ذكر في علم الفقه والعمل بمقتضى هذه العلوم ثانيًا، ثم تصل النوبة إلى علوم التصوف ثالثاً، وما لم يصح هذان الجناحان فالطيران إلى عالم القدس محال، فإن حصلت الأحوال والمواجيد بدون حصول هذين الجناحين ينبغي أن تعلم أن هلاكك فيها، وأن تتبرأ وتستعيذ منها، هذا هو الأمر والباقي خيالات، ما على الرسول إلا البلاغ.

وقدم أخي الشيخ ميان داود هناك ينبغي اغتنام صحبته والانقياد له فيما ينصح به أو يدل عليه، فإنه كثير الصحبة بمريدي هؤلاء الأكابر وتعلم

طريقتهم وسيرتهم كما ينبغي، وليغتنم الأصحاب الموجودون هناك الداخلون في هذه الطريقة بواسطة المير نعمان صحبة المشار إليه، وليكن اجتماعهم وجلوسهم في حلقة واحدة فانياً كل واحد في الآخر حتى تحصل الجمعية وتترقى المعاملة، وينبغي أيضاً التزام مطالعة المكتوبات فإنها نافعة.

دللتك يا هـــذا على كنز مقصد

والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله أتم الصلوات وأكمل التسليمات»[1].

٩٣- الحث على تكثير الإخوان والتحذير من العجب:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المير محمد نعمان في الحث على تكثير الإخوان، والتحذير عن العجب من أحوال المريدين وبيان ضرره وما يناسبه:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين أجمعين، وصل المكتوب الشريف المرسل صحبة كس خواجه الرحمي وصار موجباً لفرح وافر، وحيث اندرج فيه أحوال مسترشديكم ومريديكم بالتفصيل زاد الفرح، فإن في الإكثار من الإخوان بموجب «أكثروا إخوانكم في الدين»[1] رجاء كثيراً. وقوله تعالى﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[القصص: ٣٥] مؤيد لهذا المعنى أيضاً.

---

١ المكتوب السابع والثلاثون والمائتان ١: ٣٢٥- ٣٢٦.

١ لم أجده.

ولكن ينبغي أن يكون مطمح النظر وموقعه أحوال نفسك وأعمالك، والملحوظ سكونك وحركتك لئلا تكون ترقيات المريدين باعثة على توقف الشيوخ، وحرارة المسترشدين مورثة للبرودة في طلب المرشدين، ولهذا ينبغي أن تكون خائفاً ووجلاً من هذا المعنى، وأن ترى أحوال المريدين ومقاماتهم كالنمر والأسد فضلاً عن المفاخرة والمباهاة بها لئلا يفتح من هذا الطريق أبواب العجب، بل ينبغي أن تكون ترقيات المريدين بحكم «الحياء شعبة من الإيمان»[1] باعثة على الحياء والخجالة والانفعال، وحرارة طلب الطالبين موجبة للغيرة والعبرة وزيادة الاشتغال.

ينبغي أيضاً أن يكون رؤية قصور الأعمال واتهام النيات لازم الوقت، وأن يكون لسان الحال رطباً من كلمة «هل من مزيد»، وإن كان المتوقع من أوضاعكم المحمودة المقبولة أمثال هذه المعاملات، ولكن صدر التأكيد والمبالغة بملاحظة مكيدة أعداء الدين: الأمارة واللعين، فلا تقع البرودة في حرارة التوجه إلى الطالبين لأن المقصود الجمع بين هاتين الدولتين والاقتصار على أحديهما قصور، وينبغي أن يحضر الخواجه الرحمي والسيد أحمد مجلسكم وعليكم أيضاً رعاية التوجه في شأنهما على الوجه الأتم، فإن وفق المير عبد اللطيف أيضاً للتوبة ينبغي أن تمده لتحصل له الاستقامة.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، باب أمور الإيمان ١: ١١، برقم (٩)؛ ومسلم ١٣ باب شعب الإيمان١: ٦٢ برقم(٣٧).

وكتبت أيضاً أن بعض الطالبين يريدون الطريقة القادرية، ينبغي أن لا تعلم أحداً أصلاً طريقة غير الطريقة النقشبندية حتى لا يكون خلط بين الطريقتين، وأما لو طلبوا الكلاه والشجرة فلك أخذ المريد، ولكن مرهم بالصحبة، والسلام عليكم وعلى سائر أصحابكم وأحبابكم وعلى سائر من اتبع الهدى، والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام»[1].

٩٤- بعض أجوبة الاستفسارات:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا أحمد البركي في جواب استفساراته:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وأصحابه الطاهرين أجمعين.

إن الاستخارة مسنونة في جميع الأمور ومباركة، ولكن لا يلزم أن يظهر بعد الاستخارة شيء في المنام أو في الواقعة أو في اليقظة يدل على الفعل والترك، بل ينبغي الرجوع بعد الاستخارة إلى القلب، فإن كان الميل والإقبال إلى الأمر المطلوب أزيد من الأول ففيه دلالة على الفعل، وإن كان مثل ما كان سابقاً بلا زيادة ولا نقصان فلا منع في هذه الصورة أيضاً، وتكرر الاستخارة في هذه الصورة إلى أن تفهم الزيادة في الإقبال، ونهاية تكرار الاستخارة إلى سبع مرات.

---

١ المكتوب الثامن والثلاثون والمائتان ١: ٣٢٦- ٣٢٧.

ومتى فهم النقصان في الإقبال بعد أداء الاستخارة فهو دليل على المنع، ولا بأس في تكرار الاستخارة في هذه الصورة أيضاً، بل التكرار أولى وأنسب في جميع التقادير وأحوط في الإقدام والإحجام»[١].

٩٥- عدم نهاية هذا الطريق وبعض فوائد كلمة لا إله إلا الله:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ يوسف البركي في بيان عدم نهاية هذا الطريق وبعض فوائد كلمة لا إله إلا الله:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وصلت الرسالة المشتملة على أحوالكم الخير فصارت مطالعتها باعثة على المسرة:

وكم في العشق من عجب عجيب

ولكن ينبغي الترقي من الأحوال والوصول إلى محول الأحوال، وهناك كله جهالة ونكارة، فإن تيسر التشرف بعد ذلك بالمعرفة فحبذت الدولة، وبالجملة إن كل ما يدخل تحت الرؤية والخيال فهو قابل للنفي، وإن كان ذلك شهود الوحدة في الكثرة، فإن الكثرة لا تسع تلك الوحدة، والذي يرى فهو شبح تلك الوحدة ومثاله لا هي نفسها، فالمناسب لحالكم في هذا الوقت تكرار كلمة «لا إله إلا الله» على وجه لا تترك شيئاً يدخل تحت العلم والإدراك، وينجر الأمر إلى الحيرة والجهالة وتنتهي المعاملة إلى حد الفناء. وما لم ينجر الأمر إلى الحيرة والجهل لا نصيب من الفناء، وما حسبته فناء فهو معبر عنه

---

١ مختصر المكتوب التاسع والثلاثين والمائتين ١: ٣٢٧- ٣٢٨.

بالعدم لا الفناء، فإذا تيسر الوصول إلى الجهل وحصل الفناء يوضع القدم على هذا الطريق، وأين الوصل؟ وإلى من الاتصال؟

كيف الوصول إلى سعاد ودونهـــا قلل الجبال ودونـــهـن حتـــوف

وأحوالك صحيحة، ولكن التعدي والترقي عنها لازم، والسلام على من اتبع الهدى، وبقية النصح الاستقامة على الشريعة، وتطبيق الأحوال على الأصول الشرعية، فإن ظهر عياذاً بالله سبحانه خلاف الشريعة قولاً وفعلاً ينبغي أن تعتقد أن فيه هلاكك، وهذا هو طريق أرباب الاستقامة، والسلام»[1].

٩٦- الذكر عبارة عن طرد الغفلة:

قال رضي الله عنه مكتوبه إلى الملا بديع الدين في بيان أن الذكر عبارة عن طرد الغفلة، والأنسب في ذكر الذات والنفي والإثبات:

«وبعد الحمد والصلوات وتبليغ الدعوات، ليكن معلوماً لأخي الأعز أن الدرويش كمال بلغ الصحيفة الشريفة فصارت موجبة للفرح، واندرج فيها بيان رؤية القصور واتهام النيات في الأعمال فاتضح، والمسؤول من الله سبحانه مزيد هذه الرؤية، والمطلوب منه تعالى إتمام هذا الاتهام، فإن كلا هذين الأمرين من ملاك الأمور في هذا الطريق.

---

١ المكتوب الأربعون والمائتان ١: ٣٢٨- ٣٢٩.

وسألت أيضاً أن الاشتغال بذكر اسم الذات إلى متى؟ وكم حجب ترفع من المداومة على هذا الاسم؟ ونهاية النفي والإثبات إلى أي حد؟ وماذا يحصل من ثمرات هذه الكلمة؟ وكم حجب ترتفع بها؟

اعلم أن الذكر عبارة عن طرد الغفلة ولما كان الظاهر لا بد له من الغفلة في الابتداء والانتهاء كان الظاهر محتاجاً إلى الذكر في جميع الأوقات بالضرورة، غاية ما في الباب أن الأنفع في بعض الأوقات ذكر اسم الذات، والأنسب في وقت آخر ذكر النفي والإثبات، بقيت معاملة الباطن فهناك أيضاً لا بد من الذكر إلى أن ترتفع الغفلة بالكلية.

والفرق بين المبتدي والمنتهي في لزوم الذكر هو أن هذين الذكرين متعينان في الابتداء، وأما في التوسط والانتهاء فلا؛ بل إذا حصل طرد الغفلة بتلاوة القرآن أو أداء الصلاة جاز الإكتفاء بهما، ولكن تلاوة القرآن مناسبة لحال المتوسطين وأداء صلاة النوافل مناسب لحال المنتهين.

ينبغي أن يعلم أن حضور الحق سبحانه إن كان بملاحظة الأسماء والصفات فهو داخل في الغفلة عند المتوجهين إلى الأحدية المجردة وإن كان ذلك الحضور دائماً، فينبغي طرد هذه الغفلة أيضاً، والسير إلى ما وراء الوراء.

ولا تستقل هجر الحبيب وإن غدا قليلاً ونصف الشعر في العين ضائر

وكتبت ما ظهر من الوقائع، وقد كنت كتبت قبل هذا أن أمثال ذلك مبشرات وما جاء وقت ظهورها بعد فانتظر واشتغل.

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن حتوف

والسلام»[1].

٩٧- الترغيب في الطريقة النقشبندية العلية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا أيوب المحتسب في الترغيب في الطريقة النقشبندية العلية:

«بعد الحمد والصلوات وتبليغ الدعوات ليكن معلوماً لأخي الأعز أنك قد طلبت النصائح دفعات في مكاتيب متعددة، ولكن لم يقدم هذا الحقير على إجابة ذلك المسؤول نظراً إلى قبح أحوال نفسه، وحيث تكرر الطلب أردت أن أكتب بالضرورة فقرات غير مرتبطة.

فاستمع واعلم أن اللازم للإنسان الذي لا بد منه والمكلف به امتثال الأوامر والانتهاء عن المناهي، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] شاهد لهذا المعنى، وحيث كان مأموراً بالإخلاص كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وهو لا يتصور بدون الفناء والمحبة الذاتية.

فلا جرم كان سلوك طريق الصوفية المحصلة للفناء أيضاً ضرورياً لتحقق حقيقة الإخلاص، وحيث كانت طرق التصوف في مراتب الكمال والتكميل متفاوتة كان الأولى والأنسب للاختيار طريقاً يكون ملتزماً لمتابعة السنة وأوفق بإتيان الأحكام الشرعية، وذلك الطريق هو طريق أكابر النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية، فإن هؤلاء الأكابر التزموا في هذا

---

١ المكتوب الثاني والأربعون والمائتان ١: ٣٢٨-٣٢٩.

الطريق السنة، واجتنبوا البدعة بحيث لا يجوزون العمل بالرخصة مهما أمكن وإن وجدوها نافعة في الظاهر والباطن، ولا يتركون العمل بالعزيمة وإن علموا أنها مضرة بالصورة في السيرة، وإنهم جعلوا الأحوال والمواجيد تابعة للأحكام الشرعية، واعتقدوا الأذواق والمعارف خادمة للعلوم الدينية الأصولية والفرعية، لا يستبدلون الجواهر النفيسة الدينية بجوز الوجد وموز الحال مثل الأطفال، ولا يغترون بترهات الصوفية.

ومن ههنا كان حالهم على الدوام ووقتهم على الاستمرار، وتلاشت نقوش السوى في لجة بواطنهم على نهج لو تكلفوا في استحضار السوى ألف سنة لا يتيسر، والتجلي الذاتي الذي هو لغيرهم كالبرق دائمي لهؤلاء الكبراء، والحضور الذي في قفاه غيبة وغفلة ساقط عندهم عن حيز الاعتبار ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] بيان لحالهم.

ومع ذلك كله إن طريقهم أقرب الطرق وموصل البتة، ونهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم، ونسبتهم التي هي منسوبة إلى الصديق رضي الله عنه فوق جميع نسب المشايخ، ولكن لا يدرك فهم كل أحد مذاق هؤلاء الأكابر، بل يكاد القاصرون من هذه الطريقة العلية أيضاً ينكرون على بعض كمالاتهم.

إن عابهم قاصر طعناً بهم سفهاً ... برأت ساحتهم من أفحش الكلم

قال شاعر العرب يعني الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

قال الخواجه أحرار[1] قدس سره: «إن كبراء هذه السلسلة العلية قدس الله أسرارهم لا يقاسون على كل زراق ورقاص فإن معاملتهم عالية جداً.

لســـت أبغي شرحه للخلق بــل   حق أن يخفى كعشـــق في الـــمثل

غيـــر أني صـــفته كـي يرغبـوا   فيه قبل الفوت كيـــلا يحـــزنـوا

فلو حررت دفاتر[2] في بيان خصائص هؤلاء الكبراء وكمالاتهم لكان لها حكم قطرة في جنب بحر لا نهاية له.

دللتك يـــا هذا على كنـز مقصد

والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها»[3].

٩٨- بعض الاستفسارات وأجوبتها:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا صالح في جواب استفساراته:

«بعد الحمد والصلوات وتبليغ الدعوات، ليعلم الأخ أن المكتوب الشريف المرسل صحبة القاصد وصل وصار موجبًا للفرح، وكتبت أن ذكر النفي والإثبات قد بلغ واحداً وعشرين، ولكن لا تحصل المداومة وربما تظهر الغيبة والاستغراق.

---

١ تقدم ذكره.

٢ يعني مجلدات.

٣ المكتوب الثالث والأربعون والمائتان ١: ٣٣٠-٣٣٢.

أيها المحب! الظاهر أن شرطاً من شرائط الذكر مفقود حيث لم تترتب النتيجة عليه نستفسر عنه بالمشافهة إن شاء الله تعالى.

واستفسرت أيضاً عن معنى هذا القول الذي كتبته، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد إتمام أمره: ذكر اللسان لقلقة، وذكر القلب وسوسة، وذكر الروح شرك، وذكر السر كفز.

اعلم أن الذكر لما كان منبئاً عن الذاكر والمذكور أي ذكر كان، والمقصود فناء الذاكر والذكر في المذكور، فلا جرم قال: للذكر لقلقة ووسوسة وشركاً وكفراً.

دع ما يصدك عن وصل الحبيب ومـا   يلهيك عنه قبيحـاً كـان أو حسنـاً

ولكن ينبغي أن يرى عروض هذه الأسامي للذكر قبل حصول الفناء والبقاء، فإن وجود الذاكر وثبوت الذكر له بعد حصول الفناء ليس بمذموم، فإن بقي خفاء في هذا المعنى يستفسر عنه في الحضور، فإنّ حوصلة الكتابة ضيقة، فنسبة هذا القول إلى الصديق خصوصاً بعد إتمام أمره غير مستحسنة.

استفسرت أيضاً عن معنى ما كتبت أن الشيخ أبا سعيد أباالخير طلب من الشيخ أبي علي ابن سينا دليلاً على المقصود، فكتب في جوابه أن ادخل في الكفر الحقيقي، واخرج من الإسلام المجازي، فكتب الشيخ أبو سعيد إلى عين القضاة: أني لو عبدت الله ألف سنة لما حصل منها ما حصل من كلمة أبي علي ابن سينا هذه، فكتب عين القضاة :أن لو فهموا لكانوا مثل ذلك المسكين ملومين مطعوناً فيهم.

ينبغي أن يعلم أن الكفر الحقيقي عبارة عن رفع الاثنينية، واستتار الكثرة بالتمام الذي هو مقام الفناء، وفوق ذلك الكفر الحقيقي مقام الإسلام الحقيقي الذي هو موطن البقاء، وفي الكفر الحقيقي منقصة تامة بالنسبة إلى الإسلام الحقيقي، وعدم دلالة ابن سينا إلى الإسلام الحقيقي من قصور نظره، وفي الحقيقة لم يكن له نصيب من الكفر الحقيقي أيضاً، بل قال ما قال وكتب ما كتب على وجه العلم والتقليد، بل لم يأخذ هو حظّاً وافراً من الإسلام المجازي أيضاً، بل بقي في الخرافات الفلسفية حتى كفّره الإمام الغزالي[1]، والحق أن أصوله الفلسفية منافية للأصول الإسلامية، وأيضاً إن زمان الشيخ أبي سعيد مقدم على زمان عين القضاة بكثير فكيف يكتب إليه؟ فإن بقيت شائبة الاشتباه يستفسر عنه في الحضور، والسلام»[2].

٩٩- الفلاح السرمدي في اتباع النبي ﷺ:

قال رضي الله عنه في بيان أن الفلاح السرمدي في اتباع النبي ﷺ:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، اعلم أن الخلاص الأخروي والفلاح السرمدي منوط بمتابعة سيد الأولين والآخرين عليه وعلى آله أتم الصلوات وأكمل التسليمات، ولذا يوصل بمتابعته إلى مقام المحبوبية

---

١ أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري، حجة الإسلام، ت: ٥٠٥هـ. له تصانيف عديدة من أشهرها: إحياء علوم الدين. انظر: وفيات الأعيان ٤: ٢١٦؛ شذرات الذهب ٤: ١٠-١٣؛ طبقات السبكي ٤: ١٠١.

٢ المكتوب الخامس والأربعون والمائتان ١: ٣٣٢- ٣٣٣.

للحق سبحانه، وبها يتشرف بالتجلي الذاتي، وبها يمتاز بمرتبة العبدية التي هي فوق جميع مراتب الكمال، وحصولها بعد حصول مقام المحبوبية، وبها جعل كُمّل أتباعه مثل أنبياء بني إسرائيل، ويتمنى الأنبياء أولو العزم متابعته، لو كان موسى حياً في زمنه ما وسعه إلا اتباعه[1].

وقصة نزول روح الله ومتابعته حبيب الله معلومة ومشهورة، وصارت أمته بواسطة متابعته خير الأمم وأكثر أهل الجنة، وبسبب متابعته يدخلون الجنة غداً قبل جميع الأمم، ويتنعمون فيها كذا وكذا ثم كذا وكذا، فعليكم بمتابعته والتزام سنته وإتيان شريعته، عليه وعلى جميع إخوانه من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها[2].

١٠٠ - وجدان الذوق والفرح وعدمهما:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الملا أحمد البركي في بيان وجدان الذوق والفرح وعدمهما:

«قد وصلت الصحيفة الشريفة، وكتبت فيها أن الذوق والفرح الذي كنت أجده أولاً لا أجده الآن وأظن ذلك من تنزلي وانحطاطي.

اعلم أيها الأخ أن الحالة الأولى كانت من قبيل حالة أهل الوجد والسماع

---

١ لقوله ﷺ: «لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني». أخرجه أحمد في مسنده ٣٣: ٣٤٩؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٩: ٤٧؛ والبيهقي في الشعب عن جابر رضي الله عنه ٢: ٣٤٧.

٢ المكتوب التاسع والأربعون والمائتان ١: ٣٣٧.

التي للجسد دخل تام فيها، وأما الحالة التي تيسرت الآن فالجسد قليل النصيب منها بل تعلقها بالقلب والروح أزيد، وبيان هذه المعاملة يستدعي تفصيلاً، وبالجملة إن الحالة الثانية فوق الحالة الأولى بمراتب، وعدم وجدان الذوق وفقدان فرصة الفرح فوق وجدان الذوق والفرح، لأن النسبة كلما تنجر إلى الجهالة وتنتهي إلى الحيرة وتتباعد عن الجسد تكون أصيلة وأقرب إلى حصول المطلوب، فإنه لا مجال في ذلك الموطن لغير العجز والجهل، ويعبر عن هذا الجهل بالمعرفة ويسمى هذا العجز «إدراكاً».

وكتبت أيضاً أن تأثير تلك النسبة الذي كان أولاً لم يبق الآن، نعم لم يبق التأثير الجسدي وأما التأثير الروحي فقد زاد وإن لم يدركه كل أحد»[1].

١٠١ - فضائل الخلفاء الراشدين وتعظيم سائر الأصحاب الكرام:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى مولانا الأشرف في بيان فضائل الخلفاء الراشدين خصوصاً الشيخين وتعظيم سائر الأصحاب الكرام عليهم الرضوان والكف عن ذكر مساويهم:

«واعلم أن أصحاب النبي عليه وعليهم الصلاة والسلام كلهم كبراء عظماء ينبغي أن يذكر كلهم بالتعظيم، روى الخطيب عن أنس رضي الله عنه

---

١ مختصر المكتوب الخمسين والمائتين ١ : ٣٣٨.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اختارني واختار لي أصحاباً واختار لي منهم أصهاراً وأنصاراً، فمن حفظني فيهم حفظه الله، ومن آذاني فيهم آذاه الله»[1].

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[2]. وروى ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن شرار أمتي أجرأهم على أصحابي»[3].

وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات ينبغي صرفها وحملها على محامل حسنة، وإبعادهم عن الهوى والتعصب، فإن تلك المخالفات كانت مبنية على الاجتهاد والتأويل، لا على الهوى والهوس، كما أن جمهور أهل السنة على ذلك.

ولكن ينبغي أن يعلم أن مخالفي الإمام علي رضي الله عنه كانوا على الخطأ وكان الحق في جانبه، ولكن لما كان هذا الخطأ خطأً اجتهادياً كان صاحبه بعيداً

---

١ أخرجه الخطيب البغدادي في كتاب التاريخ عن أنس رضي الله عنه؛ وذكره السيوطي في الفتح الكبير ١: ٣٩٧ برقم(٣٢٢٣)؛ والجامع الصغير برقم (٢٤٤٦).

٢ روا ﷺ الطبراني في المعجم الكبير ١٧: ١٤٠، برقم(٣٤٩).

٣ رواه أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها كتاب إثبات الإمامة والرد على الرافضة، ٣٧٤برقم (١٩٧)؛ وكذلك في حلية الأولياء، ٢: ١٨٣؛ والسيوطي، الفتح الكبير، برقم(٣٩٤٣).

عن الملامة ومرفوعاً عنه المؤاخذة كما نقل شارح المواقف[1] عن الآمدي:إن وقعة الجمل والصفين كانت على وجه الاجتهاد.

وصرح الشيخ أبو شكور السالمي في التمهيد أن أهل السنة والجماعة ذاهبون إلى أن معاوية مع طائفة من الصحابة الذين كانوا معه كانوا على الخطأ وكان خطؤهم اجتهادياً، وقال الشيخ ابن حجر[2] في الصواعق: إن منازعة معاوية لعلي رضي الله عنهما كانت على وجه الاجتهاد، وجعل هذا القول من معتقدات أهل السنة.

ما قال شارح المواقف من أن كثيراً من أصحابنا ذهبوا إلى أن تلك المنازعة لم تكن على وجه الاجتهاد فمراده من الأصحاب أي طائفة هو؟ فإن أهل السنة حاكمون بخلاف ذلك كما مر وكتب القوم مشحونة بالقول بالخطأ

---

١ المواقف: كتاب في علم الكلام تأليف: القاضي عبد الرحمن بن أحمد، عضد الدين الإيجي الشيرازي الشافعي، توفي ٧٥٦هـ. وشارح المواقف هو الإمام علي بن محمد الحنفي الشريف الجرجاني، علاّمة بلاد المشرق، ت: ٨٤١هـ. انظر: الضوء اللامع، ٥: ٣٢٨؛ بغية الوعاة، ٢: ١٩٦؛ أبجد العلوم١: ٦، ١١٢، ١٢٤.

٢ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي، مفتي الحجاز، ت: ٩٧٣هـ، له مصنفات عديدة منها: الزواجر عن اقتراف الكبائر، والنخب الجليلة، والصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة وهو الكتاب الذي نُقل عنه في المتن.

الاجتهادي كما صرح به الغزالي والقاضي أبو بكر[١] وغيرهما، فلا يجوز تفسيق مخالفي الإمام علي وتضليلهم.

قال القاضي[٢] في الشفاء: قال مالك رضي الله عنه: «من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص رضي الله عنهم؛ فإن قال :كانوا على ضلال وكفر قتل، وإن سبهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً شديداً، فلا يكون محاربو علي كفرة كما زعمت الغلاة من الرفضة ولا فسقة كما زعم البعض، ونسبه شارح المواقف إلى كثير من أصحابه، كيف وقد كانت الصديقة وطلحة والزبير من الصحابة منهم؟ وقد قتل طلحة والزبير في قتال الجمل مع ثلاثة عشر ألفاً من القتلى قبل خروج معاوية؟ فتضليلهم وتفسيقهم مما لا يجترئ عليه مسلم إلا أن يكون في قلبه مرض وفي باطنه خبث، وما وقع في عبارة بعض الفقهاء من إطلاق لفظ الجور

---

١ القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في المذهب الأشعري، ت: ٤٠٣هـ، من تصانيفه: إعجاز القرآن، الإنصاف، مناقب الأئمة، التمهيد ـ كشف أسرار الباطنية. انظر ترجمته: وفيات الأعيان، ١: ٤٨١؛ تاريخ بغداد، ٥: ٣٧٩، الأعلام، الزركلي، ٦: ١٧٥؛ معجم المؤلفين، ١٠: ١٠٩.

٢ هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، عالم المغرب وأهل الحديث في وقته، ت: ٥٤٤هـ، من أشهر تصانيفه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم. انظر: وفيات الأعيان، ٣٩٢؛ قلائد العقيان، ٢٢٢؛ جذورة الاقتباس، ٢٧٧؛ مفتاح السعادة، ٢: ١٩؛ الأعلام، الزركلي، ٥: ٩٩.

في حق معاوية حيث قال: كان معاوية إماماً جائراً، فمراده بالجور: عدم حقية خلافته في زمن خلافة علي، لا الجور الذي مآله فسق وضلالة، ليكون موافقاً لأقوال أهل السنة والجماعة، ومع ذلك يجتنب أرباب الاستقامة إتيان الألفاظ الموهمة خلاف المقصود.

ولا يجوز الزيادة على القول بالخطأ، كيف يكون جائراً وقد صح أنه كان إماماً عادلاً في حقوق الله سبحانه وحقوق المسلمين كما في «الصواعق» وقد زاد مولانا عبد الرحمن الجامي[1] قدس سره في قوله خطأ منكراً، يعني زاد على ما عليه الجمهور، وكلما زاد على لفظ الخطأ فهو خطأ، وما قال بعده فإن كان هو مستحقاً للعن الخ، فهو أيضاً غير مناسب له أين محل الترديد وأين محل الاشتباه، فإن قال هذا الكلام في حق يزيد فله وجه ومساغ، وأما قوله ذلك في حق معاوية فشنيع.

وقد ورد في الأحاديث النبوية بأسانيد الثقات أن النبي ﷺ دعا لمعاوية «اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب»[2]، وقال في محل آخر من دعائه: «اللهم اجعله هاديًا مهديًا»[1]، ودعاؤه عليه الصلاة والسلام مقبول.

---

١ هو نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي، يتصل نسبه بالإمام محمد الشيباني تلميذ أبي حنيفة، وكان والده نظام الدين أحمد الدشتي من مشاهير العلماء، ت ٨٨٠هـ، ومن تصانيفه: شرح الكافية، والدرر الفاخرة. انظر: رشحات عين الحياة، للهروي، ١٣٤-١٦١؛ الشقائق النعمانية، ١٥٩؛ طبقات المفسرين، للأدرنوي، ٣٥٥.

٢ رواه أحمد في فضائل الصحابة، ٢: ٩١٤، رقم(١٧٤٩)؛ والطبراني في مسند الشاميين، ٢١٩٠، رقم(٣٣٣)؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ٩: ٣٥٦، رقم١٥٩١٠.

والظاهر أن هذا الكلام إنما صدر عن مولانا بطريق السهو والنسيان، وأيضاً إنه لم يصرح باسم أحد في تلك الأبيات، بل قال وصحابي آخر، وهذه العبارة أيضاً تنبئ عن الشناعة، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

وما نقل عن الإمام الشعبي[٢] من ذم معاوية وأنه بالغ في مذمته وأوصلها إلى ما فوق الفسق لم يبلغ مرتبة الثبوت، والإمام الأعظم من تلامذته فعلى تقدير صدق هذا القول لكان هو أحق بنقله، وحكم الإمام مالك الذي هو من تبع التابعين ومعاصره بقتل شاتم معاوية وعمرو بن العاص كما مر آنفاً، فإن كان هو مستحقًا للشتم فلم حكم بقتل شاتمه فعلم أنه اعتقد شتمه من الكبائر فحكم بقتل شاتمه، وأيضاً أنه جعل شتمه كشتم أبي بكر وعمر وعثمان كما مر سابقاً، فلا يكون معاوية مستحقاً للشتم والذم.

أيها الأخ! إن معاوية ليس وحده في هذه المعاملة بل كان نصف الأصحاب الكرام تخميناً شريكاً له فيها، فإن كان محاربو علي كفرة أو فسقة زال الاعتماد عن شطر الدين الذي بلغنا من طريق تبليغهم، ولا يجوّز ذلك إلا زنديق مقصوده إبطال الدين.

---

١ رواه الترمذي ٦: ١٦٩ رقم(٣٨٤٢)؛ والطبراني في الأوسط ١: ٢٥٠ رقم(٦٥٦)؛ وأحمد في مسنده ٢٩: ٤٢٦ رقم (١٧٨٩٥).

٢ عامر بن شرحبيل الشعبي الهمذاني، تابعي سمع من أبي هريرة وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم، وأخذ عنه أبو حنيفة الحديث، ولي قضاء الكوفة، ت: ١٠٤هـ. انظر ترجمته: تاريخ بغداد، ١٢: ٢٢٧؛ تهذيب الكمال، ٩: ٣٤٩؛ سير أعلام النبلاء، ٤: ٢٩٤.

أيها الأخ! إن منشأ إثارة هذه الفتنة هو قتل عثمان رضي الله عنه وطلب القصاص من قتلته فإن طلحة وزبيراً إنما خرجا أولاً من المدينة بسبب تأخير القصاص، ووافقتهم الصديقة في هذا الأمر، فوقعت حرب الجمل التي قتل فيها ثلاثة عشر ألفاً من الصحابة، وقتل فيها طلحة والزبير اللذان هما من العشرة المبشرة، ثم خرج معاوية من الشام وصار شريكاً لهم فوقع حرب الصفين.

صرح الإمام الغزالي أن تلك المنازعة لم تكن لأمر الخلافة بل كانت لاستيفاء القصاص في بدء خلافة علي، وعد ابن حجر هذا القول من معتقدات أهل السنة، وقال الشيخ أبو شكور السالمي الذي هو من أكابر علماء الحنفية: إن منازعة معاوية لعلي كانت في أمر الخلافة فإن النبي ﷺ قال لمعاوية: «إذا ملكت الناس فارفق بهم»[1] فحصل لمعاوية الطمع في الخلافة من هذا الكلام، ولكن كان هو مخطئاً في هذا الاجتهاد، وعلي محقٌّ فيه، فإن الوقت كان وقت خلافة علي.

والتوفيق بين هذين القولين هو أن منشأ المنازعة يمكن أن يكون أولاً تأخير القصاص، ثم بعد ذلك يقع في طمع الخلافة، وعلى كل الاجتهاد واقع في محله فإن مخطئاً فدرجة واحدة من الثواب وللمحق درجتان بل عشر درجات.

---

١ روى الإمام أحمد في مسنده بلفظ: «إن وليت أمراً فاتق الله عز وجل واعدل» . المسند، ٨: ١٢٩، رقم (١٦٩٣٣)؛ والآجري في الشريعة ٥: ٢٤٧٧ رقم (١٩٦٧).

أيها الأخ! إن الطريق الأسلم في هذا الموطن السكوت عن ذكر مشاجرات أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام والإعراض عن ذكر منازعتهم، قال النبي ﷺ:«إياكم وما شجر بين أصحابي»[١]، وقال أيضاً: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[٢]، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً»[٣]: يعني احذروا الله واتقوه في حق أصحابي، ولا تجعلوهم هدفاً لسهم ملامتكم وطعنكم.

قال الإمام الشافعي وهو منقول عن عمر بن عبد العزيز أيضاً: تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلنطهر عنها ألسنتنا، ويفهم من هذه العبارة أنه لا ينبغي إجراء خطئهم على اللسان أيضاً، وأن يذْكُرَهم بغير الخير.

هذا ويزيدُ البعيد عن السعادة من زمرة الفسقة، والتوقف في لعنه إنما هو على الأصل المقرر عند أهل السنة من أنه لا يجوز اللّعن على شخص معين ولو كان كافراً إلا أن يعلم موته على الكفر يقيناً كأبي لهب الجهنمي وامرأته، لا أنه

---

١ أورده ابن الأثير في النهاية.

٢ أمسكوا: يعني إذا ذكروا بغير الجميل. ذكره الهيثمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في مجمع الزوائد، ٧: ٢٢٣ رقم(١١٩٧٣)؛ وذكره عثمان الداني في الرسالة الوافية، ١: ٢٣٧، ٢: ٥٦٩.

٣ رواه الترمذي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه باب فيمن سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ٥: ٦٩٦، رقم (٣٨٦٢)؛ والإمام أحمد في فضائل الصحابة، ١: ٤٧، ٤٨، ٤٩، وفي مسنده، ٣٤: ١٦٩، رقم(٢٠٥٤٩).

غير مستحق للعن،﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

اعلم أن أكثر الناس في هذه الزمان لما اشتغلوا ببحث الإمامة، وجعلوا التكلم في الخلافة ومنازعات الصحابة عليهم الرضوان نصب العين دائماً، وصاروا لا يذكرون الأصحاب الكرام بالخير تقليد الجهلة الرفضة ومردة أهل البدعة، وينسبون إلى جنابهم أموراً غير مناسبة، كتبت نبذة مما كان معلوماً لي بالضرورة وأرسلتها إلى الأحباب، قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «إذا ظهر الفتن- أو قال البدع- وسُبّت أصحابي فليظْهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله له صرفاً ولا عدلاً»[1].

ولكن لله سبحانه الحمد والمنة أن سلطان الوقت يعد نفسه حنفي المذهب ومن أهل السنة والجماعة، وإلا فقد كان الأمر ضيقاً على المسلمين جداً، فينبغي أداء شكر هذه النعمة العظمى كما ينبغي، وأن يجعل مدار الاعتقاد على معتقدات أهل السنة والجماعة، وأن لا يصغى إلى أقوال زيد وعمرو، فإن جَعْلَ مدار الأمر على الخرافات الكاذبة تضييعُ الإنسان نفسه، وتقليد الفرقة الناجية ضروري حتى يحصل رجاء النجاة وبدونه خرط القتاد، والسلام عليكم وعلى سائر من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام»[2].

---

١ ذكره ابن حجر المكي في الصواعق معزواً إلى جامع الخطيب البغدادي.

٢ مختصر المكتوب الحادي والخمسين والمائتين ١: ٣٣٩-٣٤٦.

١٠٢ - مقامات الطريق ومنازله:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى الشيخ إدريس الساماني في بيان جواب الأسئلة وتفصيل بعض مقامات الطريق ومنازله على طريق الرمز والإجمال:

«بيان الأحوال والمواجيد التي أُحيلت على مولانا عبد المؤمن واستُفسِرت عنها، بيَّنها مولانا كلها بالتفصيل وقال إنه يقول: «إذا نظرت إلى جانب الأرض لا أجد الأرض، وإذا رميت نظري إلى جانب السماء لا أجدها أيضاً، وإذا أتيت شخصاً لا أجد له وجوداً أيضاً، وكذلك لا أجد للعرش والكرسي والجنة والنار أيضاً وجوداً، ولا أرى لنفسي أيضاً وجوداً، ووجود الحق سبحانه غير متناه لم يجد أحد له نهاية ».

وتكلّم الأكابر أيضاً إلى هذا المقام فقط، ومتى وصلوا إليه عجزوا عن السير ولم يقدروا على الزيادة على ذلك، فإن كان هذا كمالاً عندكم أيضاً وكنتم في هذا المقام فلأي شيء أحضر عندكم؟ ولماذا أتعب وأتعب؟ وإن كان وراء هذا الكمال أمر آخر فأطلعوني عليه حتى أذهب إلى ديار يكثر فيها ألم الطلب، وكان سبب التوقف من المصير إليكم منذ سنين حصول هذا التردد.

أيها المخدوم! إن هذه الأحوالَ وأمثالها من تلوينات القلب، ويكون مشهوداً أن صاحب هذه الأحوال لم يطو بعد من مقامات القلب أزيد من الربع فيلزمه طي ثلاثة أرباع أخرى منها حتى يطوي معاملة القلب بالتمام، وبعد القلب روح، وبعد الروح سر، وبعد السر خفي، وبعد الخفي أخفى.

ولكل واحدة من هذه اللطائف الأربع الباقية أحوال ومواجيد على حدة، ويلزم طي كل واحدة منها منفردة ومنفردة والتحلي بكمالات كل منها،

وبعد مجاوزة هذه الخمسة الأمرية وطي أصولها مرتبة بعد مرتبة وقطع مدارج ظلال الأسماء والصفات التي هي أصول تلك الأصول درجة بعد درجة تجليات الأسماء والصفات وظهورات الشؤون والاعتبارات.

وبعد هذه التجليات تجليات الذات تعالت وتقدست فتقع المعاملة حينئذ على اطمئنان النفس ويتيسر حصول رضا الحق جل وعلا، والكمالات التي تحصل في هذه المواطن حكم الكمالات السابقة في جنبها كحكم القطرة في جنب البحر المحيط الذي لا قعر له، وهنا يتيسر شرح الصدر ويتصف بالإسلام الحقيقي.

هـــــذا هو الأمر والباقي خيالات

وما يتوهم أنه من تجليات الأسماء والصفات قبل قطع منازل هذه الخمسة الأمرية مع الأصول وأصول الأصول فهو ظهورات بعض خواص عالم الأمر وله نصيب من اللامثلي واللاكيفي ومن اللامكاني وليس بتجليات الأسماء والصفات، قال واحد من السالكين في هذا المقام: عبدت الروح ثلاثين سنة على ظن أنها الحق سبحانه و تعالى! فأين الوصول وإلى مَنْ السير؟!

كيـف الوصول إلى سعاد ودونهـــا   قلل الجبال ودونهـــــن حتـــوف

ولما طلبتم الكشف عن حقيقة هذا الطريق على وجه الالتفات كتبت نبذة منه على وجه الإجمال، والأمر عند الله سبحانه، والسلام عليكم وعلى من لديكم»[1].

---

١ مختصر المكتوب الثالث والخمسين والمائتين ١: ٣٤٧-٣٤٨.

١٠٣ - بيان الطرق:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المير نعمان في بيان الطرق على طريق الإجمال:

«أيها السيد إن الطريق الذي اخترناه نحن ابتداء مسيره من القلب الذي هو من عالم الأمر، وبعد القلب يقع السير في مراتب الروح التي فوقه، وبعد الروح تكون هذه المعاملة بالسر الذي فوقها، وهكذا الحال في الخفي والأخفى، وبعد طي منازل هذه اللطائف الخمس وحصول العلوم المتعلقة بكل منها على حدة وحصول المعارف كذلك وبعد تحقق الأحوال والمواجيد المخصوصة بكل واحد من هذه الخمس منفردةً منفردة يقع السير في أصول هذه الخمس التي هي في العالم الكبير، فإن كل ما هو في العالم الصغير أصله في العالم الكبير، والمراد بالعالم الصغير الإنسان وبالعالم الكبير سائر الكائنات.

وشروع السير في أصول هذه الخمس من العرش المجيد الذي هو أصل قلب الإنسان، وفوقه أصل الروح الإنسانية، وفوقه أصل السر، وفوقه أصل الخفي، وفوقه أصل الأخفى، فإذا طوى سير هذه الأصول الخمسة من العالم الكبير بالتفصيل وانتهى إلى نقطة أخيرة فقد أتم سير دائرة الإمكان ووضع القدم على أول منـزل من منازل الفناء، فإن وقع الترقي بعد ذلك يكون السير في ظلال الأسماء والصفات الإلهية جل سلطانه.

وهذه الظلال كالبرازخ بين الواجب والإمكان وأصول لتلك الأصول الخمسة التي في العالم الكبير، ويكون السير في هذه الظلال أيضاً على الترتيب المذكور في فروعها، فإن طوى بفضل الله سبحانه المنازل المتكثرة من هذه

الظلال وانتهى إلى نقطتها الأخيرة يكون شروعٌ في أسماء الواجب وصفاته جل سلطانه، وتقع تجليات الأسماء والصفات وظهورات الشؤون والاعتبارات، فعند ذلك يكون قد أتم معاملة اللطائف الخمس الأمرية وأدى حقها، فإن وقع الترقي بفضل الله سبحانه بعد ذلك من هذا المقام تقع المعاملة على اطمئنان النفس ويتيسر حصول مقام الرضا الذي هو نهاية مقامات السلوك، ويحصل في هذا المقام شرح الصدر ويتشرف فيه بالإسلام الحقيقي.

والكمالات التي تحصل في هذا الموطن، حكم الكمالات المتعلقة بعالم الأمر في جنبها كحكم القطرة في جنب البحر المحيط، وكل هذه الكمالات المذكورة متعلقة باسم الظاهر، والكمالات المتعلقة باسم الباطن هي غيرها، ولها مناسبة بالاستتار والتبطن، فإذا حصلت كمالات هذين الاسمين المباركين بتمامها يتيسر للسالك جناحان للطيران ليطير بقوتهما إلى عالم القدس وتحصل له ترقيات خارجة عن القياس»[1].

١٠٤ - فوائد إرسال الرسل وعدم استقلال العقل في معرفته تعالى:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى المخدوم زاده الخواجه محمد سعيد قدس سره في بيان فوائد إرسال الرسل وعدم استقلال العقل في معرفته تعالى، وبيان الحكم الخاص فيمن نشأ في شاهق الجبل ومشركي زمن الفترة[2] وأطفال

---

١ مختصر المكتوب السابع والخمسين والمائتين ١: ٣٥٣-٣٥٤.

٢ أهل الفترة: هم الذين عاشوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

مشركي دار الحرب، وتحقيق بعثة الأنبياء في أرض الهند من الهند سابقاً وما يناسبه:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[الأعراف:٤٣] وبأي لسان يؤدى شكر نعمة إرسال الرسل عليهم الصلوات والتسليمات؟ وبأي قلب يعتقد المنعم بها؟ وأين للجوارح أن تكافئها بالأعمال الحسنة؟ فلولا هؤلاء الكبراء من كان يدل أمثالنا القاصرين على وجود الصانع ووحدته جل سلطانه، ولم يهتد قدماء فلاسفة اليونان إلى وجود الصانع جل شأنه مع وجود الذّكاوَة فيهم حتى نسبوا إيجاد الكائنات إلى الدهر، ولما سطع أنوار دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يوماً فيوماً رد متأخروهم ببركة تلك الأنوار مذهب قدمائهم، وقالوا بوجود الصانع جل شأنه، وأثبتوا وحدانيته تعالى، فعقولنا بمعزل عن إدراك هذا المطلب العالي بلا تأييد من أنوار النبوة، وأفهامنا بعيدة عن الوصول إلى هذه المعاملة بدون وساطة وجود الأنبياء، عليهم الصلوات والتحيات.

يا ليت شعري ماذا أراد أصحابنا الماتريدية من قولهم باستقلال العقل في بعض الأمور كإثبات وجود الصانع تعالى ووحدانيته سبحانه، فكلفوا من نشأ في شاهق الجبل وعبد الصنم بهما وإن لم تبلغه دعوة الرسول، وحكموا بترك النظر فيهما بكفره وخلوده في النار[١]!

---

١ انظر أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، ٢٨؛ الطبقات السنية في تراجم الحنفية،١٥٤:١.

ونحن لا نفهم الحكم بالكفر والخلود في النار إلا بعد البلاغ المبين والحجة البالغة المنوطة بإرسال الرسل، نعم العقل حجة من حجج الله تعالى، ولكنه ليس بحجة بالغة في المحجة حتى يترتب عليه أشد العذاب.

فإن قلت: فإن لم يكن من نشأ في شاهق الجبل وعبد الصنم مخلداً في النار يكون في الجنة بالضرورة وذا غير جائز، فإن دخول المشركين الجنة حرام ومأواهم النار، قال الله تعالى حاكياً عن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[المائدة: ٧٢]، والواسطة بين الجنة والنار غير ثابتة، وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بعد مدة، فالخلود إما في الجنة وإما في النار.

قلتُ: إن هذا السؤال مستصعب جداً وولدي الأرشد يعرف أنه كرر هذا السؤال إلى هذا الفقير من مدة كثيرة ولم يجد له جواباً شافياً، وما قال صاحب «الفتوحات المكية» في حل هذا السؤال من إثبات بعثة نبي يوم القيامة لأجل دعوة هؤلاء القوم والحكم بدخول الجنة والنار على حسب إنكارهم وإقرارهم غيرُ مستحسن عند هذا الفقير، لأن الآخرة دار الجزاء لا دار التكليف حتى يبعث فيها نبي.

وبعد مدة مديدة كانت عناية الحق جل سلطانه دليلاً وهادياً وانحل هذا المُعَمَّى وكشف أن تلك الجماعة لا يخلدون لا في الجنة ولا في النار بل يعذبون ويعاقبون بعد البعث والإحياء في الآخرة على قدر جريمتهم في مقام الحساب، وتستوفى منهم الحقوق ثم يجعلون بعد ذلك معدوماً مطلقاً ولا شيئاً محضاً مثل حيوانات غير مكلفة فلمن يكون الخلود؟ ومن يكون مكلفاً؟ ولما عرضت

هذه المعرفة الغريبة في محضر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صدقها جميعهم وقبلوها، والعلم عند الله سبحانه وتعالى.

والحكم بإخلاد الحق سبحانه وتعالى عبده في النار وتأبيد عذابه بمجرد العقل الذي مجال الخطأ والغلط كثيرفيه جداً من غير بلاغ بيّن بوساطة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع كمال رأفته ورحمته تعالى يثقل على هذا الفقير جداً، كما يثقل الحكم بالخلود في الجنة مع وجود الشرك كما يلزم ذلك على مذهب الأشعري لعدم القول بالواسطة بين الجنة والنار.

فالحق ما ألهمت به من إعدامه بعد استيفاء محاسبة يوم الحشر كما مرّ، وهذا هو حكم أطفال مشركي دار الحرب عند الفقير أيضاً، فإن دخول الجنة منوط بالإيمان إما بالأصالة وإما بالتبعية، وإن كانت تبعية دار الإسلام كما هو في أطفال أهل الذمة والإيمان مفقود في حقهم مطلقاً فلا يتصور دخولهم الجنة، ودخول النار والخلود فيها مربوط بالشرك بعد ثبوت التكليف وهذا أيضاً مفقود في حقهم، فحكمهم حكم البهائم من الإعدام بعد البعث والنشور للحساب واستيفاء الحقوق، وهذا هو الحكم أيضاً في مشركي زمن فترة الرسل الذين لم تبلغهم دعوة نبي من الأنبياء.

أيها الولد! إن هذا الفقير كلما يلاحظ ويجيل النظر لا يجد محلاً لم تبلغه دعوة نبينا عليه وعلى آله الصلاة والسلام، بل يكون محسوساً أن نور دعوته ﷺ بلغ كل محل مثل نور الشمس حتى يأجوج ومأجوج الذين حال بينهم السد.

وإن أُلاحظ في الأمم السابقة لا أجد بقعة لم يبعث فيها نبي حتى في أرض الهند التي ترى بعيدة عن هذه المعاملة، أجد أنبياء كانوا مبعوثين من أهل

الهند ودعوا إلى الحق جل شأنه، ويشاهد في بعض بلاد الهند أنوار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في ظلمات الشرك كالمشاعل المسرجة، فإن شئت عينت تلك البلاد، وأرى نبياً لم يصدقه أحد ولم يقبل دعوته، ونبياً آخر آمن به شخص، وآخر صدقه شخصان، وصدق البعضَ ثلاثة، ولا يقع النظر على أزيد من ثلاثة آمنوا بنبي في الهند، ولا أرى نبياً آمن به واتبعه أربعة.

وما كتبه رؤساء كفرة الهنود من وجود الواجب وصفاته ومن تنـزيهاته وتقديساته كل ذلك مقتبس من أنوار مشكاة النبوة، لأنه مضى في كل عصر من الأمم السابقة نبي من الأنبياء وأخبروا عن وجود الواجب وصفاته الثبوتية ومن تنـزيهاته وتقديساته سبحانه وتعالى، فلولا وجود هؤلاء الكبراء كيف كان هؤلاء المخذولون بعقولهم القاصرة العمياء المتلوثة بظلمات الكفر والمعاصي مهتدين إلى هذه الدولة، وعقول هؤلاء المخذولين الناقصة حاكمة في حد ذاتها بألوهيتهم ولا يثبتون إلها سواهم، كما قال فرعون مصر: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾[القصص: ٣٨]، وقال أيضاً﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

ولما علموا بإخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن للعالم صانعاً واجب الوجود اطلع بعض هؤلاء المخذولين على قبح ادعائه وأثبت الصانع الواجب الوجود بالتقليد والتستر، وزعم أنه سار فيه ومتحد به ودعا الخلق إلى عبادته بهذه الحيلة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ولا يعترض القاصر هنا أنه لو بعث الأنبياء في أرض الهند لبلغنا خبر بعثتهم البتة بل كان ينقل ذلك الخبر بالتواتر لتوفر الدواعي وليس فليس، لأنا

نقول: إن دعوة هؤلاء الأنبياء لم تكن عامة بل كانت دعوة بعضهم مخصوصة بقوم ودعوة بعضهم بقرية أو ببلدة، ويمكن أن يشرف الله سبحانه شخصاً في قوم أو قرية بهذه الدولة فيدعوهم إلى معرفة الصانع ويمنعهم عن عبادة غيره تعالى فيكذبونه وينسبونه إلى الجهالة والضلالة، فإذا انتهى إنكارهم وتكذيبهم إياهم إلى نهايته وغايته يهلكهم الله جل وعلا غَيرةً لنبيه، وكذلك يمكن أن يبعث نبي آخر بعد مدة إلى قوم أو قرية فيعاملهم كما عامل الأول قومه فيفعل بهم كما فعل بأوائلهم، وهكذا إلى ما شاء الله تعالى، وآثار هلاك القرى والبلاد كثيرة في أرض الهند، وهؤلاء القوم وإن هلكوا ولكن كلمة تلك الدعوة باقية فيما بين أقرانهم ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف: ٢٨].

وخبر نبوة الأنبياء المبعوثة إنما يبلغنا إذا صدقهم جمع كثير وقوي أمره، وأما إذا جاء شخص ودعا أياماً فمضى ولم يقبل دعوته أحد ثم جاء آخر وفعل مثل ما فعل الأول فصدقه شخص واحد وصدق الآخر اثنان أو ثلاثة فمن أين ينتشر الخبر؟! وكان الكفار كلهم في مقام الإنكار وكانوا يردون على من كان يخالف دين آبائهم، فمن يكون الناقل وإلى من ينقل؟! وأيضاً إن ألفاظ الرسالة والنبوة و«پيغمبر» من لغات العرب والفارس بواسطة اتحاد دعوة نبينا عليه الصلاة والسلام وعمومها، ولم تكن هذه الألفاظ في لغة الهند حتى يقال للأنبياء المبعوثين من الهند رسولٌ أو نبيٌ أو «پيغمبر» أو يذكرون بهذه الأسامي، وأيضاً نقول في جواب هذا السؤال بطريق المعارضة: إنه لو لم تبعث الأنبياء في الهند ولم يدعوهم بلسانهم لكان حكم هؤلاء القوم حكم من نشأ في شاهق الجبل، فلا يدخلون النار مع وجود التمرد ودعوى الألوهية، ولا يكون

لهم العذاب المخلد، وهذا مما لا يرتضيه العقل السليم ولا يساعده الكشف الصحيح، فإنا نشاهد بعض مردتهم[1] في وسط الجحيم، والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال»[2].

١٠٥- بعض المسائل الكلامية والفقهية:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى ابني شيخه الخواجه عبد الله والخواجه عبيد الله في بيان بعض المسائل الكلامية والفقهية، ومدح الطريقة النقشبندية، والمنع من سماع الغناء وحضور مجلس الرقص:

«ولا بد بعد تصحيح العقائد من تعلم أحكام الفقه، ولا مندوحة من تعلم علم الفرض والواجب والحلال والحرام والسنة والمندوب والمشتبه والمكروه، والعمل بمقتضى هذا العلم أيضاً ضروري، ينبغي أن يعد مطالعة كتب الفقه من الضروريات، وأن يراعيَ السعي البليغ في إتيان الأعمال الصالحة.

ولنورد هنا شمة من فضائل الصلاة وأركانها فإنها عماد الدين فينبغي استماعها، لا بد أولاً من إسباغ الوضوء ومن غسل كل عضو ثلاثاً ثلاثاً على وجه التمام والكمال ليكون مؤدىً على وجه السنة، وينبغي الاستيعاب في مسح

---

١ جمع مارد.

٢ مختصر المكتوب التاسع والخمسين والمائتين ١: ٣٥٥- ٣٥٨.

الرأس والاحتياط في مسح الأذنين والرقبة، granted وورد تخليل[1] أصابع الرجل بخنصر يد اليسرى من الأسفل فينبغي مراعاته أيضاً، ولا ينبغي المساهلة في إتيان المستحب فإنه محبوب الحق سبحانه ومرضيه تعالى، فإن عُلم في جميع الدنيا فعل واحد مرضي ومحبوب عند الحق جل سلطانه وتيسر العمل بمقتضاه فينبغي أن يغتنمه، وحكمه كحكم جواهر نفيسة اشتراها شخص بقطعات خزف، أو روحٍ نالها ببذل جمادٍ لا طائل فيه.

وبعد الطُّهور الكامل وإسباغ الوضوء ينبغي قصد الصلاة التي هي معراج المؤمن وينبغي الاهتمام في أداء الفرض مع الجماعة، بل ينبغي أن لا يترك التكبيرة مع الإمام، وينبغي أيضاً أداء الصلاة في الوقت المستحب ومراعاة القدر المسنون في القراءة، ولا بد من الطمأنينة في الركوع والسجود، فإنها إما فرض أو واجب على القول المختار[2]..

وينبغي أن يستوي قائماً على الكمال في القومة على نهج يرجع كل عضو إلى محله ويستقر في مقره، والطمأنينة لازمة أيضاً بعد الاستواء قائماً، فإنها هنا

---

١ خَلَّل بين الشيئين: فرّج بينهما، وخَلَّل اللحية والأصابع: أسال الماء بينهما. انظر: المعجم الوسيط ١: ٢٥٣؛ المصباح المنير،١١. روى ابن ماجه في سننه عن المستورد بن شدّاد قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فخلل أصابع رجليه بخنصره» سنن ابن ماجه، ١: ٤١٩ حديث (٢١٤)، وفي رواية الترمذي: «يدلك أصابع رجليه بخنصره». أخرجه الترمذي ١: ٥٧؛ وأبو داود حديث (١٤٨).

٢ انظر: المسألة في: بدائع الصنائع، ١: ١١٩؛ الهداية شرح البداية ١: ٥١؛ المحيط البرهاني ١: ٣٣٧؛ البحر الرائق ١: ٣١٧.

إما فرض أو واجب أو سنة على اختلاف الأقوال، وهكذا في الجلسة التي هي بين السجدتين يلزم فيها الطمانينة بعد الاستقرار كما في القومة.

وأقل تسبيحات الركوع والسجود ثلاث مرات، وأكثرها إلى سبع مرات أو أحد عشر مرة على اختلاف الأقوال، وتسبيح الإمام ينبغي أن يكون على قدر حال المقتدين، وينبغي أن يستحي الإنسان من اقتصار التسبيحات على أقل مرتبتها في حال الانفراد ووقت قوة الاستطاعة بل يقول خمساً أو سبعاً.

ووقت قصد السجدة يضع على الأرض أولاً ما هو أقرب إلى الأرض فيضع أولاً ركبتيه ثم يديه ثم أنفه ثم جبهته وينبغي الابتداء من اليمين وقت وضع يديه وركبتيه، وحين يرفع رأسه من السجدة ينبغي أن يرفع أولاً ما هو أقرب إلى السماء فينبغي الابتداء برفع الجبين.

وينبغي أن ينظر في القيام إلى موضع سجوده، وفي الركوع إلى ظهر قدميه، وفي السجود إلى رأس أنفه، وفي القعود إلى يديه، فإنه إذا نصب البصر على المواضع المذكورة ومنع النظر من التفرقة تتيسر الصلاة بالجمعية ويحصل فيها الخشوع كما هو المنقول عن النبي ﷺ.

وكذلك تفريج الأصابع في الركوع وضمها في السجود سنة فينبغي مراعاتها، وتفريج الأصابع وضمها ليسا بلا فائدة بل فيهما فوائد كثيرة، أمر الشارع بإتيانهما بملاحظة تلك الفوائد، وليس لنا فائدة أصلاً تساوي متابعة صاحب الشريعة عليه وعلى آله الصلاة والتحية.

وكل هذه الأحكام مذكورة في كتب الفقه بالتفصيل والإيضاح، والمقصود هنا الترغيب في الأعمال بمقتضى علم الفقه، وفقنا الله سبحانه وإياكم للأعمال الصالحة الموافقة للعلوم الشرعية بعد أن وفقنا لتصحيح العقائد اليقينية بحرمة سيد المرسلين عليه وعليهم وعلى آل كل من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها، فإن وجدتم في أنفسكم شوقاً إلى فضائل الصلاة والاطلاع على كمالاتها المخصوصة بها ينبغي المراجعة إلى ثلاثة مكاتيب المتصل بعضها ببعض ومطالعتها: الأول مكتوب باسم ولدي محمد صادق، والثاني باسم المير محمد نعمان، والثالث باسم الشيخ تاج الدين.

وبعد تحصيل جناحي الاعتقاد والعمل إذا كان توفيق الحق رفيقاً ودليلاً ينبغي سلوك طريقة الصوفية العلية، لا لغرض تحصيل شيء زائد على ذلك الاعتقاد والعمل ونيل أمر جديد سواهما فإن ذلك من طول الأمل المفضي إلى الزلل، بل المقصود منها حصول اليقين والاطمئنان في المعتقدات بحيث لا تزول بتشكيك مشكك ولا تبطل بإيراد شبهة، فإن قدم الاستدلال لا ثبات لها ولا قرار كخزف معمول من طين، والمستدل ليس له تمكين.

وحصول اليسر والسهولة في إتيان الأعمال وزوال الكسالة والعناد والتعنت الناشئة من النفس الأمارة.

وليس المقصود من سلوك طريق الصوفية أيضاً مشاهدة الصور والأشكال الغيبية ومعاينة الألوان والأنوار اللاكيفية فإن ذلك داخل في اللهو واللعب، وأي نقصان في الأنوار والصور الحسيتين حتى يتركها شخص ويتمنى الصور والأنوار الغيبيتين بارتكاب الرياضات والمجاهدات؟! فإن

هذه الصور والأنوار وتلك الصور والألوان كلها مخلوقة الحق جل وعلا ومن الآيات الدالة على وجوده تعالى.

واختيار الطريقة النقشبندية من بين سائر طرق الصوفية أولى وأنسب لأن هؤلاء الأكابر قد التزموا متابعة السنة السنية واجتناب البدعة الشنيعة، ولهذا تراهم يفرحون ويستبشرون إذا كان فيهم دولة المتابعة وإن لم يكن لهم شيء من الأحوال، ومتى أحسوا فتوراً في المتابعة مع وجود الأحوال لا يقبلون تلك الأحوال ولا يبغونها، ومن ههنا لم يجوزوا الرقص والسماع ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليه باتفاق منهم وإجماع، بل اعتقدوا ذكر الجهر بدعةً ومنعوا أصحابهم عنه ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه.

كنت يوماً في مجلس الطعام مع حضرة شيخنا فقال الشيخ كمال الذي هو من مخلصي حضرة شيخنا: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» جهراً حين شرع في الأكل فلم يناسب ذلك منه لحضرة شيخنا حتى قال بالزجر البليغ: «امنعوه لا يحضر مجلس طعامنا».

وسمعت حضرة شيخنا يقول إن الخواجه النقشبند[1] قدس سره جمع علماء بخارى وجاء بهم إلى خانقاه شيخه الأمير كلال ليمنعوهم من ذكر الجهر فقال العلماء للأمير: إن ذكر الجهر بدعة فلا تفعلوه. فقال في جوابهم: لا أفعل.

---

١ أي: الخواجة بهاء الحق والدين محمد بهاء الدين النقشبندي، ت: ٧١٩هـ. تقدمت ترجمته.

فإذا صدر من أكابر هذه الطريقة مثل هذه المبالغة في المنع عن ذكر الجهر فماذا نقول في السماع والرقص والوجد والتواجد والأحوال والمواجيد التي تترتب على أسباب غير مشروعة؟! فهي من قبيل الاستدراجات عند الفقير، فإن الأحوال والأذواق قد تحصل لأهل الاستدراج أيضاً ويظهر لهم في مرايا صور العالم كشف التوحيد والمكاشفة والمعاينة وفلاسفة اليونان وجوكية الهنود وبراهمتهم[1] شركاء في تلك الأمور، وعلامة صدق الأحوال موافقتها للعلوم الشرعية مع الاجتناب من ارتكاب الأمور المحرمة والمشتبهة.

واعلم أن الرقص والسماع داخل في الحقيقة في اللهو واللعب، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾[لقمان: ٦] ، نازل في شأن المنع عن الغناء، كما قال مجاهد الذي هو تلميذ ابن عباس ومن كبار التابعين[2] أن

---

١ البراهمة: قبيلة بالهند، ويقولون أنهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم، ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة، يتقلدونها تقلد السيوف، وهم أنكروا النبوات وتفرقوا أصنافاً، منهم أصحاب التناسخ، وأصحاب الفكرة، ومن عقائدهم أن الجزاء -ثواباً وعقاباً- يقع في هذه الدنيا فقط، فلا قيامة ولا بعث ولا نشور. انظر: الملل والنحل ٢: ٢٥٨؛ الفصل، لابن حزم ١: ٦٩؛ الفرق بين الفرق، ٢٥٤- ٢٥٥؛ أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي،٦١-٦٩ (ط٤).

٢ هو الإمام مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود، شيخ القرّاء والمفسرين، روى عن ابن عباس ب فأكثر عنه، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، وعن أبي هريرة وعائشة وابن عمر وسعد بن أبي الوقاص وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم. انظر: طبقات ابن سعد

المراد بلهو الحديث: الغناء. في «المدارك» لهو الحديث: السمر والغناء، وكان ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يحلفان أنه الغناء، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾[الفرقان: ٧٢] أي لا يحضرون الغناء.

وحكي عن إمام الهدى أبي منصور الماتريدي: من قال لمقرئي زماننا:أحسنت، عند قراءته يكفر، وبانت منه امرأته وأحبط الله كل حسناته.

وحكي عن أبي نصر الدبوسي[١] عن القاضي ظهير الدين الخوارزمي[٢]: «من سمع الغناء من المغني وغيره أو يرى فعلاً من الحرام فيحسن ذلك باعتقاد أو بغير اعتقاد يصير مرتداً في الحال بناء على أنه أبطل حكم الشريعة، ومن أبطل حكم الشريعة فلا يكون مؤمناً عند كل مجتهد، ولا يقبل الله طاعته، وأحبط الله كل حسناته، أعاذنا الله سبحانه من ذلك».

٥: ٤٦٦؛ طبقات خليفة٢٥٣؛ تاريخ البخاري ٧: ٤١١؛ المعرفة والتاريخ ١: ٧١١؛ طبقات الفقهاء، الشيرازي، ٦٩.

١ أبو النصر الدبوسي، من كبار أئمة الحنفية. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية ١: ٢٥٥، ٢: ٢٦٨.

٢ هو أحمد بن اسماعيل بن محمد بن آيدغمش، أبو العباس، ظهير الدين التمرتاشي، عالم بالحديث، وقاضي حنفي، كان مفتي خوارزم نسبته إليها أو إلى تمرتاش من قراها، ت: ٦١٠هـ، من تصانيفه: شرح الجامع الصغير، الفرائض، التراويح، الفتوى. انظر ترجمته في: الجواهر المضية ١: ٦١؛ الفوائد البهية ١٥؛ كشف الظنون ٢: ٢٢١، ١٢٤٦، ١٤٠٣؛ هدية العارفين ١: ٨٩.

الآيات والأحاديث والروايات الفقهية في حرمة الغناء كثيرة جدًا على حد يتعذر إحصائها، ومع هذه كلها لو أورد شخص حديثاً منسوخاً أو رواية شاذة في إباحة الغناء لا ينبغي اعتباره منه، فإنه لم يُفتِ فقيه في وقت من الأوقات بإباحة الغناء ولم يجوز الرقص والضرب بالأرجل كما هو مذكور في ملتقط الإمام الهمام ضياء الدين الشامي.

وعمل الصوفية ليس بسند في الحل والحرمة، أما يكفيهم أن نعذرهم ولا نلومهم ونفوض أمرهم إلى الله تعالى؟ والمعتبر هنا قول الإمام أبي حنيفة والإمام أبي يوسف[1] والإمام محمد[2] رحمهم الله لا عمل الشبلي[3] وأبي الحسين

---

١ أبو يوسف محمد بن إبراهيم بن سعد الأنصاري، قاضي القضاة، الفقيه المجتهد تلميذ أبي حنيفة، ت: ١٨٢هـ. انظر: تاريخ بغداد ١٤: ٢٤٢؛ الجواهر المضيّة ٣: ٦٧؛ تذكرة الحفاظ ١: ٢٩٢؛ شذرات الذهب ١: ١٢٩٨.

٢ محمد بن الحسن الشيباني، الإمام الفقيه المجتهد، تلميذ أبي حنيفة، صنف الكتب ودوّن المسائل، توفي سنة ١٨٧هـ، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة في الشام، وإليه انتهت رئاسة الفقه بالعراق بعد أبي يوسف. انظر:تاريخ بغداد ٢: ١٧٢؛ أخبار أبي حنيفة، الصيرمي ١٢٠-١٣٠؛ الجواهر المضيّة ٣: ١٢٢؛ تاج التراجم، ابن قطلوبغا، ٢٣٧-٢٤٠؛ مناقب أبي حنيفة، الذهبي ٧٩-٩٥.

٣ أبو بكر الشبلي، واسمه: دلف بن جحدر، وقيل: ابن جعفر، نسبة إلى قرية من قرى أسروشنة، بلدة عظيمة وراء سمرقند، من بلاد ما وراء النهر، الخراساني الأصل، والبغدادي المولد والمنشأ، جليل القدر، مالكي المذهب عظيم الشأن، صحب الجنيد وطبقته، ومجاهداته في أول أمره متواترة، يقال: أنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد

النوري[1]، وقد جعلت الصوفية القاصرون اليوم السماع والرقص دينهم وملتهم مستندين إلى عمل مشايخهم واتخذوه طاعتهم وعبادتهم، أولئك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

وقد علم من الرواية السابقة أن من استحسن الفعل الحرام فقد خرج من زمرة أهل الإسلام وصار مرتداً، فينبغي التأمل ماذا يكون شناعة تعظيم مجلس السماع والرقص بل اتخاذه طاعة وعبادة؟! ولله سبحانه الحمد والمنة لم يبتل مشايخنا بهذا الأمر وخلصوا أمثالنا المقلدين من تقليد هذا الأمر.

وقد نسمع أن المخاديم يميلون إلى السماع ويعقدون مجلس السماع وقراءة القصائد في ليالي الجمعة وأكثر الأصحاب يوافقونهم في ذلك الأمر، والعجب ألف عجب أن مريدي السلاسل الأخرى إنما يرتكبون هذا الأمر مستندين إلى عمل مشايخهم ويدفعون الحرمة الشرعية بعملهم وإن لم يكونوا

السهر ولا يأخذه النوم، وكان يبالغ في تعظيم الشرع المكرم، وإذا دخل رمضان جد فيه الطاعات، ويقول: هذا شهر عظمه ربي، فأنا أولى بتعظيمه، توفي سنة ٣٣٤هـ عن سبع وثمانين سنة. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ٣٤؛ صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢: ٤٥٦.

١ أبو الحسين أحمد بن محمد النوري بغداديُّ المَنْشَأ و المَوْلِد، خراسانيُّ الأصل، يعرف بابن البَغَوِيِّ، كان كبير الشأن لم يكن في وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاماً،صحب السري وابن أبي الحواري، وكان من أقران الجنيد. والنورى نسبة إلى«نور» بليدة بين بخاري وسمرقند، ويقال: لنور كان بوجهه فنسب اليه، وقيل: قيل له النوري لحسن وجهه، مات قبل الجنيد، في سنة خمس وتسعين ومائتين. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ١٠؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢: ٤٣٩؛ السلمي، طبقات الصوفية، ٥٧.

محقين في هذا الأمر في الحقيقة، وما معذرة أصحابنا في ارتكاب هذا الأمر وفيه ارتكاب الحرمة الشرعية من طرف وارتكاب مخالفة مشايخ طريقهم من طرف آخر؟! فلا أهل الشريعة راضون عن هذا الفعل ولا أهل الطريقة! فلو لم يكن فيه ارتكاب الحرمة الشرعية لكان مجرد إحداث أمر في الطريقة شنيعاً، فكيف إذا اجتمع معه ارتكاب الحرمة الشرعية[١]؟!

١٠٦ - كمال الفناء والتوحيد الحقيقي والشهودي:

قال رضي الله عنه في مكتوبه إلى السيد محب الله المانكبوري في كمال الفناء والتوحيد الحقيقي والشهودي:

«إن كمال الفناء إنما هو في صورة تكون الأشياء موجودة ومع ذلك لا يلتفت السالك من كمال تعلقه وشغفه بالمطلوب الحقيقي إلى شيء أصلاً؛ بل لا يشاهد شيئاً ولا يقع نظر بصيرته إلى شيء قطعاً، فإن لم تكن الأشياء موجودة فمن أي شيء يتحقق الفناء وعمن يكون فانياً وذاهلاً وناسياً؟!

وأول من صرح بالتوحيد الوجودي هو الشيخ محيي الدين ابن العربي[٢] وعبارات المشايخ المتقدمين وإن كانت مشعرة بالتوحيد ومنبئة عن الاتحاد

---

١ مختصر المكتوب السادس والستين والمائتين ١: ٣١٤- ٤١٧.

٢ هو الشيخ الأكبر سلطان العارفين أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي من ذرية حاتم الطائي، أوحد زمانه، له القدم الراسخة في الولاية العظمى وقصب السبق في علوم القوم، خاتم الولاية المحمدية، له تصانيف باهرة زادت على خمسمائة مصنف، من أشهرها: الفتوحات المكيّة، وفصوص الحكم، توفي سنة ٦٣٨هـ. انظر: اليواقيت والجواهر ٢: ٢٠٥.

ولكنها كانت قابلة للحمل على التوحيد الشهودي فإنه لما لم ير غير الحق سبحانه قال بعضهم: «ليس في جبتي سوى الله» وقال بعضهم: «سبحاني» وبعضهم: «ليس في الدار غيري»، وهذه كلها أزهار تفتقت من غصن رؤية الواحد، لا دلالة في واحد منها على التوحيد الوجودي.

والذي بوّب مسألة وحدة الوجود وفصّلها ودوّنها تدوين النحو والصرف هو الشيخ محيي الدين بن العربي، وخصّص بعض المعارف الغامضة بين هذا المبحث بنفسه حتى قال: إن خاتم النبوة يأخذ بعض العلوم والمعارف عن خاتم الولاية، وأراد بخاتم الولاية المحمدية نفسه.

وبالجملة لا حاجة في تحصيل الفناء والبقاء وحصول الولاية الصغرى والكبرى إلى التوحيد الوجودي، بل لا بد في تحقق الفناء وحصول نسيان السوى من التوحيد الشهودي، بل يمكن أن يسير السالك من البداية إلى النهاية ولا يظهر له شيء من علوم التوحيد الوجودي ومعارفها أصلاً، بل يكاد ينكر هذه العلوم.

وعند هذا الفقير أن الطريق الذي يتيسر سلوكه بدون ظهور هذه المعارف أقرب من الطريق الذي هو متضمن لظهور هذه المعارف، وأيضاً أن أكثر سالكي هذا الطريق يصلون إلى المطلوب وأكثر سائري ذاك الطريق يبقون في الطريق، ويروون من البحر بقطرة، ويبتلون بتوهم اتحاد الظل بالأصل، ويحرمون بذلك الوصل، وعلمت هذا المعنى بتجاريب متعددة والله سبحانه الملهم للصواب.

وسير الفقير وإن كان من الطريق الثاني ووجد حظاً وافراً من ظهورات علوم التوحيد الوجودي ومعارفه ولكن لما كانت عناية الحق سبحانه شاملة لحاله وكان سيره السير المحبوبي طوى بوادي الطريق ومفاويزه بإمداد فضله وعنايته تعالى وجاوز مراتب الظلال ووصل إلى الأصل بتوفيق الله تعالى وعونه، ولما وقعت المعاملة على المسترشدين رأى أن الطريق الآخر أقرب إلى الوصول وأسهل من حيث الحصول، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

تنبيه: قد علم من التحقيق السابق أن الموجودات وإن كانت متعددة وما سواه تعالى كان موجودًا جاز أن يتحقق الفناء والبقاء وتحصل الولاية الصغرى والكبرى، فإن الفناء هو نسيان السوى لا إعدامه واستئصاله، وما هو اللازم فيه أن تكون رؤية السوى مفقودة لا أن يكون السوى معدوماً ولا شيئاً محضاً، وهذا الكلام مع ظهوره قد خفي على أكثر الخواص، وماذا نقول عن العوام؟! وجعلوا معرفة وحدة الوجود من شرائط الطريق بتخيل أن التوحيد الشهودي هو عين التوحيد الوجودي، وزعموا القائل بتعدد الوجود ضالاً ومضلاً، حتى تخيل الكثيرون منهم أن معرفة الحق سبحانه منحصرة في معارف التوحيد الوجودي، وتصوروا أن شهود الوحدة في مرايا الكثرة من تمام الأمر.

قال الخواجه النقشبند قدس سره: كل ما يكون مرئياً أو مسموعاً أو متخيلاً أو موهوماً فهو غيره تعالى، ينبغي نفيه بحقيقة كلمة «لا»، فكان شهود الوحدة في الكثرة أيضاً مستحقاً للنفي فهو منتف من جناب قدسه، وكلام الخواجه هذا هو الذي أخرجني من هذا الشهود وأنجاني من التعلقات

بالمشاهدة والمعاينة، وحوّل الرجل من العلم إلى الجهل ومن المعرفة إلى الحيرة جزاه الله سبحانه خير الجزاء، وأنا بهذا الكلام الواحد مريد الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره.

وما يقوله الصوفية أو يفعلونه مخالفاً لآراء العلماء المجتهدين لا ينبغي تقليده، بل ينبغي السكوت عن طعنهم بحسن الظن بهم وأن يعده من شطحاتهم وأن يصرفه عن ظاهره، والعجب أن كثيراً من الصوفية يدلون العوام على الإيمان بأمورهم الكشفية كوحدة الوجود مثلاً ويدعونهم إليه ويرغبونهم في تقليدهم فيها ويهددونهم على عدم الإيمان بها، ولَيْتَهُم يدّلونهم على عدم الإنكار على هذه الأمور ويهددون المنكرين، فإن الإيمان غير عدم الإنكار، والإيمان بهذه الأمور ليس بلازم ولكن ينبغي الاجتناب والاحتراز عن الإنكار لئلا ينجر إنكار هذه الأمور إلى إنكار أربابها فيؤدي إلى بغض أولياء الحق جل وعلا وعداوتهم، فاللازم للإنسان العمل على وفق آراء علماء أهل الحق والسكوت عن كشفيات الصوفية بحسن الظن وعدم الجسارة بـ «لا» و «نعم» هو الحق المتوسط بين الإفراط والتفريط، والله سبحانه الملهم للصواب.

ومن أعجب العجب أن جماعة من مدعي هذا الطريق لا يقنعون بهذا الشهود والمشاهدة بل يزعمون هذا الشهود تنزلاً، ويقولون في أثناء ذلك بالرؤية البصرية، ويقولون: نرى ذات واجب الوجود المنزّه عن المثال، ويقولون: إن هذه الدولة التي كانت ميسرة للنبي ﷺ مرة واحدة في ليلة المعراج تتيسر لنا في كل يوم، ويشبّهون النور المرئي لهم بإسفار الصبح،

ويزعمون ذلك النور المرتبة اللاكيفية، ويتخيلون ظهور ذلك النور نهاية مراتب العروج، تعالى الله سبحانه عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وأيضاً إنهم يثبتون المكالمة معه تعالى ويقولون أمرنا الله سبحانه وتعالى بكذا وكذا، وينقلون عنه سبحانه أحياناً وعيداً في حق أعدائهم ويبشرون أحياناً أحبابهم، ويقول بعضهم: كلمت الحق سبحانه بقية ثلث الليل أو ربعه إلى صلاة الصبح، وسألته عن كل باب ووجدت منه الجواب، لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً، ويفهم من كلمات هؤلاء الجماعة أنهم يعتقدون ذلك النور المرئي عين الحق سبحانه وعين ذاته تعالى لا أنهم يقولون إنه ظهور من ظهوراته تعالى وظل من ظلاله، ولا شك أن اعتقاد ذلك النور ذات الحق سبحانه افتراء محض وإلحاد صرف وزندقة خالصة، ومن نهاية تحمله سبحانه وتعالى عدم استعجاله في عقوبة أمثال هؤلاء المفترين وتعذيبهم بأنواع العذاب وعدم استئصالهم، سبحانك على حلمك بعد علمك، سبحانك على عفوك بعد قدرتك.

وقد هلك قوم موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام بمجرد طلب الرؤية وسمع موسى عليه السلام نداء﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف: ١٤٣]، بعد طلب الرؤية وخرّ صعقاً وتاب من ذلك الطلب، ومحمد رسول الله ﷺ الذي هو محبوب رب العالمين وأفضل الموجودات وسيد الأولين والآخرين مع كونه مشرفاً بدولة المعراج البدني وتجاوزه العرش والكرسي وعلوه على الزمان والمكان يعني خلوه وخروجه منهما، للعلماء اختلاف في رؤيته عليه الصلاة والسلام مع وجود الإشارة القرآنية إليها وأكثرهم قائلون بعدمها، قال الإمام

الغزالي: الأصح أنه عليه الصلاة والسلام ما رأى ربه ليلة المعراج[1]، وهؤلاء القاصرون يرون الله سبحانه كل يوم بزعمهم الباطل مع وجود القيل والقال بين العلماء في رؤية محمد رسول الله ﷺ مرة واحدة، فقبحهم الله سبحانه ما أجهلهم!

وأيضاً يعلم من كلمات هؤلاء الجماعة أن نسبة الكلام الذي يسمعونه إلى الله سبحانه عندهم كنسبة الكلام إلى المتكلم وهذا عين الإلحاد، معاذ الله سبحانه من أن يصدر عنه كلام بطريق تكلم فيه ترتيب الحروف والتقدم والتأخر فإن ذلك من علامات الحدوث، والذي أوقعهم في الأغلوطات هو كلمات المشايخ الكبار، فإنهم أيضاً أثبتوا له سبحانه الكلام والمكالمة.

ولكن ينبغي أن يعلم أن المشايخ لا يقولون إن نسبة الكلام إليه تعالى كنسبته إلى المتكلم، بل يقولون إنه كنسبة المخلوق إلى الخالق يقيناً ولا محذور في ذلك أصلاً، فإن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام سمع من الشجرة كلام الحق سبحانه وتعالى، ونسبة هذا الكلام إلى الحق سبحانه كنسبة المخلوق إلى الخالق لا كنسبة الكلام إلى المتكلم، وكذلك الكلام الذي كان يسْمعهُ من جبريل عليه السلام نسبته إلى الحق كنسبة المخلوق إلى الخالق.

غاية ما في الباب أن ذلك الكلام أيضاً كلام الحق سبحانه ومنكره كافر وزنديق، وكأن كلام الحق مشترك بين الكلام النفسي والكلام اللفظي الذي

---

١ وهو قول شيخ شيخه الإمام الباقلاني، والحافظ ابن فورك، وأبو الفتح الشهرستاني وغيرهم من الشافعية. وقد ذكره الإمام الغزالي في كتابه الإحياء ٤: ٣١٢.

يوجده الحق سبحانه من غير توسط أمر ما، فيكون الكلام اللفظي أيضاً في الحقيقة كلام الحق سبحانه وتعالى فيكون منكره كافراً بالضرورة، فافهم فإن هذا التحقيق ينفعك في كثير من المواضع، والله سبحانه الموفق.

ينبغي أن يعلم أن الوجود الذي نثبته في الممكنات هو وجود ضعيف كسائر صفات الممكنات، وما مقدار علم الممكن في جنب علم الواجب تعالى؟! وأي اعتبار للقدرة الحادثة في جنب القدرة القديمة؟! وكذلك وجود الممكن في جنب وجود الواجب لا شيء محض، فكيف يقع الناظر في الشك من تفاوت مراتب هذين الوجودين[1]؟! أن إطلاق الوجود على هذين الفردين هل هو بطريق الحقيقة أو على أحدهما بطريق الحقيقة وعلى الآخر بطريق المجاز؟

وبالجملة يحتاج في إثبات وجود الممكن إلى حِدّة النظر حتى يمكن رؤيته حين تشعشع أنوار وجود الواجب تعالى كما أن من لهم حدة البصر يرون النجوم في النهار مع وجود تشعشع نور الشمس والذين ليس لهم حدة البصر لا يقدرون رؤيتها، فوجود الممكنات في جنب وجود الواجب كوجود الكواكب في النهار، من كان فيه حدة البصر يقدر رؤيته ومن هو ضعيف البصر لا يقدرها، وليس له منها نصيب ولا سهم»[2].

---

١ أي: الوجود الواجب والوجود الممكن.

٢ مختصر المكتوب الثاني والسبعين والمائتين ١: ٤٢٣-٤٣٦.

١٠٧ - ما ينبغي للسالك من الثبوت والاستقامة على طريق شيخه:

قال رضي الله عنه في بيان أنه ينبغي للسالك أن يكون ثابتاً ومستقيماً على طريق شيخه غير ملتفت إلى طرق أخر، وأن لا يعتبر الوقائع التي تظهر على خلافه فإنها من الشيطان العدو، وما يناسب ذلك:

«﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[الأعراف: ٤٣] عليهم من الصلوات أتمها ومن التسليمات أكملها، قد حصل السرور والابتهاج بوصول صحيفة الالتفات المرسلة باسم هذا الحقير على وجه الكرم جزاكم الله سبحانه خير الجزاء، وقد اندرج فيها أنه لو كانت المبالغة في منع السماع متضمنة للمنع عن سماع المولد الذي هو عبارة عن قراءة القصائد النعتية والأشعار غير النعتية يعسر ترك استماع المولد على الأخ الأعزّ المير محمد نعمان وبعض الأصحاب الموجودين هنا، لأنهم رأوا النبي ﷺ في الواقعة وهو ﷺ راض عن مجلس المولد جداً ويصعب عليهم ترك ذلك جداً.

أيها المخدوم لو كان للوقائع اعتبار وعلى المنامات اعتماد لا يحتاج المريدون إلى الشيوخ، و يكون اختيار طريق من الطرق عبثاً، فإن كل مريد يعمل حينئذ بما يوافق وقائعه ويطابق لمناماته، سواء كانت تلك الوقائع والمنامات موافقة لطريقة شيخه أو لا، وسواء كانت مرضية عنده أو لا، فعلى هذا التقدير تبطل سلسلة الشيخوخة والمريدية، وكل ذي هوس يستقل بوضعه ويستبد بطوره، والمريد الصادق لا يكون عنده لألف واقعة صادقة مقدار نصف شعيرة من الاعتبار مع وجود شيخه، وتكون المنامات عند الطالب

الرشيد مع دولة حضور المرشد معدودة من أضغاث أحلام ولا يلتفت إلى شيء منها أصلاً، الشيطان عدو قوي لا يأمن المنتهون من كيده ولا يزالون خائفين وجلين من مكره، فماذا نقول في حق المبتدئين والمتوسطين؟! غاية ما في الباب أن المنتهين محفوظون ومن سلطان الشيطان مصونون بخلاف المبتدئين والمتوسطين فلا تكون وقائعهم مستحقة للاعتماد ومحفوظة عن مكر عدو شديد العناد.

فإن قيل: إن الواقعة التي يرى فيها النبي ﷺ صادقة ومحفوظة من كيد الشيطان ومكره، فإن الشيطان لا يتمثل بصورته كما ورد[1] فتكون وقائع ما نحن فيه صادقة ومحفوظة من مكر الشيطان؟

أجيب: أن صاحب «الفتوحات المكية» جعل عدم تمثل الشيطان مخصوصاً بصورته ﷺ الخاصة به المدفونة في المدينة، ولا يجوز الحكم بعدم تمثله مطلقاً على أي صورة كان ولا شك أن تشخيص تلك الصورة على صاحبها الصلاة والسلام خصوصاً في المنام متعسر جداً، فكيف تكون مستحقة للاعتماد؟ فإن لم نجعل عدم تمثل الشيطان مخصوصاً بصورته ﷺ الخاصة به وجوزنا عدم تمثله به على أي صورة كان كما ذهب إليه كثير من العلماء ومناسب أيضاً لرفعة شأنه ﷺ، نقول: إن أخذ الأحكام عن تلك الصورة وإدراك المرضي وغير المرضي له من المشكلات، فإنه يمكن أن يكون العدو اللعين متوسطاً في البين ومرئياً لخلاف الواقع واقعيّاً ومُوقِعاً للرائي في الاشتباه

---

١ رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والالتباس بتلبيس عبارته وإشارته بعبارة رسول الله ﷺ وإشارته، كما يروى أن سيد البشر عليه و على آله الصلاة والسلام كان جالسا يوماً وكان عنده صناديد قريش ورؤساء أهل الكفر وكثير من الأصحاب أيضاً، فقرأ النبي ﷺ عليهم سورة النجم، ولما بلغ ذكر آلهتهم الباطلة ضم الشطيان اللعين كلمات في مدح آلهتهم الباطلة إلى قراءته ﷺ على نهج ظنها الحاضرون من قراءته عليه الصلاة والسلام ولم يجدوا إلى تمييزه سبيلاً أصلاً، ففرح الكافرون وقالوا: إن محمداً صالحنا ومدح آلهتنا، وتحير منه الحاضرون من أهل الإسلام أيضاً، ولم يطلع النبي ﷺ على كلام الشيطان اللعين هذا فقال النبي ﷺ:ما الواقعة؟ فعرض الأصحاب الكرام عليهﷺأن هذه الفقرات قد ظهرت في أثناء كلامك، فحزن النبي ﷺ على ذلك، فجاء جبريل عليه السلام بالوحي لبيان أن ذلك الكلام كان إلقاءً شيطانياً، وذلك قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾[الحج: ٥٢] الآيات الأربع[1].

---

١ هذه القصة مذكورة في جميع كتب السير وكافة التفاسير وفيها بين العلماء اختلافات كثيرة وأحسن المذكورة فيها ما ذكره الإمام قدس سره هنا من أن الشيطان اللعين ضم تلك الزيادة من قبل نفسه محاكياً نغمته وصوته بنغمته وصوته عليه الصلاة والسلام أثناء قراءته لأنه كان يرتل القرآن ترتيلاً تاماً ليفهموا لا أنه ألقاها إلى النبي ﷺ فاشبته له ﷺ بإلقاء جبريل فقرأها حاشا جناب الرسالة من ذلك وهذا ما عليه المحققون وتسمى هذه الرواية «الغرانيق» وجُل العلماء على تضعيفها.

فإذا ألقى الشيطان كلامه الباطل في أثناء قراءته ﷺ في زمان حياته وفي حالة يقظته وفي محضر الصحابة بحيث لا يمتاز من قراءته ﷺ فمن أين يدرى أن تلك الواقعة محفوظة من تصرف الشيطان ومصونة من تلبيسه مع كونها بعد وفاته ﷺ وفي حالة المنام التي هي حالة تعطيل الحواس ومحل الاشتباه والالتباس ووجود انفراد الرأي عن سائر الناس؟!

أو نقول: إن كونه ﷺ راضياً بهذا العمل كما يرضى الممدوحُ عن المادحين لَّما كان متمكناً في أذهان قارئ القصائد وسامعها ومنتقشاً في متخيلاتهم جاز أن تكون تلك الصورة المرئية في الواقعة هي الصورة المنتقشة في متخيلاتهم من غير أن تكون لتلك الواقعة حقيقة وتمثّلٌ شيطاني، وأيضاً إن الواقعات والرؤيا قد تكون محمولة على ظاهرها وحقيقتها وهي التي يراها الرائي بعينها كما إذا رأى مثلاً صورةِ زيدٍ في المنامِ وكان المراد بها هو عين حقيقة زيد، وقد تُصْرَف عن الظاهر وتحمل على التأويل والتعبير كما إذا رأى صورة زيد مثلاً في المنام وأريد بها عمرو مثلاً بعلاقة المناسبة بينهما، فمن أين يعلم أن واقعة الأصحاب محمولة على الظاهر غير مصروفة عنه؟ ولِمَ لا يجوز أن يكون المراد بها الوقائع المحتاجة إلى التعبير وأن تكون كناية عن أمور أخرى من غير أن يكون لتمثل الشيطان فيها مجال؟

وبالجملة ينبغي أن لا يكون مدار الاعتبار على الواقعة فإن الأشياء موجودة في الخارج، فينبغي السعي حتى ترى الأشياء في الخارج، فإن ذلك هو اللائق بالاعتماد وليس فيه مجال التعبير، وما يرى في الخيال فهو منام وخيال،

وأصحابنا هناك يعاملون بوضعهم ورأيهم من مدة مديدة، وزمام الاختيار بأيديهم.

وأما المير محمد نعمان فما المخلّص له غير الانقياد؟ فإن توقفوا عن الامتناع فرضاً لمحة بعد المنع عياذاً بالله سبحانه فننظر إلى من يفرون وبمن يلوذون، ومبالغة الفقير إنما هي بسبب مخالفة طريقته سواء كانت المخالفة بالسماع والرقص أو بقراءة الموالد وإنشاء القصائد، ولكل طريق وصول إلى مطلب خاص به، والوصول إلى المطلب الخاص بهذا الطريق المتوسط منوط بترك هذه الأمور، فكل من فيه طلب مطلب هذا الطريق ينبغي أن يجتنب عن مخالفة هذا الطريق، وأن لا تكون مطالب طرق أخر منظورة في نظره.

قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره: «ما نه اين كار ميكنيم ونه انكار ميكنيم» يعني نحن ما نفعل هذا الأمر لكونه مخالفاً للطريق الخاص بنا ولا ننكره أيضاً لكونه معمولاً عند مشايخ أخر، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[البقرة: ١٤٨]، فإذا حدث أمر مخالف لهذه الطريقة العلية في فيروز آباد[١] الذي هو ملجأ وملاذ لأمثالنا الفقراء ومقر قدوة أرباب المتابعة الضعفاء لا جرم يكون موجباً لاضطراب أمثالنا الفقراء البتة، والمخاديم الكرام أحِقَّاء بالقيام بحفظ طريق والدهم الماجد كما أن أولاد الخواجه أحرار قدس سره

---

١ فيروزآباد: مدينة تقع في جنوب شيراز وسط إيران حالياً، وتسمى قديماً «جود»، بناها آردشير بن بابك ملك الساسان، وهي مدينة فقيرة تقع في الصحراء تعتمد في اقتصادها على تربية المواشي والصناعات اليدوية البسيطة.

قاموا بحفظ الطريق الأصل بعد عروض التغير لطريق والدهم الماجد بعد وفاته وجادلوا المغيرين كما أنه واصل إلى سمعكم الشريف أيضاً إن شاء الله.

وكتبتم شيئاً من مشرب شيخنا القوي العذب، نعم إنه تساهل في أوائل حاله في بعض الأمور ميلاً منه إلى مذهب الملامتي[1] واختياراً له، وارتكب ترك العزيمة في بعض الأشياء ترجيحاً لذلك المذهب، ولكنه اجتنب عن هذه الأمور في الآخر ولم يذكر الملامتية أصلاً، لينظروا بنظر الإنصاف وليتفكروا أن شيخنا إذا كان فرضاً حياً في الدنيا في هذه الأوان وانعقد هذا المجلس والاجتماع هل يحسبون أنه يرضى عن هذا الأمر ويستحسن هذا الاجتماع أو لا؟! ويقين الفقير أنه ما كان ليجوز هذا المعنى بل ينكره، وكان مقصود الفقير الإعلام، تقبلون أو لا تقبلون لا مضايقة أصلاً، ولا مجال للمشاجرة قطعاً، فلئن استمر المخاديم والأصحاب الموجودون هناك على ذلك الوضع

---

١ الملامتية: هم قوم قاموا مع الله تعالى على حفظ أوقاتهم ومراعاة أسرارهم، فلاموا أنفسهم، وهم مجتهدون في تحقيق كمال الإخلاص، فيضعون الأمور مواضعها حسبما هي في الغيب، فلا تخالف إرادتهم وعلمهم إرادة الحق عز وجل، والملامتي لا يُظهر خيراً ولا يُضمر شراً، وإنما هو مخلص مقيم في أوطان إخلاصه، غير مطّلع إلى حقيقة خلاصه، وهذا الفرق بين الملامتي والصوفي، كما أنّ الملامتي يُظهر للخلق ما يوحشهم ليتنافى الخلق عنهم ويسلم لهم حالهم مع الله تعالى، وقيل: إن مؤسس هذه الطريقة هو حمدون بن عمّار القصّار المتوفي ٢٧١هـ. انظر: مرآة الأصفياء في صفات الملامتية وعلو شأن الأولياء، عبد الله البوسنوي، ط استانبول، دار حقيقة للنشر؛ معجم مصطلحات الصوفية، الحفني ٢٤٩.

واستداموا فلا نصيب لنا غير الحرمان من صحبتهم، وماذا أكتب أزيد من ذلك؟! والسلام أولاً وآخراً»[1].

١٠٨- التحريض على تعليم العلوم الشرعية:

«عليكم بتعليم العلوم الدينية ونشر الأحكام الفقهية ما استطعتم فإنها ملاك الأمر ومناط الارتقاء ومدار النجاة، وعليكم شد نطاق الهمة وإحكامه لأن تكونوا في عداد العلماء ودلالة الخلق إلى طريق الحق سبحانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى:﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[المزمل: ١٩]، والذكر القلبي الذي أجزتم به أيضاً مؤيد لإتيان الأحكام الشرعية ودافع لعناد النفس الأمارة، فينبغي إجراء هذا الطريق أيضاً، وأن لا تحزن على عدم الاطلاع على أحوالك وأحوال أصحابك، وأن لا تجعله دليلاً على عدم الحاصل فيك.

وأحوال الأصحاب كافية للمرآتية لكمالاتك، وما ظهر في الأصحاب إنما هو أحوالك ظهرت فيهم بطريق الانعكاس، والشيخ حسن أحد أركان دولتك وممد ومعاون لك في معاملتك، فإن وقع في خاطرك إرادة سفر ما وراء النهر أو ممالك الهند فرضاً فالنائب منا بك هناك هو الشيخ حسن، فينبغي أن تراعي الالتفات والتوجه في حقه والاجتهاد البليغ ليتفرغ من تعلم العلوم الدينية الضرورية سريعاً، وكان سفره هذا إلى الهند مغتنماً في حقه وحقك أيضاً،

---

١ المكتوب الثالث والسبعون والمائتان ١: ٤٣٧-٤٤٠.

رزقنا الله سبحانه وإياكم الاستقامة على ملة الإسلام على صاحبها الصلاة والسلام.

وكتبت أيضاً أن واحدًا من الأصحاب حصل له ترق من مدة ستة أشهر وما كان يظهر له في حالة الغيبة وعدم الشعور من الأرواح الطيبات يراه الآن في حالة الإفاقة.

أيها المخدوم! لا دلالة في هذه الرؤية على الترقي، سواء كانت في الشعور أو في غيره، والقدم الأول في هذا الطريق أن لا يرى غير الحق سبحانه أصلاً، وأن لا يبقى في فكرته ما سواه تعالى قطعاً، لا بمعنى أنه لا يرى الأشياء غير الحق سبحانه ولا يعلمها بعنوان السوى فإن هذا عين رؤية الكثرة بل لا يرى غير الحق سبحانه أصلاً ولا يحس به قطعاً، وهذه الحالة معبر عنها بالفناء والمنزل الأول من منازل هذا الطريق ودونه خرط القتاد.

ومن لم يكن في حب مولاه فانياً فليس له في كبرياه سبيل»[1].

١٠٩ - محكمات القرآن ومتشابهاته:

قال قدس الله سره في مكتوبه إلى الشيخ بديع الدين في بيان محكمات القرآن ومتشابهاته وبيان العلماء وكمالاتهم وما يناسب ذلك:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعليهم وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أجمعين، جعلنا الله سبحانه وإياكم من الراسخين في العلم.

---

١ مختصر المكتوب الخامس والسبعين والمائتين ١ : ٤٤٢.

أيها الأخ! إن الله سبحانه قسم كتابه المجيد على قسمين: محكمات ومتشابهات، فالقسم الأول منشأ لعلم الشرائع والأحكام، والقسم الثاني مخزن علم الحقائق والأسرار، وما ورد في القرآن أو في الحديث من اليد والوجه والقدم والأصابع والأنامل كلها من المتشابهات، وكذا مقطعات الحروف الواردة في أوائل السور القرآنية أيضاً من المتشابهات التي لم يطلع عليها إلا العلماء الراسخون.

ولا تتخيل أن التأويل عبارة عن القدرة التي عبر عنها باليد، وعن الذات التي عبر عنها بالوجه، بل تأويلها من الأسرار الغامضة التي انكشفت لأخص الخواص، وماذا أكتب من الحروف المقطعات القرآنية فإن كل حرف منها بحر مواج من الأسرار الخفية بين العاشق والمعشوق، ورمز غامض من الرموز الدقيقة بين المحب والمحبوب، والمحكمات وإن كُنّ أمهات الكتاب ولكن نتائجهن وثمراتهن التي هي المتشابهات من مقاصد الكتاب، وليست الأمهات إلا وسائل لحصول النتائج، فلب الكتاب هو المتشابهات وقشر ذلك اللب محكمات الكتاب، والمتشابهات هي التي تبين الأصل بالرمز والإشارة، وتنبئ عن حقيقة معاملة تلك المرتبة العالية الشأن، بخلاف المحكمات، والمتشابهات هي الحقائق، والمحكمات بالنسبة إلى المتشابهات صور تلك الحقائق.

والعالم الراسخ هو الذي يقدر على الجمع بين اللب والقشر والحقيقة والصورة، وعلماء القشر مسرورون بالقشر ومكتفون بالمحكمات، والعلماء

الراسخون يحصلون المحكمات وينالون حظاً وافراً من تأويل المتشابهات، ويجمعون بين الحقيقة والصورة أعني المتشابه والمحكم.

وأما من طلب تأويل المتشابهات من غير علم المحكمات ومن غير عمل بمقتضاها وترك الصورة وسلك طريق فكر الحقيقة فهو جاهل وليس له خبر عن جهله، وضال وليس له شعور بضلالته، ولم يدر أن هذه النشأة مركبة من الصورة والحقيقة، وما دامت هذه النشأة موجودة لا تنفك الحقيقة عن الصورة أصلاً قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾الحجر: ٩٩ أي الموت كما قال المفسرون[١]، جعل الله تعالى غاية العبادة ونهايتها زمان حلول الموت الذي هو منتهى هذه النشأة لأن من مات فقد قامت قيامته، وإنما يحصل انفكاك الصور من الحقائق في النشأة الأخروية التي هي محل ظهور الحقائق، فكل من النشأتين لها حكم على حدة، لا يختلط حكم إحداهما بالأخرى إلا جاهل أو زنديق مقصوده إبطال الشرائع، فإن كل حكم شرعي ثابت للمبتدئ فهو ثابت أيضاً للمنتهي وعامة المؤمنين، وأخص الخواص من العارفين سواسية في هذا المعنى ومتساوية الأقدام فيه لا فرق بين شخص وشخص.

---

١ انظر: تفسير مجاهد ١: ٤١٩؛ تفسير مقاتل بن سليمان ٢: ٤١٥؛ تفسير الطبري ١٧: ١٥٩-١٦٠؛ تفسير ابن أبي حاتم ٧: ٣٣٤؛ تفسير بحر العلوم، السمرقندي ٢: ٢٦٤؛ تفسير القرطبي ١٠: ٦٣.

والمتصوفة القاصرون والملاحدة الخائبون في صدد إخراج رقابهم من ربقة الشريـعة متخيلين بأن الأحكام الشرعية مخصوصة بالعوام، وأما الخواص فهم مكلفون بالمعرفة فقط، كما أنهم يعتقدون من جهلهم أن الأمراء والسلاطين ليسوا مكلفين بغير العدل والإنصاف، ويقولون: إن المقصود من إتيان الشريعة حصول المعرفة فإذا حصلت المعرفة سقطت التكاليف الشرعية، ويستشهدون في إثبات مدعاهم بقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[الحجر: ٩٩]،أي بالله كما قال سهل التستري[1]يعني انتهاء العبادة حصول معرفة الحق سبحانه.

والظاهر أن مراد من فسر اليقين بكونه بالله هو كون انتهاء الكلفة في العبادة حصول معرفة الحق جل وعلا، لا انتهاء نفس العبادة، فإن ذلك مفض إلى الإلحاد والزندقة، وهم يزعمون أيضاً أن عبادة العارفين ريائية، فإنهم يعملون ما يعملون من الطاعة والعبادة ليقتدي بهم في ذلك المبتدؤون وأتباعهم لا لكونهم محتاجين إليها، وينقلون في تأييد هذا القول أقوالاً عن المشايخ حيث قالوا: ما لم يكن الشيخ منافقاً ومرائياً لا ينتفع به المريد، خذلهم الله سبحانه ما أجهلهم!

---

١ هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري، المتوفى سنة ٢٨٣هـ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم، له كتاب في تفسير القرآن (مطبوع)، ورقائق المحبين. انظر: وفيات الأعيان ٢: ٤٢٩؛ طبقات السلمي ٢٠٦؛ حلية الأولياء ١٠: ١٨٩؛ طبقات الشعراني ١: ٦٦.

واحتياج العارفين إلى العبادة على نهج ليس في المريدين عشره فإن عروجاتهم مربوطة بالعبادة وترقياتهم منوطة بإتيان الأحكام الشرعية، وما يتوقع للعوام غداً من ثمرات العبادة فهو حاصل للعارفين اليوم، فهم إذاً أحقاء بالعبادة وأحوج إلى إتيان الأحكام الشرعية من غيرهم.

ينبغي أن يعلم أن الشريعة عبارة عن مجموع الصورة والحقيقة، والصورة ظاهر الشريعة والحقيقة باطن الشريعة، فالقشر واللب كلاهما من أجزاء الشريعة، والمحكم والمتشابه من أفرادهما، وعلماء الظاهر اكتفوا بقشرها، والعلماء الراسخون جمعوا بين اللب والقشر ونالوا حظاً وافرًا من مجموع الصورة والحقيقة، فينبغي أن يتصور الشريعة كشخص مركب من الصورة والحقيقة.

وقد تعلق جماعة بصورتها وشُغِفوا بها وأنكروْا حقيقتها ولم يعرفوا لهم شيخاً يقتدون به غير الهداية[1]، والبزدوي[2] وهؤلاء الجماعة هم علماء القشر، وجماعة أخرى افتتنوا بحقيقتها ولكن لم يعتقدوها حقيقة الشريعة، بل زعموا الشريعة مقصورة على الصورة والقشر، وتصوروا اللب والحقيقة وراءها، ومع ذلك لم يمتنعوا من إتيان الأحكام الشرعية، ولم يتخلفوا عنها مقدار شعرة، ولم

---

١ هو كتاب الهداية شرح بداية المبتدي، تأليف علي بن أبي بكر المرغيناني المتوفي ٥٩٣هـ.

٢ يعني أصول البزدوي المسمى: «كنز الوصول إلى معرفة الأصول» تأليف: علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، فخر الإسلام البزدوي، توفي ٤٨٢هـ.

يضيعوا الصورة، وعدّوا تارك حكم من أحكام الشريعة بطالاً وضالاً وهؤلاء أولياء الله جل سلطانه وقد انقطعوا عما سوى الله تعالى بمحبته سبحانه.

ودون هؤلاء جماعة أخرى وهم الذين اعتقدوا الشريعة مركبة من الصورة والحقيقة، وتيقنوا أنها مجموع القشر واللب، وحصول صورة الشريعة بدون تحصيل الحقيقة ساقط عندهم عن حيز الاعتبار، وحصول حقيقتها بدون إثبات الصورة ناقص غير تام، بل لا يعدون حصول الصورة بدون ثبوت الحقيقة من الإسلام الموجب للنجاة كما هو حال علماء الظاهر وعامة المؤمنين، ويتصورون حصول الحقيقة بدون ثبوت الصورة من جملة المحالات ويسمون القائل به زنديقاً وضالاً.

وبالجملة إن الكمالات الصورية والمعنوية منحصرة عند هؤلاء الأكابر في الكمالات الشرعية، والعلوم والمعارف اليقينية مقصورة على العقائد الكلامية الثابتة بآراء أهل السنة والجماعة، لا يستوي عندهم ألوف من الشهود، والمشاهدة مسألة واحدة من المسائل الكلامية في تنزيهات الحق جل وعلا، ولا يشترون الأحوال والمواجيد والتجليات والظهورات المخالفة لحكم من الأحكام الشرعية بنصف شعيرة، بل يعدون ظهور أمثال هذه المذكورات من مظان الاستدراج ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وهم العلماء الراسخون وهم المنعم عليهم الاطلاع على حقيقة المعاملة، والموصل بهم بسبب رعايتهم الآداب الشرعية إلى حقيقة الشريعة، بخلاف الفرقة الثانية فإنهم وإن كانوا متوجهين إلى الحقيقة ومفتونين بها ولم يجاوزوا الحد في إتيان الأحكام الشرعية مقدار شعرة مهما أمكن ولكنهم لما اعتقدوا

تلك الحقيقة وراء الشريعة وتصوروا الشريعة قشرها تنـزلوا بالضرورة إلى ظل من ظلال تلك الحقيقة، ولم يجدوا للوصول إلى حقيقة تلك المعاملة سبيلاً.

فلا جرم كان ولايتهم ظلّية وقربهم صفاتياً بخلاف العلماء الراسخين فإن ولايتهم أصلية، وإنهم وجدوا للوصول إلى الأصول سبيلاً وجاوزوا حجب الظلال بالتمام، فلا جرم كانت ولايتهم ولاية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وولاية هؤلاء الأولياء ظل ولاية الأنبياء.

وكان هذا الفقير متوقفاً في تأويل المتشابهات ومفوضاً إياه إلى علم الحق سبحانه مدة مديدة، ولم أجد للعلماء الراسخين نصيباً منها غير الإيمان بها، والتأويلات التي بينها علماء الصوفية لم أرها لائقة ومناسبة بشأن تلك المتشابهات، ولم أر للأسرار القابلة للاستتار تأويلات كما قال عين القضاة في تأويل بعض المتشابهات مثلاً في ﴿الٓمٓ﴾[البقرة: ١]، أراد به الألم اللازم للعشق والمحبة وأمثالها.

ولما أظهر لي الله سبحانه بمحض فضله شمة من تأويل المتشابهات وفتح جدولاً من ذاك البحر المحيط ومده إلى أرض استعداد هذا المسكين علمت أن للعلماء الراسخين أيضاً نصيباً وافراً من تأويلات المتشابهات،﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِىَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأعراف: ٤٣]وأحلْنا تعبيرات الوقائع المطلوبة المسطورة على الحضور، ولم نكتب من تلك المقولة شيئاً، ماذا أفعل؟ قد جرى القلم بمعارف أخر واستقبلتُ معاملة غيرها هي بالتسطير

أحرى، والمسؤول مسامحتكم والسلام عليكم وعلى سائر من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه و على آله وعلى إخوانه الصلوات والتسليمات العلى»[1].

١١٠ - الآداب الضرورية للمريدين:

قال قدس سره في مكتوبه إلى الشيخ حميد البنگالي في بيان الآداب الضرورية للمريدين ودفع بعض الشبه:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله الذي أدبنا بالآداب النبوية، وهذبنا بالأخلاق المصطفوية عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية.

اعلم أن سالكي هذا الطريق لا يخلون عن أحد الحالين: إما أن يكونوا مريدين، وإما أن يكونوا مُرادِين[2]. فإن كانوا مرادين فطوبى لهم يوصل بهم إلى المطلب الأعلى من طريق الانجذاب والمحبة من غير اختيار، ويعلمون كل أدب لازم بواسطة أو بلا واسطة، فإن صدرت عنهم زلة يُنبَّهون عليها سريعاً ولا يؤاخذون بها، فإن احتاجوا إلى شيخ ظاهر يهتدون إليه من غير سعي عنهم، وبالجملة إن العناية الأزلية متكفلة لحال هؤلاء الأكابر ولا بد من حصول أمرهم بسبب أو بلا سبب ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾[الشورى: ١٣].

---

١ المكتوب السادس والسبعون والمائتان ١: ٤٤٣-٤٤٦.

٢ جمع مراد، والمراد: العارف الذي له إرادة وقد وصل إلى النهايات، وعبر المقامات والأحوال والمقاصد والإرادات، فهو مراد الله عز وجل وقريب من رحمة الله ـ. معجم ألفاظ الصوفية، الشرقاوي ٢٦٢- ٢٦٣.

وإن كانوا مريدين فأمرهم من غير شيخ كامل مكمل عسير، والشيخ ينبغي أن يكون مشرفاً بدولة الجذبة والسلوك ومستسعداً بسعادة الفناء والبقاء، وأن يكون قد أتم السير إلى الله والسير في الله والسير عن الله بالله والسير في الأشياء بالله، فإن كانت جذبته مقدمة على سلوكه وتربى بتربية المرادين فهو كبريت أحمر، كلامه دواء ونظره شفاء، إحياء القلوب الميتة منوط بتوجهه الشريف وتزكية النفوس العاتية مربوطة بالتفاته اللطيف، فإن لم يوجد صاحب دولة مثل ذلك فالسالك المجذوب أيضاً مغتنم يحصل منه تربية الناقصين ويصلون بوساطته إلى دولة الفناء والبقاء.

متى قسنا السما بالعرش ينحط   وما أعلاه إن قسنا بأرض

فإن اهتدى الطالب بعناية الحق جل سلطانه إلى مثل هذا الشيخ الكامل المكمل ووصل إليه ينبغي أن يغتنم وجوده وأن يفوض نفسه إليه بالتمام، وأن يعتقد سعادته في مرضياته وشقاوته في خلاف مرضياته، وبالجملة ينبغي أن يجعل هواه تابعاً لرضاه، وفي الخبر النبوي عليه الصلاة والسلام: «لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[1].

اعلم أن رعاية آداب الصحبة ومراعاة شرائطها من ضروريات هذا الطريق حتى يكون طريق الإفادة والاستفادة مفتوحاً، وبدونها لا نتيجة

---

١ رواه ابن أبي عاصم في السنة ١: ١٢ رقم (١٥)؛ وابن بطة في الإبانة١: ٣١٧؛ والبغوي في شرح السنة ١: ٢١٣.

متوجهاً إلى أحد، ولا يمد رجله عند غيبة شيخه إلى جانب هو فيه، ولا يرمي بزاقه إلى ذلك الجانب.

وكل شيء يصدر عن شيخه يعتقده صواباً وإن لم ير صواباً في الظاهر، فإنه يفعل ما يفعله بطريق الإلهام والإذن، فلا يكون للاعتراض مجال على هذا التقدير، وإن تطرق الخطأ إلى إلهامه في بعض الصور فإن الخطأ الإلهامي كالخطأ الاجتهادي لا يجوز فيه الملامة والاعتراض.

وأيضاً إن المريد لا بد من أن يحصل له محبة الشيخ، وكل ما يصدر عن المحبوب يكون محبوباً في نظر المحب فلا يكون للاعتراض مجال، وليقتد بشيخه في الكلي والجزئي، سواء كان في الأكل والشرب أو اللبس أو النوم أو الطاعة، وينبغي أن يصلي الصلاة على طرز صلاته وأن يأخذ الفقه من عمله.

من كان في قصره الحسناءُ قد فرغا   مَن التنوه في البستـــان والمــرج

ولا يترك في نفسه مجالاً للاعتراض على حركاته وسكناته أصلاً وإن كان الاعتراض مقدار حبة خردلة، فإنه لا نتيجة للاعتراض غير الحرمان، وأشقى جميع الخلائق وأبعدهم عن السعادة الذين يرون عيوب هذه الطائفة، نجانا الله سبحانه من هذا البلاء العظيم.

ولا يطلب من شيخه الكرامات وخوارق العادات، وإن كان هذا الطلب بطريق الخواطر والوساوس، فهل سمعت قط أن مؤمناً طلب من نبيه معجزة؟! وإنما طلبها الكفار وأهل الإنكار.

المعجـزات مفيدة قـــهـر الـــعـدا   ونتيجة التقلـيـــد ذاك الاقتـــدا

ما المعجزات مـــفـــيدة الإيمان بل   قد يجذب التقليد نحـــو الاهتـــدا

فإن عرضت لخاطره شبهة يعرضها على شيخه من غير توقف، فإن لم تنحل فلير التقصير من نفسه، ولا يجوز عود منقصة أصلاً إلى جانب شيخه، فإن وقعت عليها واقعة لا يكتمها عن شيخه ويطلب تعبير الوقائع منه، ويعرض عليه أيضاً ما انكشف له من التعبير، ويطلب منه تمييز صوابه عن خطئه، ولا يعتمد على كشوفه أصلاً فإن الحق ممتزج بالباطل في هذه الدار، والصواب مختلط بالخطأ، ولا يفارقه بلا ضرورة ولا إذن منه فإن اختيار الغير وتفضيله عليه مناف للإرادة، ولا يرفع صوته فوق صوته ولا يتكلم معه برفع صوته فإنه سوء أدب.

وكل فيض وفتوح يرد عليه فليعتقد أنه بواسطة شيخه، فإن رأى في الواقعة أن الفيض يرد عليه من مشايخ أخر فليره أيضاً من شيخه، وليعلم أن الشيخ لما كان جامعاً للكمالات والفيوضات وصل إليه منه فيض خاص مناسب لاستعداده الخاص الملائم لكمال شيخ من الشيوخ- أعني الذي ظهرت منه صورة الإفاضة-، وأن لطيفة من لطائف شيخه لها مناسبة بذلك الفيض ظهرت في صورة ذلك الشيخ، فتخيل المريد تلك اللطيفة بواسطة الابتلاء شيخاً، وظن أن الفيض منه، وهذه مغلطة عظيمة، حفظنا الله من زلة الأقدام، ورزقنا الاستقامة على اعتقاد الشيخ ومحبته، بحرمة سيد البشر عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

وبالجملة «الطريق كله آداب» مثل مشهور، لا يصل العاري عن الآداب إلى الله تعالى، فإن رأى المريد نفسه مقصراً في رعاية بعض الآداب ولم يبلغ حد أدائها كما ينبغي ولم يقدر أن يخرج عن عهدتها بالسعي فهو معفو عنه،

ولكن لا بد من الاعتراف بالتقصير، فإن لم يراع الآداب عياذاً بالله سبحانه ولم ير نفسه مقصراً فهو محروم من بركات هؤلاء الأكابر.

من لم يكن نحو السعادة مقبلاً فشهوده وجه النبي لا ينفعه

نعم إذا وصل المريد ببركة توجه الشيخ وهمته إلى مرتبة الفناء والبقاء وظهر له طريق الإلهام والفراسة، وسلم له الشيخ ذلك وصدّقه وشهد له بالكمال والإكمال فحنيئذ يسوغ لمثل هذا المريد أن يخالف شيخه في بعض الأمور الإلهامية، وأن يعمل بمقتضى إلهامه وإن تحقق عند الشيخ خلافه، فإن المريد قد خرج حينئذ عن ربقة التقليد، والتقليد خطأ في حقه.

ألا ترى أن الأصحاب الكرام خالفوا رأي النبي ﷺ في الأمور الاجتهادية والأحكام الغير المنزلة، وظهر الصواب في بعض الأوقات في جانب الأصحاب كما لا يخفى على أرباب العلم أولي الألباب، فعلم أن مخالفة الشيخ بعد الوصول إلى مرتبة الكمال والإكمال مجوّز وعن سوء الأدب مبرّأ؛ بل الأدب هنا هو هذه المخالفة، وإلاّ فأصحاب النبي ﷺ كانوا مؤدبين بكمال الأدب لم يفعلوا شيئاً بلا تقليد.

وتقليد أبي يوسف أبا حنيفة رحمهما الله تعالى بعد بلوغه مرتبة الاجتهاد خطأ، والصواب إنما هو متابعة رأيه لا رأي أبي حنيفة، وقد اشتهر عن الإمام أبي يوسف رحمه الله أنه قال: نازعت[1] أبا حنيفة في مسئلة خلق القرآن ستة أشهر.

---

١ أي: ناظرت.

ولعلك سمعت أن تكميل الصناعة بتلاحق الأفكار فإنها لو بقيت على فكر واحد لما حصلت فيها الزيادة، ألا ترى أن النحو الذي كان في زمن سيبويه حصل له اليوم باختلاف الآراء وتلاحق الأفكار والأنظار زيادة مائة أمثاله وبلغ نهاية كماله، ولكن لما كان هو واضع بنائه ومؤسس أساسه كان الفضل له، الفضل للمتقدمين ولكن الكمال لهؤلاء المتأخرين «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره»[1] حديث نبوي عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

تنبيه لرفع شبهة بعض المريدين:

اعلم أنهم قالوا: الشيخ يحيي ويميت، الإحياء والإماتة من لوازم مقام المشيخة. والمراد بالإحياء الإحياء الروحي لا الجسمي وكذلك المراد بالإماتة الروحية لا الجسمية، والمراد بالحياة والموت الفناء والبقاء اللذان يوصلان إلى مقام الولاية والكمال، والشيخ المقتدى به متكفل بهذين الأمرين بإذن الله سبحانه فلا بد إذا للشيخ من هذين.

فمعنى يحيي ويميت: يبقي ويفني، ولا دخل للإحياء والإماتة في مقام المشيخة، وحكم الشيخ المقتدى به كحكم الكهرباء، كل من له مناسبة به يعدو من ورائه وينجذب إليه كالحشيش بالنسبة إلى كهرباء وينال منه نصيبه مستوفى.

---

١ أخرجه الترمذي ٥: ١٥٢ رقم(٢٨٦٩)؛ وأحمد في مسنده ١٩: ١٢٣٢٧؛ والطبراني في الأوسط ٤: ٢٣١ رقم(٤٠٥).

وليست الكرامات وخوارق العادات لجذب المريدين فإن المريدين ينجذبون إليه بالمناسبة المعنوية، وأما الذين لا مناسبة لهم بهؤلاء الأكابر فهم محرومون من نعم كمالاتهم وإن شاهدوا الوفا من كراماتهم، ينبغي أن يستشهد لهذا المعنى بأبي جهل وأبي لهب قال الله سبحانه في حق الكفار﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الأنعام: ٢٥] والسلام»[1].

١١١- شرح قوله عليه الصلاة والسلام: «لي مع الله وقت»:

قال قدس سره في مكتوبه إلى الشيخ محمد الچتري في جواب سؤاله عن قوله عليه الصلاة والسلام: «لي مع الله وقت»[2]، وقاله أبو ذر الغفاري أيضاً، وعن قول الشيخ عبد القادر الجيلاني قُدّس سره: «قدمي هذه على رقبة كل ولي»، وقاله غيره أيضاً، وهل المراد بكل ولي أولياء عصره أو مطلقاً، وما يناسبه:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، قد صرت مبتهجاً ومسروراً بورود الصحيفة الشريفة التي أرسلتها يا لها من نعمة يذكر أولياء الله

---

١ المكتوب الثاني والتسعون والمائتان ١: ٥١٥-٥١٩.

٢ قال رسول الله ﷺ: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه غيره»، ذكره الكلاباذي البخاري، معاني الأخبار، ٢٠٨، ٣٣٥. وللحديث رواية أخرى: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب» ذكره السيوطي في شرح سنن ابن ماجه ١: ٣١٣، وفي رواية بزيادة: «ولا نبي مرسل» ذكرها علي القاري، مرقاة المفاتيح ١: ٥٨. قال السخاوي: الحديث مرفوع. انظر: المقاصد الحسنة ٥٦٥، برقم(٩٢٦).

تعالى المنقطعين المهجورين، وقد اندرج فيها أن رسول الله ﷺ قال: «لي مع الله وقت». وقال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أيضاً مثل ذلك، وقال الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سره: «قدمي هذه على رقبة كل ولي»، وقال آخر مثل ذلك، وقد تكون في هذين الكلامين منازعة في بعض الأحيان، فنرجو من عنايتكم كتابة ما انطوى في هذين الكلامين من المعنى والفرق بينهما وإرساله إلينا، ولتكن الكتابة بالتوجه التام، مشتملة ما لها وما عليها من الكلام، وواضحة لتكون قريبة من فهم هذا الغريب.

أيها المخدوم إن هذا الفقير قد كتب في رسائله أن رسول الله ﷺ كان له وقت نادر مع وجود استمرار الوقت، وإن ذلك الوقت النادر كان في حين أداء الصلاة، ولعلك سمعت «الصلاة معراج المؤمن»[١]، و«أرحني يا بلال»[٢] شاهد عدل في إثبات هذا المطلب، ويمكن أن يكون أبو ذر الغفاري أيضاً مشرفاً بهذه الدولة بطريق الوراثة والتبعية، فإن لكُمَّل تابعيه عليه الصلاة والسلام نصيباً وافراً وحظاً كاملاً من جميع كمالاته ﷺ بطريق الوراثة.

---

١ نسبه إلى النبي ﷺ كل من النيسابوري في تفسيره ١: ١١٤، ٣: ١٣٣، والسيوطي في شرح سنن ابن ماجه، والرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ١: ٢٢٦، وإسماعيل حقي في تفسيره روح البيان ٢: ٢١٣، ٤: ٤٢٩.

٢ ورد الحديث في سنن أبي داود عن النبي ﷺ قال: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة» ٤:٢٩٦ حديث (٤٩٨٦)؛ وفي مسند بن أبي شيبة بلفظ: «يا بلال أقم الصلاة وأرحنا بها» ٢: ٤١٣ حديث (٩٣٩).

وأما ما قال حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره: «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله أو جميع الأولياء»، فقد جعل صاحب «العوارف»[١] الذي هو مريد الشيخ أبي النجيب السهروردي[٢] ومرباه وكان من محارم الشيخ عبد القادر ومصاحبيه هذه الكلمة من الكلمات التي صدرت عن المشايخ في بداية الأحوال بواسطة بقايا السكر، ونقل في «النفحات»[٣] عن الشيخ حماد[٤] الذي هو من شيوخ حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه قال بطريق الفراسة: إن لهذا العجمي قدماً تكون في وقته على رقبة جميع الأولياء، ويكون مأموراً البتة

---

١ عوارف المعارف لشهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي، قدم من سهرورد وصاحب عمه الشيخ أبا نجيب ولازمه، توفي ٦٣٢هـ؛ انظر: طبقات الشافعية، السبكي ٥: ١٤٣؛ مرآة الزمان ١: ٦٧٩؛ النجوم الزاهرة ٦: ٢٩٢؛ شذرات الذهب ٥: ١٥٣.

٢ هو العارف بالله الشيخ عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري الصديقي، أبو نجيب السهروردي، الفقيه الشافعي الصوفي، كان آية في العلم والمعرفة والورع والتصوف والإرشاد، له مؤلفات كثيرة منها: آداب المريدين. توفي سنة ٥٦٣هـ. انظر: طبقات الشافعية، السبكي ٤: ٢٥٦؛ شذرات الذهب ٤: ٢٠٨؛ وفيات الأعيان ٣: ٢٠٣.

٣ كتاب: «نفحات الأنس من حضرات القدس» تأليف الملا نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي النقشبندي، توفي سنة ٨٩٨هـ.

٤ هو الشيخ العارف الزاهد أبو عبد الله حمّاد الدبّاس الرحبي، توفي سنة ٥٢٥هـ. انظر ترجمته: وفيات الأعيان، ٢: ٣٧٤؛ ذيل طبقات الحنابلة، البغدادي ٢: ١٩٠؛ ديوان الإسلام، للغزي ٢: ١٢٨.

بأن يقول قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، ويقول ذلك البتة ويضع الأولياء جميعهم رقابهم، يعني تواضعاً وتخضعاً.

وعلى كل حال إن حضرة الشيخ محق في هذا الكلام سواء صدر عنه من بقايا السكر أو حالة الصحو، وسواء كان مأموراً بإظهاره أو لا، فإن قدمه كانت على رقاب جميع الأولياء في ذلك الوقت، وكان أولياء ذلك الوقت جميعهم تحت قدمه، ولكن ينبغي أن يعلم أن هذا الحكم مخصوص بأولياء ذلك الوقت دون الأولياء المتقدمين عليه والمتأخرين عنه فإنهم خارجون عن هذا الحكم كما يفهم من كلام الشيخ حماد أن قدمه تكون في وقته على رقبة جميع الأولياء.

وأيضاً إنه كان في بغداد غوث فذهب الشيخ عبد القادر وابن السقا وعبد الله[١] لزيارته، فقال ذلك الغوث بطريق الفراسة في حق الشيخ: كأني أراك تصعد المنبر في بغداد وتقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي الله، وأرى أولياء وقتك يضعون رقابهم ويخفضونها إجلالاً لك وإكراماً[٢]، ويفهم من كلام هذا الغوث أيضاً أن هذا الحكم كان مخصوصاً بأولياء ذلك الوقت.

---

١ قاضي القضاة شرف الدين عبد الله بن محمد بن أبي عصرون الشافعي، صاحب المدرسة العصرونية، ت: ٥٨٥هـ. انظر ترجمته: وفيات الأعيان ٣: ٥٣؛ طبقات الشافعية، السبكي ١: ٢٣١؛ النجوم الزاهرة ٦: ١٠٩.

٢ انظر الحكاية في الفتاوى الحديثية لابن حجر، ٢٢٥.

فإذا أعطى الحق سبحانه في هذا الوقت أيضاً شخصاً بصراً بصيراً يرى مثل ما رأى ذلك الغوث أن رقاب أولياء ذلك الوقت تحت قدمه، وإن هذا الحكم لا يتجاوز إلى غير أولياء ذلك الوقت، وكيف يجوز هذا الحكم في الأولياء المتقدمين فإن فيهم الأصحاب الكرام عليهم الرضوان وهم أفضل من حضرة الشيخ بيقين؟! وكيف يتمشى أيضاً في المتأخرين فإن فيهم المهدي الذي بشر النبي عليه الصلاة والسلام بقدومه ووجوده وقال إنه خليفة الله، وكذلك عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام الذي هو من الأنبياء أولي العزم من السابقين وملحق بأصحاب خاتم الرسل بمتابعة شريعته عليه الصلاة والسلام؟! ولعل وجه ما قاله النبي ﷺ: «لا يدري أولهم خير أم آخرهم»[1] هو جلالة شأن متأخري هذه الأمة.

وبالجملة إن لحضرة الشيخ عبد القادر في الولاية شأناً عظيماً ودرجة عليا، أوصل الولاية الخاصة المحمدية من طريق السر إلى النقطة الأخيرة وصار رأس حلقة تلك الدائرة، لا يتوهم هنا أن الشيخ إذا كان رأس حلقة دائرة الولاية المحمدية ينبغي أن يكون أفضل من جميع الأولياء فإن الولاية المحمدية فوق جميع ولايات الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، لأنا نقول: إنه رأس حلقة الولاية المحمدية الحاصلة من طريق السر كما مر لا رأس حلقة تلك الولاية مطلقاً حتى يلزم الأفضلية، أو نقول إن كونه رأس حلقة الولاية المحمدية مطلقاً ليس بمستلزم للأفضلية لأنه يمكن أن يكون غيره

---

١ أخرجه الترمذي(٢٨٦٩)، والطبراني في الأوسط (٣٦٦٠)، ومسند أحمد (١٢٣٥٢).

أسبق قدماً منه في كمالات النبوة المحمدية بطريق التبعية والوراثة فتثبت الأفضلية له من جهة تلك الكمالات.

وفي جماعة من مريدي حضرة الشيخ عبد القادر غلو كثير في حقه وتجاوز إلى جانب الإفراط في المحبة مثل محبي علي كرم الله وجهه المفرطين فيه، ويفهم من فحوى كلام هؤلاء الجماعة وكلماتهم أنهم يعتقدون الشيخ أفضل من جميع الأولياء المتقدمين والمتأخرين، ولا يعلم أنهم يفضلون عليه أحداً غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا من إفراط المحبة.

فإن قيل: إن الكرامات وخوارق العادات التي ظهرت من حضرة الشيخ لم تظهر من ولي أصلاً فيكون الفضل له، قلت: إن كثرة ظهور الخوارق لا دلالة فيها على الأفضلية بل يمكن أن يكون الذي لم يظهر منه خارق أصلاً أفضل من الذي ظهرت منه خوارق وكرامات.

قال شيخ الشيوخ في «العوارف» بعد ذكر الكرامات وخوارق المشايخ للعادات: وكل هذه مواهب الله تعالى وقد يكاشف بها قوم ويعطي وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شيء من هذا، لأن هذه كلها تقوية اليقين، ومن مُنِحَ صِرْف اليقين لا حاجة له إلى شيء من هذا، فكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه من تجوهر الذكر في القلب، وجعل كثرة ظهور الخوارق دليلاً على الأفضلية كجعل كثرة فضائل علي كرم الله وجهه ومناقبه دليلاً على أفضليته على الصديق رضي الله عنه فإنه لم يظهر منه هذا القدر من الفضائل والمناقب.

اسمع أيها الأخ إن خوارق العادات على نوعين: النوع الأول العلوم والمعارف الإلهية التي تتعلق بذات الواجب جل وعلا، وصفاته وأفعاله وراء

طور نظر العقل وخلاف المتعارف المعتاد، وجعل الحق سبحانه عباده الخاصة ممتازين بها.

والنوع الثاني: كشف صور المخلوقات والأخبار عن المغيبات التي تتعلق بالعالم.

والنوع الأول مخصوص بأهل الحق وأرباب المعرفة، والنوع الثاني شامل للمحق والمبطل، فإنه حاصل لأهل الاستدراج أيضاً.

والنوع الأول له شرافة واعتبار عند الحق جل وعلا لكونه مخصوصاً بأوليائه وعدم مشاركة أعدائه فيه، والنوع الثاني معتبر عند عوام الخلائق ومعزز ومكرم عند أنظارهم، حتى لو ظهر ذلك من أهل الاستدراج يكادون يعبدونه من جهلهم ويطيعونه وينقادون له فيما يأمرهم به من رطب ويابس وينهاهم، بل المحجوبون لا يعدون النوع الأول من الخوارق والكرامات، والخوارق منحصرة عندهم في النوع الثاني، والكرامات مخصوصة عندهم بكشف صور المخلوقات والأخبار عن المغيبات، ما أبعدهم عن العقل! أي شرافة وأي كرامة في علم يتعلق بأحوال المخلوقات حاضرة كانت أو غائبة؟! بل الأليق والأنسب أن يبدل مثل هٰذا العلم جهلاً ليحصل نسيان المخلوقات وأحوالها، واللائق بالشرافة والكرامة هو معرفة الحق تعالى وتقدس وهي المستحقة للإعزاز والاحترام.

ومليحة مهجورة ودميمة   مقبولة من أجل ذا عقلي عطل

غيره:

ورب مليح لا يُحب وضده   يُقبّل منه العين والخد والفم

وقريب مما ذكرنا ما قال شيخ الإسلام الهروي والإمام الأنصاري[١] في «منازل السائرين» وشارحه: «والذي ثبت عندي بالتجربة أن فراسة أهل المعرفة إنما هي في تميزهم من يصلح لحضرة الله جل وعلا ممن لا يصلح، ويعرفون أهل الاستعداد الذين اشتغلوا بالله سبحانه ووصلوا إلى حضرة الجمع، وهذه فراسة أهل المعرفة، وأما فراسة أهل الرياضة بالجوع والخلوة وتصفية الباطن من غير وصلة إلى جانب الحق تعالى فلهم فراسة كشف الصور والأخبار بالمغيبات المختصة بالخلق، فإنهم لا يخبرون إلا عن الخلق لأنهم محجوبون عن الحق سبحانه، وأما أهل المعرفة فلاشتغالهم بما يرد عليهم من معارف الحق تعالى لا يكون إخبارهم إلا عن الحق تعالى.

ولما كان العالم أكثرهم أهل انقطاع عن الله سبحانه واشتغال بالدنيا مالت قلوبهم إلى أهل كشف الصور والأخبار عما غاب من أحوال المخلوقات فعظموهم واعتقدوا أنهم أهل الله وخاصته، وأعرضوا عن كشف أهل الحقيقة واتهموهم فيما يخبرون عن الله سبحانه وقالوا: لو كان هؤلاء أهل الحق كما يزعمون لأخبرونا عن أحوالنا وأحوال المخلوقات، وإذا كانوا لا يقدرون على كشف أحوال المخلوقات فكيف يقدرون على كشف أمور أعلى من هذه! وكذّبوهم بهذا القياس الفاسد، وعميت عليهم الأنباء الصحيحة ولم يعلموا

---

١ أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي، شيخ الإسلام، ت: ٣٩٦هـ. من تصانيفه: منازل السائرين، وذم الكلام وأهله. انظر: سير أعلام النبلاء ١٤ : ٢٦؛ توضيح المشتبه ١ : ٥٠٥.

أن الله تعالى قد حمى هؤلاء عن ملاحظة الخلق، وخصهم وشغلهم عما سواه حماية لهم وغيرة عليهم، ولو كانوا ممن يتعرض لأحوال الخلق ما صلحوا للحق سبحانه.

وقد رأينا أهل الحق إذا التفتوا أدنى التفات إلى كشف الصور أدركوا منها ما لا يقدر غيرهم على إدراكه بالفراسة التي يثبتها أهل المعرفة، وهي الفراسة فيما يتعلق بالحق سبحانه وما يقرب منه، وأما فراسة أهل الصفاء الخارجين المتعلقين بالخلق فلا يتعلق بجناب الحق سبحانه ولا ما يقرب منه، ويشترك المسلمون والنصارى واليهود وسائر الطوائف فيها لأنها ليست شريفة عند الله سبحانه فيختص بها أهله»[1].

١١٢ - دوام نسبة الرابطة والفتور في المشغولية:

قال قدس سره في مكتوبه إلى الخواجه محمد أشرف والحاج محمد الفِركتي في جواب سؤاليهما أحدهما عن دوام نسبة الرابطة والآخر عن الفتور في المشغولية:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وصلت الصحيفة التي أرسلها الأخ الأعز الأشرف، واتضحت الكيفيات المندرج فيها. بيانها: كتب الخواجه محمد أشرف عن دوام نسبة الرابطة بأنها قد استولت على حد أراها في الصلاة مسجودة لي فإن نفيتها فرضا لا تنتفي أصلاً.

---

١ المكتوب الثالث والتسعون والمائتان ١: ٥١٩-٥٢٣.

أيها المحب! إن هذه الدولة هي متمنى الطلاب ولا يعطاها إلا واحد من ألوف، وصاحب هذه المعاملة مستعد تام المناسبة، يحتمل أن يجذب جميع الكمالات بقليل من صحبة المقتدى به، وكيف تنفى الرابطة فإنها مسجود إليها لا مسجود لها ولم لا تنفى المحارب والمساجد؟! وظهور مثل هذه الدولة إنما يتيسر للسعداء حتى يعلم صاحب الرابطة واسطته في جميع الأحوال، وليكون متوجهاً إليه في جميع الأوقات، لا لجماعة حرموا الدولة وزعموا أنفسهم مستغنين ويحرفون قبلة توجههم عن شيخهم ويضيعون معاملتهم.

وذكر مولانا الحاج محمد أنه قد طرأ الفتور في المشغولية منذ شهرين ولم يبق شيء من الذوق والحلاوة اللذين كانا من قبل.

أيها المحب! لا غم إذا لم يطرأ الفتور على شيئين: أحدهما: متابعة صاحب الشريعة عليه وعلى آله الصلاة والسلام والتحية، الثاني: الإخلاص والمحبة لشيخه، فلو طرأ ألوف من الظلمة مع وجود هذين الأمرين لا يضر ولا يخاف عليه من الضياع، ولو ظهر النقصان عياذاً بالله سبحانه في واحد من هذين الأمرين فخسران في خسران، وإن كان في حضور وجمعية فإنه استدراج وله سوء العاقبة، ينبغي أن يطلب من الحق سبحانه بالتضرع والابتهال الثباتَ على هذين الأمرين، وأن يسأله سبحانه الاستقامة عليهما فإنهما ملاك الأمر ومدار

النجاة، والسلام عليكم و على سائر الإخوان خصوصاً على المحب القديم مولانا عبد الغفور السمرقندي»[١][٢].

١١٣ - بحث الإمامة وحقيقة مذهب أهل السنة والجماعة:

قال قدس الله سره في مكتوبه إلى الخواجه محمد التقي في بيان بحث الإمامة وحقيقة مذهب أهل السنة والجماعة ومخالفيهم، وأن أهل السنة متوسطون بين الإفراط والتفريط اللذين اختارهما الروافض[٣] والخوارج:

«أيها الطالب للنجاة! إن من علامات أهل السنة والجماعة تفضيل الشيخين[٤] ومحبة الختنين[٥]، واجتماع تفضيل الشيخين مع محبة الختنين من خصائص أهل السنة والجماعة، وتفضيل الشيخين ثابت بإجماع الصحابة والتابعين كما نقله أكابر الأئمة، أحدهم الإمام الشافعي:.

---

١ هو عبد الغفور من نسل سعد بن عبادة، وهو من أجلّ تلاميذ مولانا عبد الرحمن الجامي حيث قرأ عليه أكثر مصنفاته. انظر: رشحات عين الحياة، الهروي.

٢ مختصر المكتوب الثلاثون ٢: ٦٢.

٣ الروافض: وهم فرقة من الشيعة الإمامية، وهم يمثلون أكبر نسبة عددية بين الشيعة، وهم أربع وعشرون فرقة، مجمل اعتقادهم أن النبي ﷺ نص على استخلاف سيدنا علي كرّم الله وجهه باسمه، وأنه وقع في القرآن الكريم زيادة ونقص. انظر رسالة الرد على الروافض للإمام الرباني، مقالات الإسلاميين، الأشعري ١: ٧٩-١٤٨؛ الفرق بين الفرق، للبغدادي ٣٨-٥٩.

٤ الخليفة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

٥ سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا علي كرم الله وجهه و رضي الله عنهما.

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري[1] :تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهم على سائر الأمة قطعي، وقد ثبت عن علي كرم الله وجهه بالتواتر في زمن خلافته وكرسي مملكته وبين الجم الغفير من شيعته أن أبا بكر وعمر أفضل هذه الأمة كما ذكره الذهبي، وروى عنه الإمام البخاري أنه قال: «أفضل الناس بعد الرسول ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم رجل آخر، فقال ابنه محمد بن الحنفية: ثم أنت، فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»[2].

وبالجملة إن تفضيل الشيخين قد بلغ من كثرة الرواة الثقات حد الضرورة والتواتر فإنكاره إما من الجهل وإما من التعصب، ولما لم يجد عبد الرزاق الذي هو من أكابر الشيعة مجالاً للإنكار قال بتفضيل الشيخين من غير اختيار، وقال: حيث فضّل عليٌّ الشيخين على نفسه أفضلهما أنا أيضاً عليه لتفضيله، ولو لا أنه فضلهما على نفسه لما فضلتهما عليه، وبالٌ عليّ أن أدعِيَ محبة عليّ ثم أخالفه.

ولما كثر في زمان خلافة الختنين ظهور الفتن والاختلال في أمور الناس وحصلت من هذه الجهة كدورة غير محصورة في قلوب الناس واستولت

---

١ هو أبو الحسن علي بن إسماعيل، من نسل الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري، كان معتزلياً تتلمذ على يد أبي علي الجبائي المعتزلي، ثم تحول إلى المذهب الأشعري، توفي سنة ٣٢٤هـ. من تصانيفه: الإبانة في أصول الديانة، اللمع، مقالات الإسلاميين. انظر: وفيات الأعيان، ٢: ٤٤٦؛ طبقات الشافعية، السبكي ٢: ٢٤٦؛ تاريخ بغداد ١٢: ١٦٩؛ طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة ١: ١١٣.

٢ روى قريباً منه الإمام أحمد في مسنده (١٠٥٤)؛ والطبراني في الأوسط (٢٧٢٨).

العداوة والبغضاء فيما بين المسلمين عُدَّت محبة الختنين أيضاً بالضرورة من جملة شرائط كون شخصٍ من أهل السنة والجماعة، لئلا يسيء الجاهل الظن من هذه الحيثية بأصحاب خير البشر عليه و على آله الصلاة والسلام، ولئلا يضمر البغض والعداوة لنواب رسول الله وقائمي مقامه عليه وعليهم الصلاة والسلام؛ فكانت محبة عليّ كرم الله وجهه شرطاً للتسنن، ومن ليست فيه هذه المحبة صار خارجاً عن أهل السنة ويسمى خارجياً.

والذي اختار طرف الإفراط في محبة عليّ ووقع منه الزيادة على القدر اللائق وأظهر الغلو في تلك المحبة وأطال اللسان بسب أصحاب خير البشر عليه وعليهم الصلاة والسلام وترك طريق الصحابة والتابعين والسلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين ورفضه سمي رافضياً.

فأهل السنة متوسطون بين الإفراط في محبة عليّ كرم الله وجهه وبين التفريط فيها اللذين اختارهما الروافض والخوارج، ولا شك أن الحق في الوسط، والإفراط والتفريط كلاهما مذمومان، كما روى الإمام أحمد بن حنبل عن عليّ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فيك مثل من عيسى عاداه اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبه النصارى حتى أنزلوه منزلة ليس هو فيها- يعني قالوا: إنه ابن الله -فقال علي: هلك فيّ اثنان المفرط في محبتي حتى يثبت لي ما ليسَ في، والثاني من يعاديني ويفتري علي بالعداوة. فشبّه حال الخوارج بحال اليهود وحال الروافض بحال النصارى، وكلاهما وقعا من الحق الوسط في الطرفين.

وما أجهل من لا يعد أهل السنة والجماعة من محبي عليّ ويزعم محبته مختصة بالرفضة، وليست محبة عليّ من الرفض، وإنما الرفض التبري من الخلفاء

الثلاثة، والتبري من الأصحاب الكرام مذموم وصاحبه عليه ملوم، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

لو كــان رفــضــاً حب آل محمد   فلـيشهد الثقـــلان أني رافـــضـى

وكان أصحاب رسول الله ﷺ عند أكابر أهل السنة والجماعة شكر الله سعيهم في وقت منازعة بعضهم بعضاً ثلاث فرق :فرقة عرفوا حقية جانب علي بالدليل والاجتهاد، وجماعة أخرى وجدوا أيضاً بالدليل والاجتهاد حقية جانب آخر، وطائفة ثالثة كانوا متوقفين لم يرجحوا جانباً واحداً بالدليل.

فلزمت الطائفة الأولى نصرة جانب علي بمقتضى اجتهادهم، ولزمت الطائفة الثانية نصرة جانب مخالفيه على مؤدى اجتهادهم، ولزم الطائفة الثالثة التوقف وكان ترجيح إحديهما على الأخرى خطأ في حقهم، فعمل كل فرقة من هذه الفرق الثلاث بمقتضى اجتهادهم وأدوا ما هو الواجب واللازم على ذمتهم، فكيف يكون للملامة مجال فيهم؟ وكيف يكون الطعن مناسباً لهم؟

وقال الإمام الشافعي ونقل عن عمر بن عبد العزيز أيضاً رضي الله عنهما: «تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلنطهر عنها ألسنتنا»[1]، ويفهم من هذه العبارة أنه لا ينبغي تحريك الشفتين أيضاً بحقية إحديهما وتخطئة الأخرى، وأن لا يذكر كلهم بغير الخير، وكذلك ورد في الحديث النبوي حيث قال النبي ﷺ:

---

١ مناقب الشافعي، للبيهقي ١٣٦.

«إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[١] يعني إذا ذكر أصحابي ومنازعاتهم فامتنعوا عن ذلك ولا تختاروا أحدهم على الآخر.

ولكن جمهور أهل السنة ذاهبون لما ظهر لهم بدليل إلى أن الحق في جانب علي كرم الله وجهه ومخالفوه سالكون طريق الخطأ، ولكن لما كان هذا الخطأ خطأً اجتهادياً بعد عن الملامة والطعن وتنـزه عن التحقير وتبرأ من التشنيع، ونقل عن علي رضي الله عنه أنه قال: إخواننا بغوا علينا لا هم كفار ولا فساق، فإن لهم تأويلاً يمنع عنهم الكفر والفسق، فأهل السنة والرافضة كلاهما يخطئون محاربي علي وكلاهما يقولون بحقية جانبه، ولكن لا يجوز أهل السنة الزيادة على إطلاق لفظ الخطأ الناشيء عن التأويل في حق محاربيه ويحفظون اللسان من طعنهم وتشنيعهم ويراعون حق صحبة خير البشر عليه وعليهم الصلاة والسلام، قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي»[٢]، وكرر لفظ الجلالة للتأكيد. وقال أيضاً: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[٣].

---

١ أخرجه الطبراني في الكبير ٢: ٧٨؛ وأبو نعيم في الحلية ٤: ١٠٨.

٢ أخرجه النسائي في سننه، رقم(٣٨٦٢)؛ وأحمد في فضائل الصحابة ١: ٤٧-٤٩، وكذلك في مسنده ٣٤: ١٦٩ (٢٠٥٤٩).

٣ ذكره ابن بطة في الإبانة ٢: ٥٦٤ حديث (٧٠٢)؛ الآجري في الشريعة ٤: ١٦٩٠ حديث (١١٦٦)، قال البيهقي: هذا حديث مشهور وأسانيده كلها ضعيفة لم يثبت منها شيء، وقال ابن عبد البر: هذا كلام لا يصح عن النبي ﷺ.

وورد أحاديث أخرى كثيرة في باب تعظيم الأصحاب وتوقيرهم أجمعين، فينبغي إعزازهم وتكريمهم جميعاً وحمل زلاتهم على محامل حسنة، وهذا هو مذهب أهل السنة في هذه المسألة والروافض يغالون في هذا الباب حتى يكفرون محاربي علي، ويلوثون ألسنتهم بأنواع الطعن وأقسام الشتم، فإن كان المقصود ظهور حقية جانب علي وإظهار خطأ محاربيه فما اختاره أهل السنة كاف فيه و على حد الاعتدال، والطعن في أكابر الدين بعيد عن الديانة والتدين كما اختاره الرافضة، وزعموا شتم أصحاب رسول الله ﷺ دينهم وإيمانهم، ما أقبحه من دين! حيث إن جزاءه الأعظم سب نواب النبي وشتم خلفائه عليه وعليهم الصلاة والسلام، واختار كل واحدة من طوائف المبتدعة بدعة وامتاز بها عن أهل السنة والجماعة، ولكن فرقة الخوارج والروافض من بين جميع هؤلاء الطوائف بعيدة عن الحق والصواب جداً، فإذا كان سب أكابر الدين ولعنهم جُزءاً أعظم من إيمانهم كيف يكون لهم نصيب من الحق!

وافترقت الروافض على اثنتي عشرة فرقة كلهم يكفرون أصحاب النبي ﷺ و يعتقدون سب الخلفاء الراشدين عبادة، وهذه الجماعة يتحاشون عن إطلاق لفظ الرفض على أنفسهم ويزعمون الروافض غيرهم لما ورد في الأحاديث وعيد شديد في حق الرّفضة، فيا ليتهم اجتنبوا عن معنى الرّفضة أيضاً ولم يتبرؤوا عن أصحاب النبي عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وهنود بلاد الهند يعني مجوسهم أيضاً يقولون لأنفسهم هنوداً ويتحاشون عن الكفر ولا يعتقدون أنفسهم كفاراً، ويزعمون أن الكفار هم سكان دار الحرب، وغلطوا في هذا الفهم، بل كلا الصنفين كفار ومتحققون

بحقيقة الكفر، وكأنهم زعموا أن أهل بيت النبي عليه وعليهم الصلاة والسلام مثلهم، وتخيلوهم أيضاً أعداء أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهذه الطائفة يظنون أكابر أهل البيت بحكم التقاة التي يزعمونها منافقين ومخادعين، ويزعمون أن علياً كرم الله وجهه صحب الخلفاء الراشدين ثلاثين سنة بحكم التقاة صحبة نفاق، وعظّمهم ووقّرهم من غير حق واستحقاق، ما أحسن هذه المعاملة وما أجملها!

فإن كانت محبة أهل بيت رسول الله بواسطة محبة رسول الله صلى الله عليه وعليهم وسلم ينبغي أن يكونوا أيضاً أعداء لأعداء رسول الله ﷺ، وأن يسبوهم ويلعنوهم أكثر من سب أعداء أهل البيت ولعنهم، ولم يسمع من أحد من هذه الطائفة أنه سب أبا جهل ولعنه مع أنه أشد أعداء رسول الله ﷺ وآذاه بأنواع الأذية والجفاء، ولم يحرك أحد منهم لسانه بذكر مساويه، وأبو بكر الصديق الذي هو أحب[1] الرجال إلى رسول الله ﷺ يزعمونه بزعمهم الفاسد عدواً لأهل البيت، ويطيلون ألسنتهم بسبه وطعنه، وينسبون إليه أموراً غير مناسبة به، فأي تدين هذا وأي ديانة! لا قدر الله سبحانه كون أبي بكر وعمر وسائر الصحابة الكرام أعداء أهل بيت رسول الله عليه وعليهم الصلاة والسلام ومبغضين[2] ومعادين لآل محمد ﷺ.

---

١ أخرج البخاري عن عمرو بن العاص أنه سأل رسول الله ﷺ أيّ الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقال: مِنَ الرجال؟ قال: «أبوها». منه، عفي عنه.

٢ عطف على أعداء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وليت هؤلاء العارين عن لباس الإنصاف يسبون أعداء أهل البيت من غير تعيين أسامي أكابر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن غير إظهار سوء ظن بأكابر الدين، فترتفع حينئذ مخالفتهم في هذا الباب لأهل السنة، فإن أهل السنة أيضاً يعادون أعداء أهل البيت ويقولون بطعنهم وتشنيعهم، ومن حسن أهل السنة أنهم لا يقولون لشخص معين مبتلى متلبس بأنواع الكفر جهنمياً، ولا يجوزون إطلاق اللعن عليه لاحتمال إسلامه وتوبته في آخر أمره، وإنما يجوزون إطلاق اللعن على الكافرين مطلقاً دون تعيين شخص منهم ما لم يعلم سوء خاتمته بدليل قطعي، والروافض يلعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بلا تحاش ويسبون أكابر الصحابة ويطعنون فيهم من غير اكتراث هداهم الله إلى سواء الصراط.

وفي هذا المبحث اختلاف عظيم بين أهل السنة وبين مخالفيهم في مقامين:

المقام الأول: هو أن أهل السنة قائلون بحقية خلافة الخلفاء الأربع، ويقولون لكل واحد من هؤلاء الأربع خليفة حقاً، لأنه قد ورد في الحديث الصحيح بطريق الأخبار عن المغيبات «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»[1] وهذه المدة تمت بخلافة علي، فبمقتضى هذا الحديث يكون كل من الأربعة خليفة، ويكون ترتيب الخلافة على الحق، والمخالفون ينكرون حقية خلافة الخلفاء الثلاثة وينسبون خلافتهم إلى التعصب والتغلب، ولا يعتقدون أحداً غير علي

---

١ أخرج أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة بلفظ الخلافة بعدي من أمتي ثلاثون سنة. منه.

إماماً على الحق، ويحملون البيعة الواقعة من علي للخلفاء الثلاثة على التقاة، ويظنون الصحبة الواقعة فيما بين الأصحاب الكرام صحبة نفاق، ويتصورون المداراة الكائنة فيهم مخادعة، فإن موافقي علي قد صحبوا في زعم هؤلاء الفرقة مع مخالفيه بحكم التقاة صحبة نفاق، وأظهروا بلسانهم خلاف ما في قلوبهم، ومخالفو علي لما كانوا في زعم هؤلاء الطائفة أعداءه وأعداء موافقيه وأحبابه كانوا أحباباً لهم على سبيل النفاق، وأظهروا المعاداة في صورة الموالاة، فيكون جميع أصحاب رسول الله ﷺ على زعمهم الفاسد منافقين ومخادعين ومظهرين بظواهرهم خلاف ما في بواطنهم، فيكون شرار هذه الأمة عند هؤلاء الفرقة هم الأصحاب الكرام، و يكون شر الصحبات وأخبثها صحبة خير البشر عليه وعلى آله الصلاة والسلام، حيث نشأت منها أمثال هذه الأخلاق الذميمة، ويكون شر القرون قرن الأصحاب لكونه مملوءاً من النفاق والعداوة والبغضاء والحقد، وقد قال الله في كلامه المجيد في حقهم: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، أعاذنا الله سبحانه من اعتقاداتهم السوء فإذا جعلوا سابقي هذه الأمة متصفين بهذه الأخلاق الذميمة فكيف توجد الخيرية في اللاحقين.

والمقام الثاني: هو أن أهل السنة والجماعة شكر الله سعيهم يحملون مشاجرات أصحاب خير البشر عليه وعليهم الصلوات والتسليمات ومنازعاتهم على محامل حسنة ويعتقدونها بعيدة عن الهوى والتعصب، فإن نفوسهم صارت مزكاة في صحبة خير البشر عليه وعليهم الصلاة والسلام وساحة صدورهم طاهرة نظيفة من العداوة والغل والحقد.

غاية ما في الباب أنه لما كان لكل واحد منهم رأى واجتهاد وكان العمل لكل مجتهد على وفق اجتهاده واجباً لزمت المشاجرة والمخالفة في بعض الأمور بسبب مخالفة الآراء بالضرورة، وكان اتباع كل منهم رأى نفسه صواباً، كانت مخالفتهم مثل موافقتهم لأجل الحق لا للهوى والهوس واتباع النفس الأمارة.

والروافض يكفرون مخالفي علي ومحاربيه ويجوزون في حقهم أنواع الطعن والتشنيع، فإذا صدرت مخالفة الأصحاب الكرام للنبي ﷺ في بعض الأمور الاجتهادية وحكمهم بخلاف حكمه[1] عليه الصلاة والسلام، ولم تكن مخالفتهم هذه مذمومة، ولم يكونوا ملومين عليها، ولم يجئ منعهم عنها مع وجود نزول الوحي في ذلك الوقت، فكيف تكون مخالفتهم لعلي في الأمور الاجتهادية كفراً؟ ولِمَ يكون المخالفون مطعوناً فيهم وملومين؟!

كيف وإن المخالفين جم غفير من أهل الإسلام، ومن أجلة الأصحاب الكرام، وبعض منهم مبشر بالجنة، وليس تكفيرهم وتشنيعهم أمرا يسيراً، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، فإنهم كادوا يكونون هم الذين بلّغوا قريباً من نصف الدين والشريعة، فإذا كانوا مطعوناً فيهم يزول الاعتماد عن شطر الدين، كيف يكون هؤلاء الأكابر مطعوناً فيهم مع أنه لم يَرُدّ أحد رواية أحد منهم أصلاً لا علي ولا غيره.

---

١ كما وقع في أسارى بدر وغزوة الخندق حين أراد النبي ﷺ إعطاء ثلث محصول المدينة لغطفان فلم يرض به الأنصار كما هو مشهور بين أربابه. منه .

وأيضاً إن صحيح البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، ويعترف به الشيعة أيضاً، وسمع هذا الفقير أحمد التبتي الذي كان من أكابر الشيعة يقول إن كتاب البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله، وفيه روايات من موافقي علي وروايات من مخالفيه، ولم يجعل الرجحان وعدمه مبنياً على الموافقة والمخالفة فكما أنه يروي عن علي يروي عن معاوية، فلو كان في معاوية وفي روايته شائبة الطعن لما أدرج روايته في كتابه أصلاً، وكذلك لم يفرق بهذا الوجه في رواية الحديث أحد من نقاد الأحاديث من السلف، ولم يجعل مخالفة علي منشأ للطعن.

ومما ينبغي أن يعلم أنه لا يلزم أن يكون علي رضي الله عنه محقاً في جميع الأمور الخلافية ولا يقطع به وأن يكون مخالفوه على الخطأ، وإن كان الحق في أمر المحاربة في جانبه، فإن علماء الصدر الأول من التابعين والأئمة المجتهدين اختاروا مذهب غيره في كثير من الأحكام الخلافية ولم يحكموا بمذهبه، فإن كان الحق متعيناً في جانبه لما كانوا يحكمون بخلافه، وكان القاضي شريح من التابعين وصاحب اجتهاد ولم يحكم بمذهب عليس ولم يقبل شهادة ابنه الحسن عليهما الرضوان له بواسطة نسبة البنوة، وعمل المجتهدون بقول شريح وأخذوا به ولم يجوزوا شهادة الابن للأب.

واختيار الأقوال التي تخالف رأي علي كرم الله وجهه كثير في مسائل أخرى أيضاً لا يخفى على المتتبع المنصف، وتفصيله يستدعي تطويلاً، فلا يكون في مخالفة علي كرم الله وجهه مجال للاعتراض، ولا يكون مخالفوه مطعوناً فيهم وملومين.

وكانت عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها حبيبة حبيب رب العالمين ومقبولته ومنظورة إليه ﷺ إلى شفير اللحد، وكان ﷺ مقيماً في حجرتها في مرض موته، وقبض روحه الشريفة في حجرها وبين سحرها ونحرها ودفن في حجرتها المطهرة، ومع ذلك الشرف كله كانت رضي الله عنها عالمة ومجتهدة وأحال النبي ﷺ[١] بيان شطر الدين عليها، ورجع الأصحاب الكرام في مشكلات الأحكام إليها ووجدوا حل المغلقات منها، فالطعن في مثل هذه الصديقة المجتهدة بواسطة مخالفة علي ونسبة الأشياء الغير اللائقة إليها غير مناسبة جداً وبعيدة عن الإيمان بالنبي ﷺ، فإن كان علي كرم الله وجهه ختنه وابن عمه فالصديقة زوجته المطهرة وحبيبته المقبولة عليه وعلى جميع أهل بيته الصلاة والسلام.

وكان دأب الفقير قبل هذا بسنين إذا طُبخ طعامٌ كنت أجعل حصة منه مخصوصة بروحانيات أهل العباءة: نبينا ﷺ وعلي وفاطمة والإمامين يعني السبطين رضوان الله عليهم أجمعين، فرأيت النبي ﷺ في المنام فسلمت عليه وهو ﷺ لا يكون متوجهاً إلى الفقير بل يتوجه إلى جانب آخر وقال في تلك

---

١ جاء عن النبي ﷺ بألفاظ مختلفة: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء» . وفي رواية «خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء» . وفي أخرى: «خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة». قال الذهبي: هو من الأحاديث الواهية التي لا يعرف لها إسناد. انظر: كشف الخفاء، العجلوني ١: ٤٤٩؛ المقاصد الحسنة، السخاوي ٧٧١. والحديث معناه صحيح كما ذكر القاري.

الأثناء للفقير: «أنا آكل الطعام في بيت عائشة فكل من يرسل الطعام إليَّ فليرسله إلى بيت عائشة »، فتيقن الفقير في ذلك الوقت أن سبب عدم توجهه الشريف هو عدم تشريك الفقير الصديقة في الطعام، فبعد ذلك كنت أجعل الصديقة بل سائر الأزواج المطهرات اللاتي كلهن من أهل البيت شركاء في الطعام، وكنت أتوسل بجميع أهل البيت. .

فالجفاء والإيذاء اللذان يصيبان النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام من جهة الصديقة أزيد من الجفاء والإيذاء اللذين يصيبانه ﷺ من جهة علي، وهذا المعنى غير مخفي على العقلاء أصحاب الإنصاف.

نعم إن هذا على تقدير كون محبة علي و تعظيمه بواسطة محبة الرسول وتعظيمه عليه وعلى آله الصلاة والسلام وبواسطة قرابته ﷺ، وأما من اختار محبة علي استقلالاً ولم يجعل لحب النبي ﷺ فيها مدخلاً فهو خارج عن المبحث وغير قابل للمخاطبة، غرضه إبطال الدين وهدم الشريعة، يريد أن يتخذ سبيلاً بدون توسط النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام، ويرغب عن محمد في علي، وهو محض الكفر وعين الزندقة، وعلي كرم الله وجهه بريء منه ومتأذ من صنيعه.

فإن حب أصحابه وأختانه ﷺ بواسطة حبه عليه الصلاة والسلام، وتعظيمهم وتكريمهم بواسطة تعظيمه وتكريمه ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: «من أحبهم فبحبي أحبهم»[1]، وكذلك من كان مبغضاً إياهم فإنما

---

١ رواه ابن حبان في صحيحه (٧٢٥٦).

يكون ذلك ببغضهﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام:«ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»[1] يعني أن المحبة التي تتعلق بأصحابي عين المحبة التي تتعلق بي، وكذلك بغضهم هو عين البغض الذي يتعلق بي.

وطلحة[2] والزبير[3]رضي الله عنهما من كبار الأصحاب ومن العشرة المبشرة بالجنة فالطعن فيهما وتشنيعهما غير مناسب، ولعنهما وطردهما عائدان إلى اللاعن والطارد، وهما اللذان جعلهما الفاروق من الستة التي ترك الخلافة شورى بينهم لما لم يجد دليلاً واضحاً لترجيح بعضهم على بعض، فتركا نصيب الخلافة عن أنفسهما باختيارهما، وقال كل منهما : «تركت حظي».

وطلحة هو الذي قتل أباه بواسطة صدور سوء أدب عنه في حقه ﷺ وجاءه برأسه، وورد ثناؤه على فعله هذا في القرآن المجيد، والزبير هو الذي أخبر المخبر الصادق عليه وعلى آله الصلاة والسلام بكون قاتله في جهنم حيث قال ﷺ: «قاتِلُ الزبير في جهنم»[4]، ولعن الزبير ليس بأدون من قتله، فلاعنه وقاتله متساويان.

---

١ رواه ابن حبان في صحيحه (٧٢٥٦)

٢ هو الصحابي الجليل: طلحة بن عبيد الله القرشي، المعروف بطلحة الخير، وطلحة الفيّاض، استشهد في معركة الجمل رضي الله عنه.

٣ هو الصحابي الجليل: الزبير بن العوّام بن خويلد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أحد أصحاب الشورى، توفي سنة ٣٦هـ.

٤ المنقول أنه من كلام سيدنا علي كرّم الله وجهه كما رواه الإمام أحمد في مسنده (٦٨٠)، أن قاتل الزبير رضي الله عنه استأذن بالدخول على عليّ رضي الله عنه فقال: ائذنوا له

فالحذر ثم الحذر من الطعن في أكابر الدين وذم كبراء الإسلام الذين بذلوا جهدهم في إعلاء كلمة الإسلام ونصرة سيد الأنام، وأنفقوا أموالهم لتأييد الدين بالليل والنهار وفي السر والجهار، وتركوا لحب الرسول عشائرهم وقبائلهم وأولادهم وأزواجهم وأوطانهم ومساكنهم وعيونهم وزروعهم وأشجارهم وأنهارهم، وآثروا نفس الرسول ﷺ على أنفسهم واختاروا محبته على محبتهم ومحبة أموالهم وذرياتهم، وهم الذين نالوا شرف الصحبة وفازوا في صحبته ببركات النبوة وشاهدوا الوحي يعني نزوله، وتشرفوا بحضور الملك، ورأوا الخوارق والمعجزات حتى صار غيبهم شهادة وعلمهم عيناً، وأعطوا من اليقين ما لا يعطى أحد من بعدهم حتى لا يبلغ إنفاق غيرهم مثل أحد ذهبًا إنفاقهم مد شعير ولا نصيفه، وهم الذين أثنى الله تعالى عليهم في القرآن المجيد ورضي عنهم وهم رضوا عنه ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، سمى الله الغائظ بهم كفارا، فليحذر عن غيظهم كما يحذر عن الكفر، والله الموفق.

والجماعة الذين صحبوا مثل هذه النسبة برسول الله ﷺ وصاروا مقبولين لديه ومنظورين إليه ﷺ إذا خالف بعضهم بعضاً في بعض الأمور وتشاجروا وعملوا بما أدى إليه رأيهم واجتهادهم لا يكون مجال للطعن فيهم

ليدخل قاتل الزبير النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبي حواري وحواري الزبير».

ولا للاعتراض على صنيعهم؛ بل الحق والصواب في ذلك الموطن هو عين الاختلاف وعدم تقليد رأي غيره، ألا ترى أن تقليد الإمام أبي يوسف أبا حنيفة رضي الله عنهما بعد وصوله إلى درجة الاجتهاد خطأ، والصواب إنما هو تقليد رأي نفسه، حتى إن الإمام الشافعي رضي الله عنه لا يقدم قول صحابي أي صحابي كان سواء كان صديقاً أو علياً على رأيه بل يرى الصواب في العمل برأيه وإن كان مخالفاً لقول صحابي.

فإذا كان لمجتهد من الأمة غير صحابي مجال في مخالفة آراء الأصحاب، كيف يكون الأصحاب مطعوناً فيهم إذا خالف بعضهم بعضاً؟ مع أنا نقول إن الأصحاب الكرام قد خالفوا في الأمور الاجتهادية رأي رسول الله ﷺ ولم يرد الذم على خلافهم ذلك مع وجود نزول الوحي، ولم يرد المنع عن اختلافهم ذلك كما مر، فإن كان اختلافهم ذلك غير مرضي وغير مقبول عند الحق جل شأنه لكان يرد المنع عنه وينـزل الوعيد على المخالفين، ألا ترى كيف جاء المنع من رفع الصوت حين رفع جماعة أصواتهم فوق صوت النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام وترتب عليه الوعيد! قال الله تبارك وتعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[الحجرات: ٢] الآية.

ووقع في أسارى بدر اختلاف عظيم حيث حكم عمر الفاروق وسعد بن معاذ بقتل الأسارى وحكم الآخرون بالتخليص والفدية، وكان الرأي المقبول عنده ﷺ الحكم بالتخليص والفدية، وسائر مواضع الاختلافات كثيرة.

ومن هذا القبيل اختلافهم في إتيان القرطاس حين طلب النبي في مرض موته قرطاساً ليكتب لهم شيئاً، فأراد جمعٌ إتيان القرطاس ومنعه الآخرون،

وكان الفاروق من الذين لم يرضوا بإتيان القرطاس، وقال: «حسبنا كتاب الله»، فأكبّ الطاعنون من هذه الجهة على الفاروق، وأطالوا لسان الطعن والتشنيع عليه، وليس هذا في الحقيقة محلاً للطعن، فإن الفاروق قد علم أن زمان الوحي صار منقطعاً والأحكام السماوية قد تمت، ولم يبق مجال لإثبات الأحكام غير الرأي والاجتهاد، وكل ما يكتب النبي ﷺ يكون من الأمور الاجتهادية التي فيها شركة للآخرين بقوله تعالى:﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[الحشر: ٢].

فرأى الصواب في أن لا يصدع النبي ﷺ عند غلبة وجعه وأن يكتفي برأي غيره واجتهاده، «حسبنا كتاب الله» يعني القرآن المجيد مأخذ القياس والاجتهاد وكاف للمستنبطين فيستنبط منه الأحكام، وتخصيص الكتاب بالذكر يمكن أن يكون أنه علم بالقرائن أن تلك الأحكام التي هو ﷺ في صدد كتابتها مأخذها الكتاب لا السنة حتى يذكر السنة، فكان منع الفاروق من جهة الشفقة والمرحمة لئلا يصدع النبي ﷺ بشيء في شدة الوجع، وكان أمره ﷺ بإتيان القرطاس للاستحسان لا للوجوب ليكون غيره مستريحين من مشقة استنباطه، فلو كان أمر «ائتوني» للوجوب لبالغ النبي ﷺ فيه ولما كان يعرض عنه لمجرد الاختلاف.

فإن قيل: قد قال الفاروق في ذلك الوقت: «أهجر، استفهموه» فما يكون المراد منه؟

أجيب، لعل الفاروق فهم في ذلك الوقت أن هذا الكلام إنما صدر عنه ﷺ بواسطة الوجع من غير قصد واختيار، كما يتوهم من لفظ «أكتب»

فإنه ﷺ كان أمياً لم يكتب شيئاً أصلاً، وأيضاً إنه قال: «لن تضلوا بعدي» فإذا كان الدين كاملاً وصارت النعمة تماماً وحصل رضا المولى به كيف تتصور الضلالة بعد ذلك؟ وماذا يقدر يكتب في ساعة واحدة حتى تندفع به الضلالة؟ ألم يكف الذي كتب في مدة ثلاث وعشرين سنة ولم تندفع به الضلالة ويكتب في ساعة واحدة شيئاً مع وجود شدة المرض تندفع به الضلالة؟

فعلم الفاروق من هنا أن هذا الكلام جرى على لسانه الشريف من غير قصد منه بناء على البشرية فقال: حققوا هذا المعنى بالاستفسار منه ثانياً، فارتفع الكلمات في أثناء الاختلاف، فقال النبي ﷺ: «قوموا ولا تختلفوا فإنه لا يستحسن النـزاع عند نبي»، ولم يقل ثانياً من هذه المقولة شيئاً ولم يذكر دواةً ولا قرطاساً.

ينبغي أن يعلم أن الاختلاف الواقع من الأصحاب الكرام في بعض الأمور الاجتهادية بالنسبة إلى النبي عليه وعليهم الصلاة والسلام لو كان عياذاً بالله سبحانه فيه شائبة الهوى والتعصب لانجر ذلك إلى اللحوق بزمرة أهل الارتداد وإخراج الرأس من ربقة الإسلام، فإن سوء الأدب وسوء المعاشرة معه ﷺ كفر أعاذنا الله سبحانه منه، بل كان هذا الاختلاف بناء على أمر:فاعتبروا، فإن من كان فيه رتبة الاجتهاد فتقليده اجتهاد غيره ورأيه في الأمور الاجتهادية خطأ ومنهي عنه.

نعم لا مجال في الأحكام المنـزلة التي لا مدخل فيها للرأي والاجتهاد لغير التقليد، والإيمان والانقياد واجب فيها، غاية ما في الباب أن أصحاب

القرن الأول كانوا برآء من التكلفات ومستغنين عن تحسين العبارات، وإنما كان اهتمامهم في إصلاح الباطن وكان ظاهرهم مطروحاً عن نظرهم وغير ملحوظ أصلاً، وكانت مراعاة الآداب في ذلك القرن باعتبار الحقيقة والمعنى لا باعتبار الظاهر والصورة فقط، وكان حالهم امتثال أمر الرسول ﷺ ومعاملتهم الاجتناب عما ليس بمرضي عنده ﷺ، جعلوا آباءهم وأمهاتهم وأولادهم وأزواجهم فداء له عليه الصلاة والسلام.

ومن كمال اعتقادهم وإخلاصهم لم يتركوا بزاق النبي ﷺ ليقع في الأرض، بل كانوا يأخذونه ويمسحونه أبدانهم ووجوههم مثل ماء الحياة، وقصدهم شرب دمه ﷺ بعد الفصد من كمال الإخلاص مشهور ومعروف، فإن صدرت عن هؤلاء الأكابر عبارة موهمة لسوء الأدب بالنسبة إليه ﷺ عند أهل هذه القرون التي هي ملآنة من الكذب والخداع ينبغي أن يحملها على محمل حسن، وأن يذهب إلى حاصل العبارة وأن لا يلاحظ الألفاظ من أي قسم كانت، وهذا هو طريق السلامة، والله سبحانه الموفق.

فإن قيل: إذا كان في الأمور الاجتهادية مجال الخطأ فكيف يكون الوثوق بجميع الأحكام الشرعية المنقولة عنه عليه الصلاة والسلام؟ أجيب: أن الأحكام الاجتهادية صارت في المآل وثاني الحال أحكاماً منزلة سماوية، فإن تقرير الأنبياء على الخطأ غير جائز، فينزل في الأحكام الاجتهادية بعد ثبوت اجتهاد المستنبطين واختلاف آرائهم حكم من عند الحق جل وعلا يفرق الصواب من الخطأ ويميز المحق من المبطل، فكانت الأحكام الاجتهادية في زمانه ﷺ بعد نزول الوحي وتميز الصواب من الخطأ أيضاً قطعي الثبوت لم يبق

فيها احتمال الخطأ، فجميع الأحكام التي ثبتت في زمنه ﷺ قطعية محفوظة عن احتمال الخطأ لأنها ثبتت بوحي قطعي ابتداء وانتهاء، وكان المقصود من الاجتهاد في استنباط هذه الأحكام هو أن يحصل للمجتهدين والمستنبطين أنواع العناية وارتفاع درجات الكرامة، وينال المصيب والمخطئ ثواباً على تفاوت الدرجات، ففي الأحكام الاجتهادية ارتفاع درجات المجتهدين وقطعية تلك الأحكام، نعم إن الأحكام الاجتهادية بعد انقراض زمان النبوة ظنيات مفيدة للعمل لا مثبتة للاعتقاد حتى يكون منكرها كافراً، إلا أن ينعقد إجماع المجتهدين على حكم فيكون حينئذ مثبتاً للاعتقاد أيضاً.

ولنختم المكتوب بالخاتمة الحسنة في فضائل أهل بيت الرسول عليه وعلى آله وأصحابه الصلاة والسلام، روى ابن عبد البر أنه قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»[1]. وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني بحب أربعة

---

١ قال الحاكم في المستدرك: حديث: «من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني » حديث صحيح على شرط الشيخين. المستدرك ٣: ١٤١ حديث (٤٦٤٨)، وزاد الطبراني: «ومن أبغضني فقد أغضب الله » . المعجم الكبير ٢٣: ٣٨٠، قال الهيثمي: إسناده حسن. مجمع الزوائد ٢٣: ١٠٩.

وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله سمهم لنا قال: علي منهم -يقول ذلك ثلاثاً- وأبو ذر والمقداد وسلمان»[١].

أخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: «النظر إلى علي عبادة » إسناده حسن[٢]. وأخرج الشيخان عن البراء: رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه وهو ﷺ يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»[٣]. وأخرج البخاري عن أبي بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «إن ابني هذا لسيّد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[٤].

أخرج الترمذي عن أسامة بن زيد قال: رأيت النبي ﷺ والحسن والحسين على وركه، فقال: «هذان ابناي وابنا بنتي، اللهم إني أحبهما وأحب

---

١ أخرجه الترمذي في سننه ٥: ٦٣٦ حديث (٣٧١٨)؛ والحاكم في المستدرك ٢: ١٤١ حديث (٤٦٤٩)؛ وابن ماجة في سننه ١: ٥٣ حديث (١٤٩).

٢ أخرجه الحاكم في المستدرك ٣:. ١٥٣ حديث (٤٦)؛ والطبراني في المعجم الكبير١٠٩:١٨.

٣ أخرجه البخاري في صحيحه: باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ٥: ٢٦ حديث (٣٧٤٩)؛ ومسلم في صحيحه: باب فضائل الحسن والحسين ٤: ١٨٨٢ حديث(٥٦).

٤ أخرجه البخاري في صحيحه: باب علامات النبوة في الإسلام ٤: ٢٠٤ حديث (٣٦٢٩).

من يحبها»[١]. أخرج الترمذي عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ: أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: «الحسن والحسين»[٢].

وروى المسور ابن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني فمن أبغضها أبغضني»[٣]، وفي رواية: «يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها». وأخرج الحاكم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لعلي :«فاطمة أحب إِلَيَّ منك، وأنت أعز عليّ منها»[٤].

وعن عائشة لقالت: «إن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ»، وقالت: «إنّ نساء رسول الله ﷺ كن حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ فكلّم حزب أم سلمة فقلن لها: كلّمي رسول الله ﷺ يكلّم الناس فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ فليهد إليه حيث كان، فكلّمته فقال لها: «لا تؤذيني فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلاّ عائشة»، فقالت: أتوب إلى الله سبحانه من أذاك يا رسول الله! ثم إنهن دعون

---

١ أخرجه الترمذي في سننه: باب مناقب الحسن والحسن ٥: ٦٥٥ حديث (٣٧٦٩).

٢ أخرجه الترمذي في سننه: باب مناقب الحسن والحسن ٥: ٦٥٧ حديث (٣٧٧٢).

٣ أخرجه البخاري في صحيحه: باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ٥: ٢١ حديث (٣٧١٤)، وفي باب مناقب فاطمة رضي الله عنها ٥: ٢٩ حديث (٣٧٦٧).

٤ أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٧: ٤١٦؛ وذكره السيوطي في الفتح الكبير ٢: ٢٥٠، وفي الجامع الصغير حديث (٨٣٨٩).

فاطمة فأرسلن إلى رسول الله ﷺ فكلمته فقال: «يا بنيّة ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى، قال: فأحبي هذه»[1].

وعن عائشة لقالت: «ما غرت على أحد من نساء رسول الله ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح شاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق[2] خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلاّ خديجة، فيقول: «إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد»[3].

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العباس مني وأنا منه»[4]. وأخرج الديلمي عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «اشتدّ غضب الله على من آذاني في عترتي»[5]. وأخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم خيركم لأهلي من بعدي».

---

١ أخرجه البخاري ٣: ٦٥٦ حديث (٢٥٨١).

٢ صدائق: جمع صديقة.

٣ أخرجه البخاري في صحيحه ٥: ٣٨ حديث (٣٨١٨).

٤ أخرجه الترمذي في سننه ٥: ٦٥٣ حديث(٣٧٥٩)؛ والنسائي في سننه٨: ٣٣ حديث (٤٧٧٥).

٥٥ رواه الديلمي عن أبي سعيد مرفوعاً في مسند الفردوس ١: ١١٦؛ وذكره صاحب كنز العمال ١٢: ٩٣ حديث (٣٤١٤٣)

أخرج ابن عساكر عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: «من صنع إلى أهل بيتي يداً أكافئه عليها يوم القيامة»[١]. أخرج ابن عدي والديلمي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال: «أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي»[٢].

إلهي بحق بني فاطمة كه بر قول إيمان كنى خاتمه

اگر دعوتم رد كنى ور قبول من و دست و دامان آل رسول.

صلى الله عليه وسلم، وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين والملائكة الكرام المقربين وعلى سائر عباد الله الصالحين أجمعين»[٣].

١١٤ - عقائد أهل السنة والجماعة:

قال قدس الله سره في مكتوبه إلى خانجهان في بيان عقائد أهل السنة والجماعة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين مع بيان الأركان الخمسة الإسلامية:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

أيها السعيد النجيب لا بد للإنسان من تصحيح العقائد بموجب آراء الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين الذين هم السواد الأعظم والجم الغفير حتى يتصور الفلاح الأخروي والنجاة الأبدية،

---

١ رواه ابن عساكر عن علي رضي الله عنه في تاريخه ١٣ : ١٧٣؛ وذكره السيوطي عن ابن عساكر في الفتح الكبير ٣: ١٩٩ حديث (١١٩٨٩).

٢ الفتح الكبير ١ : ٢٩ حديث (٢٦٣)؛ وابن عدي ٦ : ٢٣٠٢؛ والديلمي ١ : ٨٤.

٣ مختصر المكتوب السادس والثلاثين من القسم الثاني ٢ : ٦٨-٨٦.

وخبث الاعتقاد الذي هو مخالفة معتقدات أهل السنة سم قاتل موصل إلى الموت الأبدي والعذاب السرمدي، والمداهنة في العمل والمساهلة فيه يرجى فيها المغفرة، وأما المداهنة في الاعتقاد فلا مجال فيها للمغفرة﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: ٤٨].

ولنورد معتقدات أهل السنة بلسان الإيجاز والاختصار، ينبغي تصحيح الاعتقاد بمقتضاها وأن يسأل الحق سبحانه بالتضرع والابتهال الاستقامة على هذه الدولة:

اعلم أن الله تعالى موجود بذاته القديمة وسائر الأشياء صارت موجودة بإيجاده سبحانه وخرجت من العدم إلى الوجود بتخليقه، وهو تعالى قديم أزلي والأشياء كلها حادثة وموجودة بعد أن لم تكن، وكل ما هو قديم أزلي فهو باق وأبدي، وكل ما هو حادث ومسبوق بالعدم فهو فانٍ ومستهلك يعني مشرف على الزوال، وهو سبحانه واحد لا شريك له لا في وجوب الوجود ولا في استحقاق العبادة، لا يليق وجوب الوجود لغيره تعالى ولا يستحق العبادة سواه سبحانه، وله تعالى صفات كاملة فمنها الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والتكوين، كلها متصفة بالقدم والأزلية وقائمة بحضرة الذات تعالت وتقدست.

والتعلقات الحادثة لا تورث خللاً في قدم الصفات، وحدوث المتعلق لا يصير مانعاً لأزليته، واستدلت الفلاسفة من نقصان عقولهم والمعتزلة من عمايتهم وغوايتهم بحدوث المتعلق على حدوث المتعلق، ونفوا الصفات الكاملة وعلمه تعالى بالجزئيات لاستلزامه التغير الذي هو من أمارات

الحدوث، ولم يعلموا أن الصفات تكون أزلية وتكون تعلقاتها بالمتعلقات الحادثة حادثة، ونقائص الصفات مسلوبة عن جناب قدسه تعالى، وهو تعالى منـزه عن صفات الجواهر[1] والأجسام والأعراض[2] ولوازمها، لا مجال للزمان والمكان والجهة في حضرته تعالى وهذه كلها مخلوقاته تعالى.

وزعم جماعة ممن لا خبر لهم أنه تعالى، فوق العرش وأثبتوا له سبحانه جهة الفوق، والعرش وما سواه مما حواه كلها حادثة ومخلوقاته تعالى، وكيف يكون للمخلوق الحادث مجال أن يكون مكاناً للخالق القديم ومقراً له، ولكن العرش أشرف مخلوقاته، والنورانية والصفاء أزيد فيه منها في غيره من الممكنات، فلا جرم له حكم المرآتية لأن يظهر عظمة الخالق وكبرياؤه جل وعلا فيه ظهوراً بيناً، وبعلاقة هذا الظهور يقال له عرش الله، وإلا فالعرش وغيره كله متساو بالنسبة إليه تعالى وكله مخلوقه تعالى، ولكن للعرش قابلية الإراءة وليست هي لغيره، ألا ترى أن المرآة التي ترى صورة إنسان لا يقال إن ذلك الإنسان في المرآة بل نسبة هذا الإنسان إلى المرآة ونسبته إلى غيره من الأشياء المتقابلة إليه متساوية، وإنما التفاوت من جهة القابلية وعدمها، حيث إن في المرآة قابلية انطباع الصورة وليست هذه القابلية في غيرها.

وهو تعالى ليس بجسم ولا جسماني ولا جوهر ولا عرض ولا محدود ولا متناه ولا طويل ولا عريض ولا قصير ولا ضيق، بل واسع لا بالوسعة

---

١ جمع جوهر، ويعني الموجود القائم بذاته، فلا يحتاج إلى شيء خارج عنه.

٢ الأعراض: جمع عَرَض، وهو الذي يحتاج في وجوده إلى محل يقوم به كاللون.

التي تدرك بأفهامنا، ومحيط لا بالإحاطة التي تكون مدركاً بإدراكنا، وقريب لا بالقرب الذي يتعقل بعقولنا، وهو تعالى معنا لا بالمعية المتعارفة، نؤمن بأنه تعالى واسع ومحيط وقريب وأنه معنا ولكن لا نعرف كيفيات هذه الصفات ما هي، وكلما نعرف من كيفيات هذه الصفات نعرف أن له قدماً في مذهب المجسمة، وهو تعالى لا يتحد بشيء أصلاً؛ ولا يتحد معه شيء، ولا يحل فيه تعالى شيء قطعاً، ولا يكون هو تعالى حالاً في شيء، والتجزي والتبعض محالان في جناب قدسه تعالى، والتركيب والتحليل ممنوعان في حضرته تعالى، وليس له تعالى كفؤ ولا مثل ولا صاحبة له ولا ولد.

وهو تعالى منزه في ذاته وصفاته عن الكيف والشبه والمثال، ومبلغ علمنا فيه أنه تعالى موجود وبالأسماء والصفات الكاملة التي وصف بها نفسه وأثنى موصوف، ولكن كل ما يدركِ منها بأفهامنا وإدراكنا ويتصور بعقولنا فهو تعالى منـزه عنه ومتعال كما مر لا تدركه الأبصار.

وما فاه أرباب النهى والحجى بما سوى أنه الموجود لا رب غيره

ينبغي أن يعلم أن أسماء الله تعالى توقيفية، يعني أن إطلاقها عليه تعالى موقوف على السماع من صاحب الشرع، كل اسم ورد إطلاقه في الشرع على حضرة الحق سبحانه يجوز إطلاقه عليه تعالى، وما لا فلا وإن كان معنى الكمال مندرجاً في ذلك الاسم، فيجوز إطلاق الجواد لوروده في الشرع ولا يجوز إطلاق السخي لعدم وروده.

والقرآن كلام الله تعالى أنزل على نبينا عليه وعلى آله الصلاة والسلام متلبساً بلباس الحرف والصوت، وأمر به عباده ونهاهم، فكما نحن نظهر كلامنا

النفسي بتوسط الفم واللسان في لباس الحروف والأصوات نورد به مقاصدنا الخفية في عرصة الظهور كذلك الحق سبحانه أظهر كلامه النفسي لعباده في لباس الحرف والصوت بقدرته الكاملة بلا توسط فم ولسان، وأجلى أوامره ونواهيه الخفية في ضمن الحرف والصوت على منصة الظهور، فكلا قسمي الكلام كلام الحق جل وعلا يعني النفسي واللفظي، وإطلاق الكلام على كلا القسمين بطريق الحقيقة، كما أن كلا قسمي كلامنا النفسي واللفظي كلام بطريق الحقيقة لا أن القسم الأول حقيقة والثاني مجاز، فإن نفي المجاز جائز ونفي الكلام اللفظي وإنكار كونه كلام الله تعالى كفر.

وكذلك سائر الكتب والصحف الأخرى التي أنزلت إلى الأنبياء المتقدمين على نبينا وعليهم الصلوات والتسليمات كلها كلام الله سبحانه، وكل ما اندرج في القرآن وفي تلك الكتب والصحف أحكام الله تعالى كلف بها عباده على وفق الأوقات والأزمان، ورؤية المؤمنين الحق سبحانه في الجنة من غير جهة ومقابلة وبلا كيف وإحاطة حق نؤمن بتلك الرؤية الأخروية ولا نشتغل بكيفيتها، فإن رؤيته تعالى بلا كيفية، لا يظهر لأرباب الكيف والمثال في هذه النشأة من حقيقتها شيء، ولا نصيب لهم منها غير الإيمان بها، فيا خسارة الفلاسفة والمعتزلة وسائر الفرق المبتدعة حيث ينكرون الرؤية الأخروية من العمى والحرمان ويقيسون الغائب على الشاهد ولا يشرفون بالإيمان بها.

وهو تعالى كما أنه خالق العباد كذلك هو تعالى خالق أفعالهم أيضاً، خيراً كان فعلهم أو شراً، وكلها بتقدير الله تعالى، ولكنه راض عن الخير، غير راض عن الشر، وإن كان كلاهما بإرادته ومشيئته تعالى، ولكن ينبغي أن لا ينسب

الشر وحده إليه تعالى بواسطة الأدب، وأن لا يقول خالق الشر، بل ينبغي أن يقول خالق الخير والشر، كما قال العلماء: ينبغي أن يقول إنه تعالى خالق كل شيء، ولا ينبغي أن يقول خالق القاذورات والخنازير لرعاية أدب جناب قدسه تعالى.

والمعتزلة من الثنوية الذين هم يزعمون أن خالق أفعال العباد هو العباد وينسبون فعل الخير والشر إليهم، والشرع والعقل يكذبانهم، نعم قد جعل علماء الحق دخلا لقدرة العبد في فعله وأثبتوا فيه الكسب، فإن الفرق بين حركة المرتعش وحركة المختار واضح لأنه لا مدخل للقدرة والكسب في حركة الارتعاش وفي حركة الاختيار مدخل لهما، وهذا القدر من الفرق يكون باعثاً على المؤاخذة ومثبتاً للثواب والعقاب.

وأكثر الناس مترددون في وجود القدرة والكسب والاختيار في العبد، ويزعمون العبد مضطراً وعاجزاً، وهم لم يفهموا مراد العلماء، فإن إثبات القدرة والاختيار في العبد لا بمعنى أنه يفعل كلما يريد ولا يفعل كلما لا يريد، فإن التقول بذلك بعيد عن العبودية، بل بمعنى أن العبد يقدر أن يخرج عن عهدة جميع ما أمر به، مثلا أنه يقدر أن يؤدي الصلوات الخمس، ويقدر إعطاء الزكاة واحداً من الأربعين، ويقدر صوم شهر من اثني عشر شهراً، ويقدر أن يحج مرة واحدة في عمره مع الاستطاعة إلى الزاد والراحلة، و على هذا القياس باقي الأحكام الشرعية، قد راعى الحق سبحانه فيها من كمال الرأفة والسهولة واليسر لضعف العبد وقلة اقتداره قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥، وقال تعالى أيضاً: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ

وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨]، يعني: يريد أن يخفف عنكم ثقل التكليفات الشاقة، وخلق الإنسان ضعيفاً لا يصبر عن الشهوات، ولا يقدر أن يتحمل التكليفات الشاقة.

والأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات رسل الحق سبحانه إلى الخلق ليدعوهم إليه تعالى، ويدلوهم من الضلالة على طريق الهداية، كل من يقبل دعوتهم يبشرونه بالجنة وكل من ينكر يهددونه بعذاب جهنم. وما بلّغوه من طرف الحق سبحانه وأُعلموا به كله حق وصدق ليس فيه شائبة التخلف، وخاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ، ودينه ناسخ لجميع الأديان السابقة، وكتابه أفضل الكتب المتقدمة ولا ناسخ لشريعته بل هي قائمة إلى قيام القيامة، وينـزل عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ويعمل بشـريعته ويكون من جملة أمته، وما أخبر به ﷺ من أحوال الآخرة كله حق: من عذاب القبر، وضغطة اللحد، وسؤال منكر ونكير فيه، وفناء العالم، وانشقاق السموات، وانتثار الكواكب، وزوال الأرض والجبال واندكاكها، والحشر والنشر وإعادة الروح إلى الجسد، وزلزلة الساعة، وأهوال القيامة، ومحاسبة الأعمال، وشهادة الجوارح بالأعمال المكتسبة، وإتيان دفاتر الحسنات والسيئات يميناً وشمالاً، ووضع الميزان ليوزن به الحسنات والسيئات، ليعرف نقصان الحسنة والسيئة وزيادتها، فإن ثقلت كفة الحسنات فعلامة النجاة، وإن خفت فعلامة الخسران والشقاوة، وثقل ذلك الميزان وخفته، على خلاف ثقل ميزان الدنيا وخفته فإن الكفة المرتفعة هي الثقيلة هناك، والمتسفلة هي الخفيفة.

وشفاعة الأنبياء والصلحاء عليهم الصلاة والتسليمات أولاً وثانياً لعصاة المؤمنين بإذن مالك يوم الدين جل سلطانه ثابتة، قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[1]، والصراط يوضع على متن جهنم فيمر منه المؤمنون ويذهبون إلى الجنة ويزلق منه أقدام الكافرين فيسقطون في جهنم، والجنة التي أعدت لتنعم المؤمنين وجهنم التي أعدت لتعذيب الكافرين كلتاهما مخلوقتان الآن وتبقيان إلى أبد الآباد ولا تفنيان، فإذا دخل المؤمنون الجنة بعد المحاسبة يدومون فيها لا يخرجون منها، وكذلك الكفار إذا دخلوا النار يدومون فيها يعذبون فيها أبد الآباد، وتخفيف العذاب عنهم غير جائز، قال تعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[آل عمران: ٨٨]، ومن كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان فإن أدخل النار بسبب إفراطه في المعاصي يعذب بقدر عصيانه ثم يخرج من النار أخيراً، ولا يسود وجهه كما يسود وجه الكفار، ولا يجعل فيه الأغلال والسلاسل لحرمة إيمانه كما تجعل للكفار.

والملائكة عباد الله سبحانه المكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، مبرأون من صفات الذكورة والأنوثة، والتوالد والتناسل مفقود في حقهم، اصطفى الله سبحانه بعضهم للرسالة وشرفه بتبليغ الوحي، وهم الذين بلغوا الكتب والصحف الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات، وهم

---

١ رواه الترمذي في سننه (٢٤٣٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه؛ وابن حبان في صحيحه (٦٤٦٧).

محفوظون عن الخطأ والخلل، ومعصومون عن كيد العدو ومكره، وما بلغوه من عند الحق سبحانه وتعالى كله صدق وصواب ليس فيه شائبة احتمال الخطأ والاشتباه، وهؤلاء الكبراء خائفون من عظمة الحق وجلاله سبحانه لا شغل لهم غير امتثال أوامره تعالى.

والإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان بما بلغنا من الدين بالتواتر والضرورة إجمالاً وتفصيلاً، وأعمال الجوارح خارجة من نفس الإيمان ولكنها تزيد الكمال في الإيمان وتورث فيه الحسن، قال الإمام الأعظم الكوفي عليه الرحمة: الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان، فإن التصديق القلبي عبارة عن يقين القلب وإذعانه، ولا مجال فيه للتفاوت بالزيادة والنقصان، وما يقبل التفاوت فهو داخل في دائرة الظن والوهم، وكمال الإيمان ونقصانه باعتبار الطاعات والحسنات، كلما زادت الطاعة زاد كمال الإيمان، فلا يكون إيمان عامة المؤمنين مثل إيمان الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات، فإن إيمانهم بلغ ذروة الكمال بواسطة اقتران الطاعات، وإيمان العوام بمراحل عن نفس الكمال فضلاً عن ذروته، وإن كان إيمان كل منهما متشاركين في نفس التصديق ولكن إيمان الأنبياء عرض له بواسطة طوق الطاعات حقيقة أخرى، وكأن إيمان العوام ليس فرداً من ذلك الإيمان، والمماثلة والمشاركة مفقودة بينهما، ألا ترى أن عوام الناس وإن كانوا شركاء للأنبياء عليهم الصلاة والسلام في نفس الإنسانية ولكن الكمالات الآخر للأنبياء بلغتهم الدرجات العليا وأثبتت لهم حقيقة

أخرى، وكأنهم خارجون عن الحقيقة المشتركة بل هم الناس والعوام لهم حكم النسناس[١].

قال الإمام الأعظم عليه الرحمة: أنا مؤمن حقاً، وقال الإمام الشافعي عليه الرحمة: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، ولكل وجهة، باعتبار الحال يجوز أن يقال: أنا مؤمن حقاً، وباعتبار الخاتمة والمآل يصح أن يقال: أنا مؤمن إن شاء الله، ولكن الاجتناب عن صورة الاستثناء أفضل بأي وجه قال.

ولا يخرج المؤمن بارتكاب المعاصي من الإيمان ولو كبيرة ولا يدخل في دائرة الكفر، نقل أن الإمام الأعظم كان يوماً جالساً مع جمع من العلماء فجاء شخص فقال: ما تقولون في حق مؤمن فاسق قتل أباه بغير حق وقطع رأسه وشرب الخمر في كأس رأسه ثم زنى بأمه هل هو مؤمن أو كافر؟

فتكلم كل واحد من العلماء في حقه بما ليس بصواب ووقعوا في غلط، فقال الإمام الأعظم في ذلك الأثناء: إنه مؤمن لم يخرج بارتكاب هذه الكبائر من الإيمان، فثقل قول الإمام هذا على العلماء فأطالوا لسان الطعن فيه والتشنيع عليه، ولكن لما كان قول الإمام حقاً قبله كلهم أخيراً واعترفوا بأنه الحق.

فلو وفق المؤمن العاصي للتوبة قبل الغرغرة فنرجو له نجاة عظيمة لوعد قبول توبته، وإن لم يتشرف بالتوبة والإنابة فأمره إلى الله سبحانه فإن شاء عفا وأدخله الجنة وإن شاء عذبه بقدر معصيته بالنار أو بغير النار، ولكن آخر

---

١ أي الحكم الشديد، والذي فيه جهد ومشقة.

أمره النجاة ومآله الجنة، فإن الحرمان من رحمة الله تعالى في الآخرة مخصوص بأهل الكفر، وأما من فيه ذرة من الإيمان فهو مستحق للرحمة والغفران وإن لم تبلغه الرحمة في الابتداء بواسطة علة المعصية ولكنها تشمله أخيراً بعناية الله سبحانه، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهاب.

وبحث الإمامة والخلافة وإن لم يكن عند أهل السنة -شكر الله تعالى سعيهم -من أصول الدين ومتعلقاً بالاعتقاد، ولكن لما غالت الشيعة في هذا الباب وأفرطوا فيه وفرطوا ألحق أهل الحق رضي الله عنهم هذا المبحث بعلم الكلام بالضرورة وبينوا حقيقة الحال، والإمام على الحق والخليفة على الإطلاق بعد خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذوالنورين ثم علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وأفضليتهم على ترتيب خلافتهم.

وأفضلية الشيخين ثابتة بإجماع الصحابة والتابعين كما نقله أكابر الأئمة واحد منهم الإمام الشافعي، قال رئيس أهل السنة الشيخ أبو الحسن الأشعري: إن أفضلية الشيخين على باقي الأمة قطعية لا ينكرها إلا جاهل أو متعصب، قال علي كرم الله وجهه :من فضلني على أبي بكر وعمر فهو مفتر أضربه بالسوط كما يضرب المفترون، قال الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس سره في كتابه «الغنية» نقلاً عن النبي ﷺ أنه قال: «لما عرج بي إلى السماء سألت الله

سبحانه أن يجعل الخليفة من بعدي علي بن أبي طالب، فقال الملائكة: يا محمد كل ما يشاء الله يكن، الخليفة بعدك أبو بكر»[١].

وقال حضرة الشيخ أيضاً: قال علي كرم الله وجهه: «ما خرج رسول الله ﷺ من الدنيا حتى أخذ عليّ عهدًا على أن أبا بكر يلي من بعدي ثم عمر ثم عثمان من بعده ثم أنت من بعده» رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

والإمام الحسن أفضل من الإمام الحسين رضي الله عنهما، وعلماء أهل السنة يفضلون عائشة رضي الله عنها على فاطمة رضي الله عنها في العلم والاجتهاد، والشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره يقدم عائشة على فاطمة رضي الله عنهما في كتابه «الغنية»، وما هو معتقد الفقير أن عائشة أسبق قدماً في العلم والاجتهاد وفاطمة أقدم في الزهد والانقطاع، ولهذا قيل لفاطمة بتولاً وهو صيغة المبالغة في الانقطاع، وعائشة هي مرجع فتاوى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ما وقع على أصحاب النبي ﷺ مشكل في العلم إلا كان حله عند عائشة.

والمحاربات والمنازعات التي وقعت بين الأصحاب الكرام عليهم الرضوان مثل محاربة الجمل ومحاربة الصفين ينبغي أن يحملها على محامل صحيحة حسنة وأن يبعدهم عن الهوى والتعصب، فإن نفوس هؤلاء الأكابر كانت مزكاة عن الهوى والهوس ومطهرة عن الحقد والحرص في صحبة خير البشر عليه وعليهم الصلاة والسلام، فإن وقعت عنهم مصالحة فهي لأجل

---

١ ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١: ٣١٦؛ والسيوطي في اللآلي المصنوعة ١: ٢٧٦.

الحق وإن ظهرت منهم منازعة ومشاجرة فهي أيضاً للحق سبحانه، كل فرقة منهم عملوا بمقتضى اجتهادهم ودفعوا المخالف عن أنفسهم بلا شائبة هوى وتعصب، فكل من هو مصيب في اجتهاده فله درجتان من الثواب وفي قول عشر درجات، ومن هو مخطئ فله درجة واحدة من الثواب، فالمخطئ كالمصيب بعيد عن الملامة بل يتوقع له درجة من درجات الثواب.

قال العلماء: إن الحق في تلك المحاربات كان في جانب عليّ كرم الله وجهه، وكان المخالفون في طرف من الصواب، ومع ذلك ليسوا بموارد للطعن ولا مجال للملامة فيهم فضلاً عن أن ينسب إليهم الكفر والفسق، قال عليّ كرم الله تعالى وجهه: «إخواننا بغوا علينا ليسوا بكفار ولا فساق فإن لهم تأويلاً يمنع عنهم الكفر والفسق»، قال نبينا ﷺ: «إياكم وما شجر بين أصحابي»[1].

فينبغي تعظيم جميع أصحاب النبي ﷺ وأن يذكر جميعهم بخير، وأن لا يسيء الظن بأحد منهم، وأن يرى منازعتهم أفضل من مصالحة غيرهم، هذا هو طريق النجاة والفلاح، فإن حب الأصحاب الكرام بواسطة حب النبي، وبغضهم ينجر إلى بغضه عليه وعليهم الصلاة والسلام، قال واحد من الكبراء: ما آمن برسول الله ﷺ من لم يوقر أصحابه.

وعلامات القيامة التي أخبر عنها المخبر الصادق ﷺ كلها حق ليس فيها احتمال التخلف كطلوع الشمس من جانب المغرب على خلاف العادة، وظهور

---

١ لم أجده.

المهدي عليه الرضوان، ونزول روح الله على نبينا وعليه الصلاة والسلام وخروج الدجال، وظهور يأجوج ومأجوج، وخروج دابة الأرض، ودخان يظهر من السماء يغشي الناس كلهم ويعذبهم بعذاب أليم، ويقول الناس من الاضطراب: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، وآخر العلامات نار تخرج من عدن.

وزعم جماعة من الجهالة أن الشخص الذي ادعى المهدوية من أهل الهند هو المهدي الموعود فالمهدي قد مضى بزعمهم وفات، ويقولون إن قبره في فره، وفي الأحاديث الصحيحة التي بلغت حد الشهرة بل حد التواتر المعنوي ما يكذب هذه الطائفة، فإنه ﷺ بين للمهدي علامات وتلك العلامات مفقودة في ذلك الشخص الذي يعتقدونه مهدياً، ورد في الأحاديث النبوية أنه يخرج المهدي وعلى رأسه قطعة سحاب فيها ملك ينادي أن هذا الشخص مهدي فاتبعوه.

وقال ﷺ: «ملك جميع الأرض أربعة: اثنان من المؤمنين واثنان من الكافرين: ذوالقرنين وسليمان من المؤمنين، ونمرود وبخت نصر من الكافرين، وسيملك الأرض خامس من أهل بيتي»[1] يعني المهدي. وقال ﷺ:

---

١ انظر: المستدرك للحاكم ٢: ٦٤٥ حديث (٤١٤٣٠)؛ وإتحاف المهرة، ابن حجر ١٣: ٣٦٥ حديث (١٦٨٥٥)؛ والطبراني في الأوسط ٨: ١٧٨ حديث (٨٣٢٥).

«لا تزول الدنيا حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي اسمه يوافق اسمي واسم أبيه يوافق اسم أبي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[١].

وورد في الحديث أيضاً أن أصحاب الكهف يكونون أعوان المهدي[٢]، وينـزل عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام في زمانه، وهو يوافق عيسى عليه السلام في قتال الدجال، وفي زمان ظهور سلطنته تنكسف الشمس في الرابع عشر من رمضان، وينخسف القمر في أول ذلك الشهر على خلاف العادة وخلاف حساب المنجمين، فينبغي أن ينظر بنظر الإنصاف هل كانت هذه العلامات في ذلك الشخص الميت أو لا، وله علامات أخر كثيرة، أخبر بها المخبر الصادق عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وكتب الشيخ ابن حجر رسالة في بيان علامات المهدي المنتظر تبلغ مائتي علامة[٣].

وبقاء جماعة في ضلالة مع وضوح أمر المهدي الموعود من نهاية الجهالة هداهم الله سبحانه سواء الصراط، قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة منها، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة، قالوا :ومن هذه الفرقة

---

١ رواه أبو داود في سننه (٤٢٨٢)؛ وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٦٤٧).

٢ ذكره ابن حجر في فتح الباري ٦: ٥٠٣.

٣ والرسالة هي: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، للإمام ابن حجر الهيتمي المكي ت: ٩٧٤هـ.

الناجية يا رسول الله؟ قال :هم على ما أنا عليه وأصحابي»[١]، وهذه الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة فإنهم هم الملتزمون متابعته ومتابعة أصحابه عليه وعليهم الصلوات والتسليمات.

اللهم ثبتنا على معتقدات أهل السنة والجماعة وأمتنا في زمرتهم واحشرنا معهم، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وبعد تصحيح الاعتقاد لا بد من امتثال الأوامر والانتهاء عن المناهي الشرعيين المتعلقين بالعمل، ينبغي أداء الصلوات الخمس من غير فتور مع تعديل الأركان والجماعة، والفارق بين الإسلام والكفر هو هذه الصلاة، فإذا تيسر أداء الصلاة على الوجه المسنون فقد حصل الاستمساك بالحبل المتين من الدين فإن الصلاة هي الأصل الثاني من الأصول الخمسة الإسلامية، الأصل الأول الإيمان بالله وبرسوله سبحانه والأصل الثاني الصلاة والثالث أداء الزكاة والرابع صوم شهر رمضان والخامس حج بيت الله.

الأصل الأول يتعلق بالاعتقاد والأصول الأربعة الباقية تتعلق بالأعمال، وأجمع جميع العبادات وأفضلها الصلاة، و يكون ابتداء المحاسبة يوم القيامة من الصلاة، فإذا تم أمر الصلاة تمضي محاسبة الأخرى بعناية الله سبحانه بالسهولة.

---

١ روى الطبراني نحوه في الجامع الصغير؛ وابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ١٧٩ حديث (٨٩٩) وقال: رجاله رجال الصحيح.

وينبغي الاجتناب عن المحظورات الشرعية مهما أمكن، وأن يرى ما لا يرضاه المولى سبحانه سماً مهلكاً، وأن يجعل مواد التقصيرات نصب العين، وأن يكون خجلاً ومنفعلاً من ارتكابها، وأن يكون متندماً ومتحسراً على فعلها واقترافها، هذا هو طريق العبودية والله الموفق، والذي يرتكب ما لا يرضى عنه مولاه بلا تحاش ولا يكون خجلاً ومنفعلاً عن ذلك العمل فهو مارد متمرد ويكاد يخرج إصراره وتمرده رأسه عن ربقة الإسلام ويدخله في دائرة الأعداء، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً.

وبالجملة: الكفر ظاهر البطلان، والذين بعدوا عن الطريق الحق والصراط المستقيم من المسلمين هم أهل الهوى والبدعة، وذلك الطريق المستقيم الذي بعدوا عنه هو طريق النبي وطريق خلفائه الراشدين عليه وعليهم الصلوات والتسليمات، قال الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره في كتابه الغنية: «إن أديان المبتدعة الذين أصولهم تسعة طوائف: الخوارج والشيعة والمعتزلة والمرجئة[1] والمشبهة[2]

---

١ المرجئة: هم فرقة من الفرق الإسلامية يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وسمو بذلك لاعتقادهم أن الله تعالى أرجأ تعذيبهم على المعاصي أي أخّره عنهم. انظر: الملل والنحل، الشهرستاني ١: ٢٥٥؛ الفرق بين الفرق ١٩١؛ مقالات الإسلاميين، للأشعري ١: ١١٤.

٢ المشبهة: هم الذين يشبهون الخالق بالمخلوق. انظر: مقالات الإسلاميين ٢: ٤٠٨؛ التوحيد للماتريدي ٢٣؛ والفرق بين الفرق، للبغدادي ٢١٤.

والجهمية[١] والضرارية[٢] والنجارية[٣] والكلابية[٤] لم تكن في زمن النبي ﷺ ولا في زمان خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم أجمعين أيضاً، واختلاف هذه الطوائف وتفرقهم إنما حدث بعد سنين من موت الصحابة والتابعين وموت الفقهاء السبعة رضي الله عنهم أجمعين، قال النبي ﷺ: «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

---

١ الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان قتل على الزندقة، وهو أول من ابتدع القول بخلق القرآن، وتعطيل صفات الله عز وجل. انظر: الإبانة، ابن بطة ٢: ١٦٦-١٦٧؛ الملل والنحل، للشهرستاني ٨٦-٨٨؛ الفرق بين الفرق ٢٠٠.

٢ الضرارية: هم أتباع ضرار بن عمر ت ١٩٠هـ، وكان يزعم أن معنى أن الله عالم قادر أنه ليس بجاهل ولا عاجز، وكان يقول في سائر صفات الباري لنفسه. انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي ١٢٩؛ مقالات الإسلاميين ١: ٣٣٩.

٣ النجارية: هم طائفة من المرجئة يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله ورسله وفرائضه المجمع عليها. انظر: الفرق بين الفرق ١٤٣-١٤٥؛ التبصير في الدين ٩٣؛ خطط المقريزي ٢: ٣٥٠-٣٥١

٤ الكلابية: هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاّب القطان، ت: ٢٤٣هـ، وهي أول الفرق بعد الجهمية والمعتزلة، وهم كانوا يفرقون بين الصفات والأفعال الاختيارية، فأثبتوا الصفات، ومنعوا أن يقوم أمر به يتعلق بمشيئته وقدرته، ولا فعل ولا غير فعل. انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري ١: ٢٤٩؛ الفصل، ابن حزم ٤: ٢٠٨؛ الفرق بين الفرق، البغدادي ٢٩.

من بعدي، وتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ما حدث بعدي فهو رد»[1].

فالمذهب الذي حدث بعد زمان النبي وخلفائه الراشدين عليه وعليهم الصلوات والتسليمات ساقط عن حيز الاعتبار ليس بلائق به، ينبغي أداء شكر نعمة الحق سبحانه العظمى حيث جعلنا من كمال كرمه وفضله داخلين في الفرقة الناجية الذين هم أهل السنة والجماعة، ولم يجعلنا من فرق أهل الهوى والبدعة ولم يبتلنا باعتقادهم الفاسد، ولم يجعلنا من الذين يشركون العبد بالله في أخص صفاته تعالى، ويزعمون أن خالق أفعال العبد هو العبد، وينكرون الرؤية الأخروية التي هي رأس بضاعة السعادات الدنيوية والأخروية، وينفون الصفات الكاملة عن الواجب تعالى، ولم يجعلنا أيضاً من الطائفتين اللتين يبغضون أصحاب خير البشر عليه وعليهم الصلوات والتسليمات، ويسيئون الظن بأكابر الدين ويزعمون أنهم كانوا يعادون بعضهم بعضاً، ويتهمونهم بالبغض المضمر والحقد المبطن، والله سبحانه وتعالى يقول في حقهم: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهاتان الطائفتان يكذبون كلام الحق جل وعلا ويثبتون بينهم العداوة والبغضاء والحقد، رزقهم الله سبحانه التوفيق وبصرهم الصراط المستقيم، ولم

---

١ أخرجه أبو داود في سننه ٤: ٢٠٠ حديث (٤٦٠٧)؛ والإمام أحمد في مسنده ٢٨: ٣٧٣ حديث(١٧١٤٤)؛ والدارمي في سننه (٩٦).

يجعلنا أيضاً من الذين يثبتون الجهة والمكان للحق تعالى ويزعمونه جسماً وجسمانياً ويثبتون في الواجب القديم جل شأنه أمارات الحدوث والإمكان»[1].

١١٥ - جواب بعض الاعتراضات على كلمات الصوفية:

قال قدس الله سره في مكتوبه إلى مولانا الحسن البركي في جواب عريضته التي اعترض فيها على كلمات الصوفية باعتراضات كثيرة، وسائر استفساراته التي كتبها:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، قد وصلت الصحيفة الشريفة من أخينا الشيخ حسن أحسن الله حاله، ولما كانت فيها رائحة من التشرع والاستقامة أورثت الفرح والمسرة، وكتبتم: أن السلوك الذي هو مشهور ومعتقد للسالكين بحسب فهمنا هو أنه ينبغي للمبتدئ أن يشتغل بالذكر إلى أن يجرى القلب بالذكر، ثم إلى أن يتوقف عن الذكر ويكون محلاً للإلهامات والتجليات، وأن يصل السالك إلى مقام الفناء الذي هو أول قدم في الولاية.

وقالوا : إن الفناء هو أن يزول عن نظر السالك وعلمه ما هو مسمى بالغير، ولا يبقى في نظره وعلمه غير الواجب تعالى وتقدس، وقيل لهذه الحالة شهود ومشاهدة وغيرهما، والمقصود أنه يرى الحق تعالى -بزعمه -ولا يرى المسمى بالغير، ويسمون رائي الاثنين مشرك الطريقة.

---

١ مختصر المكتوب السابع والستين من القسم الثاني ٢: ٢٠٠-٢٠٣.

وكتبتم أن هذه المعارف وأمثالها تزعزع الفقير عن محله، فإنه لو كان مقصودهم أنه يرى الحق جل وعلا في الدنيا بالبصر أو بالبصيرة فإن كان لهم شعور بهذا الشهود والرؤية فهم أيضاً مشركو الطريقة، وإن لم يكن لهم شعور بهذا المعنى فمن أي شيء يخبرون ومن يخبر؟

وكتبتم أن كل ما يرونه بكل وجه من الوجوه -سواء كان تجلياً صورياً أو معنوياً أو نورياً أو غير ذلك- ويعتقدون ذلك المرئي ذات الحق جل وعلا من حيث هي، ويعتقدون ما هو المسمى بالغير ظهوره تعالى عند هذا الفقير الذي لا حاصل له بعيد عن المعاملة وخلاف نص﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[الشورى: ١١]، وآية﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[الأنعام: ١٠٣] شاهدة لهذا المعنى.

فهؤلاء القوم ماذا يرون؟ وماذا يدركون حيث يقولون: لا نرى غير الحق جل وعلا ولا ندري، وعبروا عنها بالشهود والمشاهدة، وهذه الأفكار في تدبير أنفسهم وتدبير الأهل والعيال هل هي موسومة بالغير أو لا؟

اعلم وتنبه أن كل ذلك النفي والاعتراضات الطويلة الغير الملائمة على مشايخ الطريقة قدس الله تعالى أسرارهم العلية منشؤها عدم الاطلاع على مراد هؤلاء الأكابر، والتوحيد الشهودي الذي هو رؤية الواحد ومربوط بنسيان السوى من ضروريات طريقة هؤلاء الكبراء، وما لم يحصل ذلك لا يتيسر الخلاص عن التعلق بالأغيار.

وأنتم تسخرون بهذه الدولة وبأرباب هذه الدولة، والشهود والرؤية اللذان وقعا في عبارة أكابر المشايخ قدس الله أسرارهم كنايتان عن حضوره

تعالى وتقدس اللاكيفي المناسب لمرتبة التنـزيه الخارج عن حيطة الإدراك الذي هو من عالم الكيف، وخصصوا دولة هذا الحضور في الدنيا بالباطن ولا بد للظاهر من رؤية الاثنين في جميع الأوقات، ولهذا قالوا: كما أن في العالم الكبير مشركاً وموحداً في العالم الصغير أيضاً المشرك مجتمع بالموحد، باطن الكامل موحد في جميع الوقت وظاهره مشرك، فيكون باطنه بالله جل وعلا وظاهره في تدبير الأهل والعيال، ولا يلزم محذور أصلاً، والاعتراض من عدم الفهم.

وإياكم وأمثال هذه الكلمات واحذروا من غيرة الحق جل سلطانه، والظاهر أن مدعي هذا الوقت هم الذين يوردونكم على ذلك، لا بد من ملاحظة جانب الأكابر فإنها ضرورية، فإن تتكلموا في محدثات المدعين ومخترعاتهم فله مساغ، وأما ما هو مقرر عند القوم ولا بد منه فالتكلم فيه غير مناسب.

ولقد رأيتم في رسائل الفقير ومكتوباته كم كتب من التوحيد الشهودي وقرره من ضروريات الطريق، وكان اللازم عليكم أن تستفسروا عن هذا المعنى وأن تسألوا بحسن الأدب، وهذا زهر تفتق من مفارقة المرحوم مولانا أحمد عليه الرحمة، ولم يظهر منكم مثل هذا الكلام في حياة مولانا أصلاً، وقد وقعت كتابتكم هذه موقع الحسن حيث أوجدتم التنبيه، وكل ما يقع بعد ذلك ينبغي أن تكتبوه من غير ملاحظة صحته وسقمه، فإنه لو كان صحيحاً يكون باعثاً للمسرة وإن كان سقيماً يكون سبباً للانتباه، وعلى كل حال ينبغي أن لا نتقاعد عن الكتابة، وكتابكم إنما يجيء بعد سنة مع القافلة، والنصائح

الضرورية ضرورية في كل سنة مرة واحدة، وما لم تكتبوا من ذاك الطرف ولم تسألوا عن أشياء لا ينفتح طريق القيل والقال.

وسألتم أن القلب هل هو من جملة الظاهر أو هو من جملة الباطن؟ وقد بينت ظاهر العارف وباطنه في مكتوب بالتفصيل وآمر الملا عبد الحي بإرسال نقله إليكم فتراجعوا فيه.

وسألتم أيضاً أن الطريق الآخر الذي يكون من غير تجليات وكشفيات ما طريق معرفة المتوسط والمنتهي فيه؟

اعلم أن هذا السالك الذي لا علم له بأحواله إذا كان في خدمة شيخ كامل ومكمل عالم بالطريق وبصير به فعلم ذلك الشيخ بحاله كاف له، يعرف التوسط والانتهاء بإعلامه، وأيضاً إذا أجازه الشيخ بإرشاد الخلق نوع إجازة تكون أحوال مريديه مرايا كمالاته ويطالع منها نقصه وكماله، وعلامة أخرى لمعرفة الانتهاء هي أن لا يبقى في السالك مقتضى غير الحق سبحانه و تعالى أصلاً، وأن يكون صدره خالياً وصافياً من جميع المقتضيات المتعلقة بالسوى، وللنهاية مراتب كثيرة بعضها فوق بعض، والقدم الأول في النهاية هو الذي ذكر والله سبحانه الموفق.

وكتبتم أن المعارف التي تسلي هذا الفقير القليل البضاعة هي المعارف الشرعية وكأن كل حكم من الأحكام الشرعية طريق موصل إلى منزل المقصود وعلامة من الملك الذي ليست له علامة وهذا البيت نصب العين:

ما بسفر ميرويم عزم تماشاگـر است   مــا بر اوميرويم كزهمه عالم وراست

ومعرفتكم هذه أصلية جدّاً وعالية ومورثة للرجاء وقد جعلتني مطالعة هذه المعرفة محظوظاً جدّاً وأزالت عدم ملايمة صدر المكتوب، أوصلنا الله سبحانه وتعالى إلى المقصود مِن هذا الطريق.

وسألتم أنه قد يجيء بعض الرجال والنساء ويلتمسون الطريقة ولكن لا يحترزون من الأكل واللبس الحاصلين من الربا، هل نعلمهم الطريقة أو لا؟ ويقولون نحن نصلح بالحيل الشرعية!

ينبغي أن يعلمهم الطريقة وأن يرغبهم في الاجتناب من المحرم ولعلهم يتخلصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة.

واستفسرت أيضاً عن العلمين اللذين ظهر كل منهما عقيب الآخر من جانب المشرق، وقد كتب الفقير مكتوباً في هذا الباب باستفسار الأصحاب نأمر الملا عبد الحي بإرسال نقله أيضاً إليكم إن شاء الله تعالى.

وسألتم أيضاً أنه هل الأفضل إهداء ثواب ختم القرآن وأداء صلاة النفل والاشتغال بالتسبيح والتهليل إلى الوالدين أو إلى الأستاذ أو الإخوان أو عدم الإعطاء لأحد؟

فاعلم أن الأفضل الإهداء فإنه نفع للغير ونفع للعامل، وفي عدم الإهداء النفع مخصوص بالعامل، وأيضاً يرجى في الإهداء قبول العمل المهدى ثوابه ببركة الآخرين، والسلام»[1].

---

١ مختصر المكتوب السابع والسبعين من القسم الثاني ٢: ١٦٩-١٨١.

١١٦ – محبة هذه الطائفة العلية وسيلة الفناء في الله والبقاء بالله:

قال قدس الله سره في مكتوبه إلى داراب خان في بيان أن محبة هذه الطائفة العلية والإخلاص لهم وسيلة الفناء في الله والبقاء بالله وما يناسب ذلك:

«الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، قد يحس في طائفتكم دولة هنيئة وهي التواضع للفقراء والخدمة لهذه الطبقة العليا مع وجود أسباب الغناء وحصول مواد الاستغناء، وهذا منبئ عن محبة هذه الطائفة العلية والإخلاص لهم ومشعر بمودة هذه الفرقة الناجية والاختصاص بهم، وحديث «المرء مع من أحب»[1] كاف لأن تكون بشارة لمحبي هذه الطائفة، وحديث «وهم قوم لا يشقى جليسهم»[2] واف لمسرة جلساء هذه الطبقة.

فإذا استولت هذه المحبة بعناية الله سبحانه وغلبت على نهج لا تترك غيره في القلب وزالت التعلقات الأخر عن القلب بالتمام وظهرت لوازم المحبة التي هي إطاعة المحبوب والقيام بمراده والتخلق بأخلاقه وأوصافه فحينئذ يحصل الفناء في المحبوب، شبيه الفناء في الشيخ الذي هو الدرجة الأولى في هذا الطريق، وهذا الفناء يعني الفناء في الشيخ يصير ثانياً وسيلة إلى الفناء في الله الذي البقاء بالله مترتب عليه وهو المحصل للولاية، وبالجملة إذا تيسرت محبة المحبوب الحقيقي في الابتداء من غير توسط أحد فهي دولة عظيمة محصلة للفناء والبقاء، وإلا لا بد من توسط كامل مكمل فينبغي أولاً أن يجعل جميع مراداته تابعة لمرادات شيخه وأن يصير فانياً فيه

---

١ رواه البخاري في صحيحه (٦١٦٨)؛ ومسلم في صحيحه (٦٨٨٨).

٢ رواه مسلم في صحيحه (٧٠١٥).

ليكون ذلك الفناء وسيلة إلى الفناء في الله وليخلصه من تعلقات السوى بالتمام وليوصله إلى درجات الولاية.

وعليكم بالسكر[١] يا أهل صفراء على رغم ذوي السوداء

وأمثال هذه الكلمات إنما تورد لترغيب الطالبين والمهوِّسين وتشويقهم، والله سبحانه الموفق للصواب»[٢].

١١٧ - آداب هذه الطريقة العلية:

قال قدس الله سره في مكتوبه إلى الحافظ عبد الغفور في بيان آداب هذه الطريقة العلية: «الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، ينبغي لطالب هذا الطريق بعد تصحيح العقائد بموجب آراء أهل الحق شكر الله تعالى سعيهم، وبعد تعلم الأحكام الفقهية والعمل بمقتضى العلم، أن يصرف جميع أوقاته في ذكر الله جل شأنه، بشرط أن يكون ذلك الذكر مأخوذاً من الشيخ الكامل المكمل فإنه لا يحصل الكامل من الناقص، وينبغي تعمير الأوقات بالذكر على نهج لا يشتغل بعد أداء الفرائض والسنن المؤكدة بشيء غير الذكر أصلاً، حتى يترك تلاوة القرآن ونوافل العبادات أيضاً، ويشتغل بالذكر بالوضوء وبغير الوضوء قائماً وقاعداً، ولا يخلو عنه في مجيئه وذهابه ووقت أكله ونومه.

---

١ السكر: هو منازلات معاني الذكر من حضور في بساط المناجاة، ويرقى العبد بنجواه سراً وعلانية في مقامات الأنس بالله، قال القشيري: وقد يكون سكر العبد حتى يزيد في الغيبة، فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة. الرسالة القشيرية ١٧١.

٢ المكتوب الثامن والسبعون من القسم الثاني ٢: ٢٠٣-٢٠٤.

ألا فـــاذكروا رب البرايا فإنه جلاء القلوب والغذاء لأرواح

وليشتغل بالذكر على الدوام، حتى لا يبقى في ساحة الصدر من غير المذكور اسم ولا رسم، ولا يخطر ما سوى المذكور في قلبه بطريق الخطرة أيضاً، فلو تكلف في إحضار الغير لا يتيسر له ذلك بواسطة نسيان القلب غير المذكور، وذلك النسيان أعني نسيان القلب جميع ما سوى المطلوب مقدمة حصول المطلوب ومبشر بالوصول إليه، وماذا أكتب من حصول المطلوب والوصول الحقيقي إلى المقصود فإن ذلك وراء الوراء.

كيف الوصول إلى سعـــاد ودونهـــا قـــلل الجـــبال ودونـــهن حتوف

فإذا أتم الأخ الأعز هذا الدرس بعناية الله سبحانه يطلب درساً آخر، والله سبحانه الموفق، والسلام على من اتبع الهدى»[1].

١١٨ - التحريض على حفظ الأوقات:

قال قدس الله سره في مكتوبه إلى حضرة المخدوم الخواجه محمد معصوم في التحريض على حفظ الأوقات:

«أحوال هذه الحدود وأوضاعها مستوجبة للحمد المسؤول من الله سبحانه سلامتكم واستقامتكم فإذا تيسر الوصول بمشيئة الله تعالى إلى اجمير[2] وحصلت النجاة من هذه العقبات الشديدة والحر المفرط أكتب لكم كتاباً

---

١ المكتوب الرابع والثمانون من القسم الثاني ٢، ٣: ٤٢١.

٢ اجمير: مدينة من مدن ولاية راجستان في الهند، يعود تاريخ تأسيسها إلى أواخر القرن السابع الميلادي، ويبلغ عدد سكانها الآن نصف مليون نسمة.

وأطلبكم إن شاء الله تعالى عليكم بالجمعية وصرف الهمة في مراضي المولى جل شأنه بالتمام، حذر الوقوع في الفراغ واستيفاء حظ النفس والمؤانسة التامة بالأهل والعيال، فيقع الفتور في معاملة مهمة فلا يحصل شيء غير الحرمان والندامة، ولا يجدي الندامة شيئاً.

وعليكم باغتنام هذه الصحبة وصرف الأوقات في أهم الأمور، ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[المائدة:٩٩]، والمعارف الجديدة التي حررت كلها درسكم بعد درسٍ، إياكم وسردَهَا؛ بل ينبغي أن تجتهدوا في مطالعتها بالجد والجهد فلعله تنكشف روزنةٌ[1] من مكنوناتها فتكون رأس مال سعادتكم، وقد وجدت بشارة في مادتكم وكتبتها في مكتوب وفوضته إلى الخواجه محمد هاشم الكشمي ليوصله إليكم ولعل الله سبحانه لا يضيعكم بكرمه ويقبلكم.

ولكن عليكم بالخوف والإشفاق، وإياكم وصرف الأوقات في اللهو واللعب فلا يبقى للصحبة تأثير، وكونوا ملتجئين ومتضرعين إلى حضرة الحق سبحانه، وعليكم الاختلاط بأهل الحقوق بقدر الضرورة واستمالة خواطرهم، وعاشروا الجماعة المستورة بالوعظ والنصيحة، ولا تبخلوا في حقهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورغّبوا جميع أهل البيت في الصلاة والصلاح وإتيان الأحكام الشرعية فإنكم مسؤولون عن رعيتكم وقد أعطاكم

---

١ الرَّوْزَنة: الكوة، وهي معرّبة: النافذة الصغيرة في الحائط. تاج العروس، الزبيدي ٣٥: ٨٩؛ القاموس الوسيط ١: ٣٤٣.

الله سبحانه العلم، ونسأله تعالى أن يرزقكم العمل على وفقه والاستقامة عليه آمين»[1].

١١٩- سر كثرة ظهور الخوارق وقلته:

قال قدس الله سره في مكتوبه إلى الدرويش حبيب الخادم في بيان سر كثرة ظهور الخوارق وقلته:

«اعلم أن ارتكاب فضول المباحات باعث على قلة ظهور الخوارق، خصوصاً إذا أفضى كثرة مباشرة الفضول إلى حد المشتبه، وأدت منه عياذاً بالله سبحانه إلى حوالي المحرم، فأين الكرامة حينئذ وأين الخوارق؟!

وكلما ضيّق دائرة مباشرة المباح واكتفى منه بقدر الضرورة يكون مجال الكشف والكرامة أوسع وطريق ظهور الخوارق أوضح، وظهور الخوارق من شرائط النبوة لا من شرائط الولاية، فإن إظهار النبوة واجب دون إظهار الولاية، بل السر والإخفاء في هذه المرتبة أولى، فإن هناك دعوة الخلق وهنا قرب الحق جل شأنه، ومعلوم أن الإظهار لازم للدعوة والستر مناسب للقرب.

وكثرة ظهور الخوارق من ولي لا يدل على أفضليته على غيره من الذين لم يظهر منهم من الخوارق مثل ما ظهر منه، بل يجوز أن يكون ولي لا يظهر منه خارق أصلاً أفضل من الأولياء الذين ظهرت منهم الخوارق كما حقق شيخ

---

١ المكتوب الخامس والثمانون من القسم الثالث ٣: ٤٢١-٤٢٢.

الشيوخ[1] هذا المعنى في كتابه «العوارف»، فإذا لم يكن قلة ظهور الخوارق وكثرته في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام موجبة للأفضلية والمفضولية مع كونها شرطاً للنبوة كيف تكون في الولاية موجبة للتفاضل مع كونها غير شرط فيها!

وأظن أن المقصود الأصليّ من رياضات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومجاهداتهم وتضييقهم في مباشرة المباح على أنفسهم هو تحصيل ظهور الخوارق التي هي واجبة عليهم وشرط نبوتهم لا الوصول إلى درجات القرب الإلهي جل سلطانه، فإن الأنبياء عليهم الصلوات والتحيات مجتبون[2] فيجرهم بسلسلة جذب المحبة جراً جراً ويوصل بهم إلى درجات القرب الإلهي جل شأنه بلا مشقة منهم.

والطريق الذي يحتاج فيه للوصول إلى درجات القرب الإلهي جل سلطانه إلى الرياضات والمجاهدات هو طريق الإنابة والإرادة الذي هو طريق المريدين، وطريق الاجتباء هو طريق المرادين، والمريدون يذهبون بأرجلهم بالمشقة والمحنة، والمرادون يحملون إلى منـزل المقصود بالإعزاز والإكرام ويوصل بهم إلى درجات القرب بلا محنة منهم.

---

١ هو الإمام العارف الشيخ شهاب الدين أبو حفص السهروردي، ت: ٦٣٢هـ.

٢ أصله مجتبيون، جمع مجتبٍ، واجتبى الشيء: اصطفاه واختاره لنفسه، قال تعالى: «وكذلك يجتبيك ربك» . تاج العروس ٣: ٣١٦؛ معجم ديوان الأدب، للفارابي ٤: ١٦٢.

ينبغي أن يعلم أن الرياضات والمجاهدات من شرائط طريق الإنابة والإرادة، وأنها ليست بشرط في طريق الاجتباء، ومع ذلك هي نافعة، مثلاً: إذا حصل حمل شخص جرّاً جرّاً وهو مع ذلك الجر يستعمل سعيه أيضاً فلا شك أنه أسرع ذهاباً من الذي لا يستعمل سعيه، وإن جاز أن يكون الجر وحده أحياناً أقوى وأجدى من الجر المركب المذكور، فالسعي والمشقة لا يكون شرط كمال الوصول في طريق الاجتباء كما أنه ليس بشرط في نفس الوصول، نعم فيه احتمال النفع ولو في بعض المحال.

وفوائد الرياضات ومنافع المجاهدات التي هي عبارة عن الاقتصار على ضروريات المباح كثيرة لأرباب الاجتباء أيضاً بغير المعنى المذكور مثل دوام الجهاد الأكبر وطهارة الباطن ونظافته من التلويثات الدنيوية، فإن كل حوائج ضرورية ليست بداخلة في الدنيا، وكل ما هو فضول فداخل في الدنيا.

والنفع الآخر في الرياضة والاقتصار على الضرورة قلة المحاسبة والمؤاخذة الأخرويتين وإنها سبب لارتفاع الدرجات الأخروية، فإن مسرة الآخرة تكون أضعاف محنة الدنيا، فظهر لرياضات الأنبياء ومجاهداتهم عليهم الصلاة والسلام وجوه أخر غير الوجوه الذي ذكرناها آنفاً.

فاتضح أن الرياضة والاقتصار على ضروريات المباح وإن لم تكن شرطاً للوصول في طريق الاجتباء ولكنها محمودة في حد ذاتها ومستحسنة، بل بالنظر

إلى الفوائد المذكورة ضرورية ولازمة، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً، والسلام على من اتبع الهدى»[1].

١٢٠ - مشاهدة الحق سبحانه وتعالى بالقلب:

قال قدس سره في مكتوبه إلى الفقير هاشم الكشمسي في جواب سؤاله عن حقيقة مشاهدة العرفاء الحق سبحانه بالقلب وتحقيقه:

«قد سألتم أنه قد أثبت بعض محققي الصوفية رؤية الحق ومشاهدته تعالى ببصر القلب في الدنيا، قال الشيخ العارف في كتابه «العوارف»: موضع لمشاهدة بصر القلب الخ. وأورد الشيخ أبو إسحق الكلاباذي[2] قدس سره الذي هو من قدماء هذه الطائفة ورؤسائهم في كتابه «التعرف»: وأجمعوا على أنه تعالى لا يرى في الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب إلاّ من جهة الإيقان. فكيف التوفيق بين هذين التحقيقين؟ و على أي منهما يوافق رأيك؟ وما معنى الإجماع مع وجود الاختلاف؟

اعلم أرشدك الله أن مختار هذا الفقير في هذه المسألة هو قول صاحب التعرف قدس سره، واعلم أنه لا نصيب للقلوب من تلك الحضرة في هذه

---

١ المكتوب السادس والثمانون من القسم الثالث٢/ ٣: ٤٢٣-٤٢٤.

٢ هو العلاّمة تاج الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي، توفي سنة ٣٨٠هـ. صاحب كتاب «التعرّف لمذهب أهل التصوف» . انظر: الفوائد البهية ١٦١؛ كشف الظنون ١: ٢٢٥؛ الأعلام، الزركلي ٥: ٢٩٥.

النشأة غير الإيقان سواء ظنوه رؤية أو مشاهدة، فإذا لم تكن للقلب رؤية ماذا يكون للأبصار؟ فإن البصر معطل في هذه المعاملة في هذه النشأة.

غاية ما في الباب أن المعنى المسماة بالإيقان الحاصل في القلب يظهر في عالم المثال بصورة الرؤية، والموقن به يظهر بصورة المرئي، فإن لكل معنى صورة في عالم المثال مناسبة له في عالم الشهادة، وحيث إن كمال اليقين في عالم الشهادة في الرؤية يظهر الإيقان أيضاً في عالم المثال بصورة الرؤية، فإذا ظهر الإيقان بصورة الرؤية يظهر متعلقه الذي هو الموقن به بصورة المرئي بالضرورة.

فإذا شاهده السالك في مرآة المثال يذهل عن توسط المرآة، ويظن الصورة حقيقة ويزعم أنه قد حصلت له حقيقة الرؤية وظهر له المرئي، ولا يدري أن تلك الرؤية هي صورة إيقانه، وذلك المرئي صورة الموقن به، وهذا من أغلاط الصوفية وتلبسات الصور بالحقائق.

فإذا غلبت هذه الرؤية وترشحت من الباطن في الظاهر توقع السالك في توهم أنه قد حصل له رؤية البصر أيضاً، وتحول المطلوب من السماع إلى المعانقة، ولا يدرون أن حصول هذا المعنى في الأصل الذي هو البصيرة أيضاً مبني على التوهم والتلبس، فماذا يصيب للبصر الذي هو فرع عليها في هذه النشأة ومن أين تحصل لها الرؤية؟ وفي الرؤية القلبية وقع جم غفير من الصوفية في التوهم وحكموا بوقوعها، بخلاف الرؤية البصرية فإنه لم يقع في توهم وقوعها إلا الناقصون من هذه الطائفة، وهو مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة شكر الله تعالى سعيهم.

فإن قيل: إذا كان للموقن به صورة في عالم المثال، يلزم أن للحق سبحانه صورة هناك؟ أجيب: أن في عالم المثال صور المعاني لا صور الذوات.

وما سألتم من تحقق الإجماع مع وجود الاختلاف فلعل الخلاف المعتد به لم يكن وقت الإجماع أو أنه أراد بالإجماع إجماع مشايخ عصره، والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال»[1].

١٢١ - المجاهدة والانزواء:

قال قدس سره في مكتوبه إلى جناب المير محمد نعمان في الترغيب في المجاهدات والانزواء وتربية طالبي الحق جل وعلا:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، اعلم أن الوقت وقت العمل والاشتغال لا موسم الأكل والمنام، ينبغي إعداد نصف الليل للنوم، والنصف الآخر للطاعة والعبادة، فإن لم يكن قدرة اختيار هذه الهمة ينبغي أن يلتزم ثلث الليل من النصف إلى السدس.

ينبغي أن يسعى لئلا يقع فتور في دوام هذه الدولة، وينبغي أن يختلط بالناس وأن ينبسط إليهم مقدار ما تؤدى به حقوقهم «الضرورية تقدر بقدرها»، والانبساط إلى الخلائق زيادة على قدر الحاجة من الفضول، وداخل فيما لا يعني، وربما يتفرع عليه مضرات كثيرة، ويصير داخلاً في محظورات الشريعة والطريقة.

---

١ مختصر المكتوب التسعين من القسم الثالث ٢/ ٣: ٤٣٨-٤٤٧.

والشيخ الذي يفرط في الانبساط إلى المريدين يخرجهم من الإرادة بالضـرورة، ويوقع الفتور في طلبهم عياذاً بالله سبحانه من ذلك، ينبغي أن يدرك قبح هذا المعنى وأن يسلك بالطالبين على وجه يكون سبباً لأنسهم وألفتهم لا موجباً لنكرتهم ونفرتهم.

والانزواء من الخلائق ضروري، فإن الاختلاط والائتلاف معهم بلا داع ولا حاجة سم قاتل، وهذا المعنى ميسر لكم بتوفيق الله تعالى بالسهولة، وماذا يصنع أرباب الابتلاء؟ فإنهم مشغولون مع أرباب التفرقة دائماً، ينبغي لكم أن تعرفوا قدر هذه النعمة والعمل بمقتضاها، وعليكم بكمال الاستخبار عن حال الطالبين وبالتوجه إلى تربيتهم ظاهراً وباطناً، وما أكتب أزيد من ذلك»[1].

١٢٢ - الترهيب والترغيب:

قال قدس سره في مكتوبه إلى الشيخ حميد الأحمدي في الترهيب عن قصور الأحوال والترغيب في حصول التكميل والكمال:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، قد سر مكتوب أخي الأعز الشيخ حميد بوصوله، ما أعظم نعمة حصول الرغبة في جناب قدس الحق جل سلطانه والبرودة عما سوا، تعالى لجماعة في صحبة شخص في مثل هذا الزمان المملوء من الفتن، ومع ذلك لا يغتر ذلك الأخ بهذه الدولة ولا يكون فارغاً عن شغله.

---

١ بتصرف من المكتوب الثاني والمائة من القسم الثالث ٢/ ٣: ٤٨٠-٤٨١.

وهذه الأحوال التي تحصل للطالبين في الابتداء وتورثهم ذوقًا ولذة من قبيل تمرين الأطفال بتعليم ألف وبا. والأمر أن يجاوز التهجي والوصول إلى مرتبة المولوية[٢] والترقي من الأذواق والالتذاذات والدخول إلى الولاية الخاصة.

وذا أيـــوان الاستـــعلاء عال فـــإياكـــم وأخطار الوصال

وعليكم بتعمير الأوقات والتحلي بالشريعة والطريقة ظاهرًا وباطنًا. واعلم أن تكميل الغير فرع كمال الإنسان نفسه وهو درجة الولاية الخاصة، ولكن إذا ظهر في الصحبة رشد في الطالبين وحصلت لهم أحوال ومواجيد فهي أيضاً غنيمة وإن لم يبلغوا حد الفناء والبقاء، وحكمها في هذا الوقت حكم الكبريت الأحمر إن فعل ذلك أيضاً.

ولكن تعليم الطريقة أيّاً من كان بعد الاستخارات والتوجهات مناسب بل لازم، وينبغي أن تكونوا على خوف وخشية من هذا العمل حذراً من تسلط الشيطان من هذه الجهة أعاذنا الله سبحانه من شره، فإن أتممتم العدد الذي أمرتكم به اشتغلوا بضعفه ثم أخبروني بعد ذلك حتى يصدر الإعلام بما يناسب الحال، وسلموا منا على الأصحاب عندكم»[٣].

---

٢ يقصد بها مرتبة الصفاء الروحي والتخلص من المشاعر النفسانية، والاستغراق في الوجد الكامل الذي يبعدهم عن العالم المادي ويأخذهم إلى الوجود الإلهي.

٣ مختصر المكتوب الثالث والمائة ٢/ ٣: ٤٨١-٤٨٢.

إلى هنا تمت منتخبات مكتوبات الإمام الرباني قدس سره. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

كتبه الأستاذ الشيخ محمد أمين آر الميراني الكلياني الأنقراوي

أنقرة ١٤٣١ هـ

* * *

فهرس المحتويات